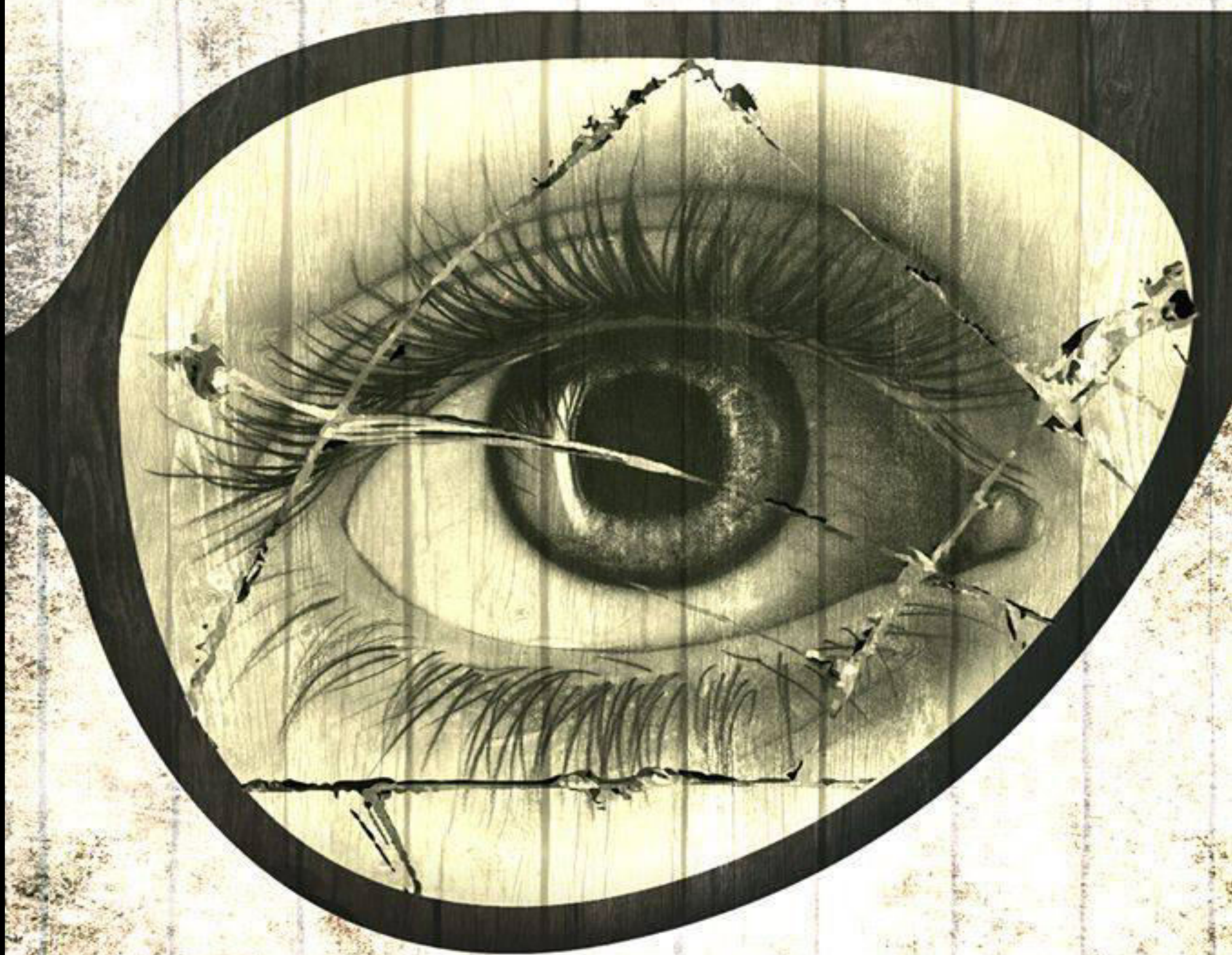

عصير
الكتب
fb.com/groups/Book.juice

استجماتيزم

رؤية خاصة



رواية

رانيا الطنوبي

روايات

تصميم الغلاف: هبة أحمد

استجماتيزم

رانيا الطنوبي

تصميم الغلاف: هبة أحمد

تنسيق داخلي: سارة سيف الدين

مراجعة لغوية: هبة أمين

جروب كلام روايات

https://www.facebook.com/groups/KalamRewiat/

عندما تكون الغاية أن نبدع برقي

المقدمة

حين تشتد العتمة، أحقا نضطر للتخبط؟؟

سؤال أوله كيف وتكملته ضاعت دون أن نعرف!!

سنوات خداعات

يخون فيها الأمين

يصدق فيها الكاذب

ويسترشد بالأعمي

يقابلنا الغدر ويصفعنا القهر والتيه يجمعنا

فنلعن أقدارنا

ألم تكن أعيننا مفتوحة بما يكفي لترى الحقائق دون مواربة

والاجابة بلى

لكن؛ هل وحدها النظرات كافية ليدرك العقل ما عليه إدراكه ويمتلئ القلب بما عليه أن يستشعره؟

والاجابة سنتركها معلقة

لرؤية يقررها أصحابها

دون الفحص عن قوة إبصارهم

أو سلامة قلوبهم أو عقولهم

هو فقط سؤال أخير

لا أكثر

هل امتلكت ضمائرهم يوما رؤية أم أنها تعاني "استجماتيزم"

اهداء

إلى كل المنتمين لجيلي وقد مر الزمن وباتوا آباء وأمهات، لم أرد إثارة زوبعة أو كتابة رواية مثيرة للجدل، فقط أردت أن أضرب جرس إنذار ليدوي في العقول فيفرض على العيون البصر والعقول بعض البصيرة لعلنا يوما ما نحقق مقولة أن من هذا الجيل كان هناك أب عظيم وأم فاضلة......

"ما قبل الحكاية"

في سيارته بدا مضطربا يخشى لحظة وصوله لمنزله، إذ يشعر أن زوجته ربما قد لاحظت شيئا لكن هذا ليس السبب، ثمة سبب أكبر يجعله يقود السيارة بأسى، لا يمني نفسه على إثره العودة مطلقا

"حامل"

"ولازالت عذراء"

وكانت تلك الكلمات تتلقفه، والعجب أنها تخص عشيقته

ولكن كيف؟

لقد كان حريصا كل الحرص منذ أن بدأت علاقتهما ألا تصل الأمور لذلك الحد، ليس فقط لأبعاد العلاقة ولكن لأنه يدرك أن صغر سنها قد لا يتحمل أيا من الاختيارات المطروحة أمامه وعلى رأسها "الإجهاض"، فمثله في مقامه وسنه كيف سيقول لمن حوله أنه أنجب ومن علاقة محرمة ومع فتاة سيصدقها الجميع إن ادعت البراءة وادعت أنه من استدرجها

"وقفة"

لمكابح سيارته عنوة، كاد في شروده أن يكسر إشارة المرور لكنه بالدقيقة الأخيرة توقف

لكن عقله لن يتوقف عن التفكير فيها مباغتا إياه بذكرياتهما، كيف تسللت لقلبه، حين تغزلت في شعره الأبيض وما يعنيه من نضوج وخبرة، حين استغربت وضحكت من اعترافه أنه على عتبات الستين إذ أنها تراه بالتأكيد يبدو أصغر

"وصَدَّق"

"بل واستسلم"

طوال حياته لم يسمع من امرأة كلمة تُغري، ظن أنها تبحث فيه عن أب افتقدته ولكنها نفت ذلك واستمرت في المراوغة حتى سقط بين يديها في شباك أول قبلة

"واستسلم"

إلى أن أتى اليوم لتدرك قوتها وهي تهدد وتتوعد

" سأرحل للأبد بطفلي و لن تراني مرة أخرى"

بكبرياء بارد لم يعهده بطفلة، لقد ظنها طفلته التي سقطت في عشقه، لكن الحقيقة أنها امتلكت جراءة لعوب لم يعهدها ولم يعرفها

"وتوسل"

تنازل عن كبريائه وترجاها بألا تفعل، إنه على استعداد بأن يتزوجها ويعترف بجنينها وإن لم يكن ابنه لكن رحيلها عنه هو الموت المحقق، لقد أدمنها وهي تعرف

"ورحلت"

ولا يدري فيمَ باتت تفكر وما هو قرارها وماذا ستفعل، وهل يوجد أكثر مما فعلت؟

رؤيـة مشوشة

(1)

وآه من الرتابة حين تنكسر كعصا تنقسم بعزم قوة ضربتها فوق رأسك مقررة تحطيمك من داخلك إلى اثنين

أولهما لن ينال إلا الموت المحقق، والثانى لم يملك إلا التظاهر بالحياة، وقد فرض التحجر على دموع تصارع الجفون متوسلة التحرر

"ابكي يا لبنى، أستحلفك بالله أن تبكي"

والرجاء من عينيها وأده الكبرياء في مهده بل وفرض على وجنتيها رسم ابتسامة ليعلم الحاضرون منها كم هي سعيدة

وكيف لا وهي المكرمة لكونها الأم المثالية

دوى التصفيق من حولها فرفعت رأسها لترى الأستاذة إقبال وقد توسطت مسرح المدرسة ووقفت أمام المايكرفون وقررت التحدث

"الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق"

وبأبيات حافظ إبراهيم قررت أن أبدأ، وحين نتحدث عن الأم فالكلمات لن تكفي لوصف عطاء لا ينضب بفطرته، الأمومة ذلك الواجب المقدس،دون انتظار شكر أو تقدير لسمو الدور، فأي كلمات ستتلاشى أمام عظمة كل امرأة قُدر لها أن تكون القدوة والمربية للجيل القادم

وإن كنا بصدد تكريم الأم المثالية في عيد الأم لهذا العام فإننا نفعل ذلك إيمانا منا بدعم الدور لا الفضل، سائلين المولى التوفيق للجميع ولأمنا الكبرى مصر، ومستقبلها المشرق بسواعد جيل أنتن من سيصنعنه"

وهي أول من صفقت بجوار تصفيق الجميع وقد صدح اسمها

"وجائزة الأم المثالية لهذا العام من نصيب الأستاذة لبنى مختار المسيري فلتتفضل هنا"

زاد التصفيق لمن تقدمت خطوات من أجل الصعود للمسرح، تسعى فيها لتبدو بحال أفضل إلا أن الذكريات أبت أن تدعها

"يا ميلة بختك يا تيسير، أقول إيه للناس لما يسألوني عن مجموع بنتي في الثانوية العامة، أخرتها تربية، مدرسة يا لبنى مش دكتورة زي أختك"

"اللي طلع فوق ده يبقى مختار المسيري، طيب متعرفش مين اللي طلعت معاه؟

ربنا حليم ستار يا ست هانم"

"للدرجة دي رياض مشغول، مش قادر يتصل يسأل عليا"

- أستاذة لبنى

والنداء من إقبال اقتطعها من شرودها، وقد أشارت للمنصة لتلقي بكلمتها، فوقفت أمام المايكرفون تتطلع للحاضرين فتبادلت النظرات وتيسير والدتها، فكان اعترافها لنفسها، هي لم تكره شخصا بقدر ما كرهتها بل هي تكره الأمومة بسببها، شعرت بأن الحاضرين قد يلاحظون ارتباكها فتظاهرت بالثقة وبدأت حديثها

شكرت مديرتها التى تكرهها ثم مدحت والدتها مجبرة، مدعية أنها وإن كانت المثالية اليوم فلأنها ابنة تيسير التوني، ثم ابتسمت ساخرة وهي تشكر والدها على دعمه وتهدي التكريم لزوجها الذي لولا اغترابه لكان أول الحاضرين بينهم وأخيرا شكر حقيقي دون زيف أو مجاملة لثلاثة لن تنكر فضلهم

"سعد، إكرام، ماما كريمة، من صميم قلبي شكرا لكم"

وها هو التصفيق يتعالى مجددا وقد احتضنتها أستاذتها ببرود، كونها ابنة مديرتها السابقة التي كان يكرهها الجميع، ثم غادرت المسرح لتجاور أولادها غير عابئة بغيظ والدتها منها لأنها لم ترتدِ الخاتم الألماس الذي اشتراه لها زوجها، ولم تنتقِ من خزانة ملابسها الأثمن

"ست الحبايب يا حبيبة يا أغلى من روحي ودمي يا حنينة وكلك طيبة يا رب يخليكي يا أمي"

صدحت الأغنية من فريق كورال المدرسة بينما عادت لبنى لشرودها فلم تلحظ نظرات ليلى لها بضيق لأن أبناء المُدرسة هم الأوائل على فصولهم بينما أبناء الطبيبة لم يفلحوا رغم ما تبذله معهم في الدروس الخصوصية.

كانت تشعر بالقلق الذي استبد بوالدها مستغربا تصرفاتها، كونها تتفادى التحدث إليه أو التعامل معه، متسائلا عن سر تغير أقرب بناته لقلبه، لكنها لن تُريحه.

قاطعها سعد حين ناداها باسمها، وعندما التفتت شدد ليعرف سبب ضيقها وقد بدا متضايقا لأجلها، فألح ليعرف ما بها، لكنها افتعلت ابتسامة باهتة وأكدت أنها بخير، وفي نفسها لن تنكر امتنانها لمن يهتم دوما بحالها

انتهى الحفل فاستوجب عليهم الرحيل، ولم تعطِ فرصة لأحد كي يتحدث معها تظاهرت بالإعياء وودعتهم ثم أسرعت لتجاور إكرام برفقة أولادها بالمقعد الخلفي لسيارة سعد، وطوال الطريق ظلت صامتة بينما لم يتوقفوا هم وعلى رأسهم كريمة حماتها عن التحدث

شرود فرض على سعد أن يطالع وجهها بالمرآة الأمامية وعندها أشار لكريمة كي تسألها: إيه يا حضرة الأم المثالية أنتِ مش مبسوطة ولا إيه

تظاهرت بالابتسام وأجابت: أبدا والله يا ماما، بس بقالي يومين مضغوطة في الشغل، وتعبانة شوية

- لا تعبانة إيه، ده اغحنا لازم نخرج ونحتفل النهاردة، ولا إيه يا عم سعد ما تحضرنا

تعقيب من إكرام أخته فرض عليه أن يجيب: يا ستي أنتم تأمروا وأنا عليا أنفذ

- خلوها مرة تانية، معلش

وردها فرض الامتعاض على أولادها ولكنهم لم يملكوا حق الاعتراض أو التذمر وعليه عادت لبنى لمنزلها ومع إغلاق بابه حان وقت التحرر من ذلك القناع البغيض الذي وضعته فوق ملامحها ثم انزوت ببيتها يوما اثنين ثلاثة

لا ذهاب للعمل

لا رد على مكالمات

وكأنها لا تريد أن تعرف أحدا

بل وجافى النوم عينيها وكيف لها أن تنام، بجوارها هاتفها،تعج به الرسائل من الجميع بانتظار ردها إلا "رياض" زوجها كعادته لا يبالي مكتفيا بأنه هاتفها ليبارك تكريمها وهكذا هو أدى واجبه، تنهيدة مريرة تصاحبها الدموع التى باتت رفيقة، ورشفة من فنجان القهوة المُر..إنه الرابع، التظاهر دوما بأن كل شيء على ما يرام قاتل، الابتسامة على الشفاه في وقت بكاء القلب كسرة، والنصب

الوحيد هو إقناع عقلك بأن ما تفعله بطولة، ولأول مرة تشعر ببالغ التبلد تجاه المصائب

"ليفعل أبي ما يريده، ولتفعل أمي ما تريده، وليفعل زوجي ما يريده، وليفعل أبنا.......... "

صمتت ولم تكملها إذ أنها خافت، ولن تنكر خوفها كما اعتادت، تذكرت "ريناد" ابنتها الوسطى يوم سردت عليها بخوف أنها رأت جدها عبر نافذة مكتبه يشاهد لقطات من فيلم "عيب" على حد وصفها

وفي دهشة سألت لمَ يفعل هذا ولم تمتلك يومها لابنتها ذات الاثني عشرة عاما إجابة، بل كيف تكون الإجابة على أسئلتهم التي كلما كبروا زادت في التتابع، بماذا تُفسر أخطاء الكبار من عمٍ أو خالة، هل تتجاوز أن الكبار لا يخطئون، أم تلقنهم أن الخطأ والصواب في زمننا قد تساويا

"لبنى فينك "

"بقالك يومين مش عايزة تردي على حد، طمنيني عليكِ"

رسالة قطع صوتها صمت حياتها، تمنت لو أنها من زوجها لكنه لم يكن الفاعل، يعرف أن سعد سيقوم نيابة عنه بالواجب، فقد اختار أن يهرب في صورة مسافر، تاركا عروسه بعد شهر من زفافهما حاملا، ومرت السنون لتكمل هذا العام خمسة عشر عاما لزواج زائف لم يتجاوزا فيه إلا شهراً واحداً من كل عام، إدعاء برباط مقدس كان فيه "رياض" الزوج و"ابن عمه" المسؤول على إثر وصية من الأول للثاني، بأن لو احتاجت زوجته أو أبناؤه أو والداه شيئا

"فأنت يا سعد مثلي، أنت يا سعد مكاني"

هو رجل تعلم كيف يتلاعب بالرأي العام لصالحه، لذا تم افتعال حادث لينتقل على إثره فاروق الدويري للمشفى فيتبدل سؤال وسائل الإعلام من.. كيف تمكن فاروق الدويري من تبرئة عمران القوصي من قضايا الرشوة التي تورط اسمه فيها إلى من وراء محاولة اغتيال فاروق الدويري؟

وبعد مرور أسبوع طويت القضية في طي النسيان، ولم يبقَ إلا بعض التحاليل الروتينية ليخرج بعدها في المساء

مد ذراعه لها فلفته برباط مطاطي وأحكمت قبضته لسحب عينة الدم ثم تابعت عملها وهي تعقب: إن شاء الله التحاليل هتخلص على طول، تأمرني بحاجة تانية

- غير إني أعرف نتيجتها وتطلعوني، لا

- حضرتك زهقت مننا؟

ابتسم مشاكسا ورد: لعلمك لولا إني بشوفك كل يوم مكنتش قعدت، بس أنا مليش في جو العيانين ده، قوليلهم فاروق الدويري اتعود على الحوادث دي ومبقتش تفرق معاه

ضحكت وردت: حاضر هقولهم،وإن شاء الله يتكتبلك خروج انهاردة والتفتت لتخرج لكنه استوقفها ليسأل: الواد سعد وصل

- أيوة

- طيب قوليلي يا غادة، أنتِ مرتبطة

صدمها السؤال وقبل أن تجيبه استأنف كلامه: مفيش في إيدك دبلة يبقى مش مخطوبة ولا متجوزة، هه بتحبي أو في كراش في حياتك

- أفندم

هتفت بها مصدومة وعندها أكمل بتلقائية: بقى الواد سعد تبقى معاه بنت حلوة في المعمل وميعلقهاش، أما واد غشيم صحيح
خجلت وارتبكت ثم ردت بحسم: أنا مبفكرش في الكلام ده دلوقتي
ثم أسرعت للمعمل مندهشة من جرأة أسلوبه ونظراته وقد تضايقت أنها لم تلقن ذلك المسن المتصابي الأدب لأنه عم زميلها
دخلت ووضعت ما بيدها بضيق بجوار جهاز فصل العينات، فرفع سعد رأسه عن الميكروسكوبات والتفت لها يسألها: سحبتي عينات الداخلي بدري كده
- آه، وآخر عينات كانت من أوضة عمك
قالتها بضيق فضحك وعلق: وطبعا عاكسك وإلا ميبقاش فاروق الدويري
زفرت ثم ضحكت رغما عنها وردت: والله العظيم عمك ده مشكلة، مش ممكن طريقته دي، وبعدين إيه حكاية إنه واخد على كده
استأنف عمله وهو يرد: هتلاقيه كسب قضية لحد فالخصم حب يفش غليله سلط عليه حد
قالها بلامبالاة زادت استغرابها فتابع: فاروق الدويري مش زي أي محامي، أنتِ عارفة بيتقال عن عمي إيه
ولم تكن بحاجة لتأكيد، أولته ظهرها وقد حاولت التركيز في عملها ثم أجابت بخفوت ونبرة منكسرة لم يلاحظها هو: المحامي اللي لو إبليس اتورط في قضية يقدر يطلعه منها زي الشعرة من العجين
وكلاهما بعدها لم يرد، هي أكملت عملها حتى انتهت من النتائج وأخبرته بأن عمه على ما يرام بينما هو ظل بمكانه شاردا، يخيفه دوما أن عمه "محامي الشياطين"، ومع ذكرى الوصف تجلت ذكرى

أخرى، لأول يوم رافق فيه عمه لبيته بعد وفاة أبيه، وقد علم بأن والدته تركتهم وتزوجت بآخر

"أمك دي عمرها ما كانت ست محترمة وأنت وأختك لازم تعرفوا كده، أنا ياما حذرت فايز الله يرحمه قولتله إنها فاجرة ومكنش مصدقني

ارتعش جسده فاهتزت يده فسقطت شريحة الزجاج التى كانت تحمل العينة التي كان يقوم بفحصها، انتبهت غادة فسحب شريحة زجاجية جديدة ووضع ما تبقي من العينة عليها ثم عقب مصطنعا التركيز : عادي

ثم أردف بنبرة خبير: أنتِ اتعلمي من الموقف ده إنك مترميش العينات إلا لما تطلعي النتايج وتكتبيها كمان

ثم عاد يكمل متابعة عمله غير مبالٍ لنظرتها التي سعت لسبر أغواره ولكنها بالتأكيد فشلت.

ضُرِبَ الجرس لينم عن انتهاء الحصة الرابعة وبدء الفسحة المدرسية، انتهت لبنى من حصتها ووقفت تجمع أغراضها بينما جاورها عدة طالبات ليسألنها عن بعض النقاط فشرحتها ثم أنهت كلامها ب : مش هتيجي في الإمتحان إلا give reason بس وعمره ما هيسألك فيها إلا كده

بعدها خرجت من الفصل لكنها لم تتجه لحجرة مدرسي مادة ال "science" كعادتها تفاديا لأسئلة زُملائها عن حالتها، يكفيها أن الهالات السوداء أسفل عينيها تنوب عنها بالسرد عن أرقها.

وقفت مستندة على الجدار المواجِه لفناء المدرسة تتابع طلاب القسم الإعدادي وعلى رأسهم ابنها إياد وابن أختها فارس، تدرك أن ابنها بالتأكيد منزوٍ في أحد الأماكن من الفناء يأكل شطائره بمفرده بينما فارس فربما يتشاجر كعادته فيضرِب أو يضرَب حتى ينتهي يومه.
خطت عدة خطوات لتصل لنهاية الجدار لترى فناء المبنى المجاور حيث مجمع الابتدائي على اليمين علها تلمح فريدة أو ريناد رغم صعوبة ذلك ثم وقفت لدقائق في مكانها تطالع الفراغ وهي تهاب أن تلتفت لتنظر عن يسارها، وكأنها تعي ما ينتظرها، بمبنى الثانوي حيث لمياء أختها و........
"نشوى"
"أي كابوس هذا الذي اقتحم حياتنا"
هل من حلول للكارثة التي ستحل بهم دون مواجهة، وفي خضم الشرود فزعت علي إثر رنين هاتفها، نظرت للاسم بضيق فكانت ليلى، تلح بدورها لتعرف ما بها لكنها تتهرب ومع نفاد صبرها اكتفت بالاطمئنان على أولادها والصمت وكأنها تريد التحدث عن شيء آخر ولا تملك الجرأة، استشعرت لبنى ذلك فسألت: في حاجة عايزة تقوليها
بصوت غلفه بعض الاستياء أجابت: في حاجة حصلت من يومين موتراني قوي ومن كتر التفكير تعبت وقررت أقولك
- خير يا بنتي قلقتني
- من يومين بابا جالي الشغل واتكلم معايا لو حد محتاجلي والستر أولى وآخر الكلام صاحبة لميا المبجلة نشوى هانم "حامل"
- إيه!!!!!

شعرت وكأنها ضربت على رأسها بمطرقة قسمتها لنصفين وقد انسحبت روحها من جسدها، استرسلت ليلى بنبرة غاضبة: أنتِ متخيلة إنها تحكي لبابا حاجة زي دي، إيه قلة الأدب دي وبابا بدل ما يفكر إزاي يبعد لميا عنها بيفكر يتستر عليها، طيب ليه؟
هدأت ثورتها لعلها تسمع ردا على كل ما سردت ولكن الصمت كان الجواب الأعظم فهتفت: لبنى لبنى آلو آلو.....
سقط الهاتف من يدها بل وسقطت هي مغشيا عليها، ساد الهرج والمرج وقد تجمع حولها بعض زملائها لمحاولة إفاقتها بينما كانت هي بعالم آخر، تسترسل فيه كل الصور لتتجاور وتحكي حكاية مريرة عن علاقة محرمة هي على علم أنها تجمع والدها وصديقة أختها.

"اللهم اضرب الظالمين بالظالمين"
تعليق مرافق لصورة عمها فاروق الدويري بجوار خبر منشور عنه كونه تعرض لحادث وعدد المعجبين بالمنشور قد تجاوز الآلاف ولم يختلف الأمر على مقدار مشاركة المنشور أو عدد التعليقات عليه؛ تحمل جميعها دعوات له بسوء خاتمة يلائمه بقدر ما ظلم على مدار حياته.
ابنة أخي الظالم هي،لكنها تعلمت منه أن أعداء الناجحين هكذا دوما وأن من يريد الاستمرار في طريقه عليه ألا يبالي بضجيج المثرثرين
توقفت سيارة الأجرة أمام المحكمة ونزلت إكرام متجهة للداخل لتحضر مرافعة شهاب على إحدى القضايا، دخلت في هدوء لتستمع لمحامي الخصم حتى جاء دور محامي الدفاع، لكن من حضر عن مكتب فاروق الدويري كان "أيمن الدويري" نفسه، وكعادته أنجز

مرافعته في دقائق متتالية، دحض فيها كل كلام محامي الدفاع وشكك في التسجيلات الصوتية ونفى عن موكله التواجد وقت وقوع الحادثة واستدعى شهوده وأنهى القضية لصالحه
"حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم مما نسب إليه"
قالها القاضي فتعالى الهتاف: حسبنا الله ونعم الوكيل
جملة اعتراضية عابرة لم تستوقف أيمن بل استوقف هو بعدها والد موكله ليسأل عن بقية الأتعاب ومتى سيصل بها لمكتبه، تابعت إكرام الحوار من مكانها حتى لمحها أيمن فأشار لها وأنهى حواره وتقدم نحوها وباستغراب سأل: مقلتيش أنك جاية يعني
بهدوء أجابت: شهاب كان عارف لأن هو اللي قالي على القضية وقالي إن هو اللي هيترافع
تابعا السير دون أن يرد على ما قالته وما لاحظته عليه أنه تضايق ثم وقف للحظة وسأل مستجوبا: مش ملاحظة إن أنتِ و شهاب الفترة الأخيرة دي بقيتوا أصحاب قوي
صيغة السؤال بل وطريقته المتهكمة فرضت عليها التوقف والنظر له ببالغ الضجر؛ هل يلمح لشيء؟!
ولأنها تدرك طريقة تفكيره ردت بحدة: اسمها زمايل
ثم أردفت: بحكم الشغل في مكتب واحد، بس أنت دماغك لو محدفتش شمال متبقاش أيمن
ببالغ ضيقه أجاب: هي أصحاب فيها حاجة
- أنا مبصاحبش
شعر أنه أثار حفيظتها فابتسم فأسرعت خطواتها لتبتعد عنه ثم جاء رنين هاتفها فوقفت مبتعدة عنه قدر استطاعتها وردت ثم تبادلت

ملامحها باضطراب فرض عليه أن يقترب ليسمع، كانت تنهي مكالمتها مع كريمة والتي أخبرتها بما حدث مع لبنى وطلبت منها مرافقة سعد كي يحضراها لفيلا الدويري لتمكث معهم عدة أيام أنهت إكرام المكالمة وقد فهم أيمن فاستفسر فأخبرته إكرام، ليزداد ضيقه عندها، فوالدته لن تستعين به حين يختص الأمر برياض أو أسرته ورغم ذلك قرر ألا يكترث لضيقه وعرض المساعدة

قائلا:تعالي نعدي عليها ونشوف إيه اللي حصل

وقبل أن يتحرك استوقفته سائلة: أنت مش قلت إنك خارج مع شيري وبعدها هتيجوا علينا عشان تسلم على عمي بعد ما يخرج من المستشفى

وكاد يرد إلا أنها أردفت: وبعدين من إمتى يعني بيفرق معاك حد في بيت رياض

زفر ثم عقب بضيق: أنا غلطان يا إكرام، خلاص اركبي تاكسي وعدي على سعد وروحولها وأنا هبقى أشوفكم بالليل، سلام

قالها ثم اتجه لسيارته دون انتظار أي رد منها، يكفيه جفاءها المستمر معه وكأن كريمة قررت أن تورث طريقة تعاملها معه للجميع، فقط لظنها أنه ابن فاروق المدلل هو الوجه الآخر له، إنه حكم والدته الذي لا يجوز فيه الاستئناف ولم تحاول يوما أن تسمع له مرافعة.

التاسعة من مساء نفس اليوم

التجمع الخامس

فيلا فاروق الدويري

وتحديدا بإحدى غرف الصالون اجتمعوا حيث المباركة لفاروق على خروجه من المشفى، توسط هو الجلسة وعن يمينه جلس أيمن مجاورا لخطيبته شيري وعن يساره جلس مختار بجواره زوجته وابنته لمياء بينما كان سعد وإلى جواره إكرام أمامه، أما كريمة زوجته لم تعِره أي اهتمام منذ عودته بل آثرت أن تجمع أولاد رياض في الغرفة المعدة لهم وتطعمهم، فمنذ سفر رياض وهناك غرفتان متجاورتان أعدتهما، واحدة للبنى والأخرى لأولادها على أمل واحد ترجوه وهو أن يقبل رياض أن تعيش أسرته معها علهم يعوضونها غيابه، لكنه رفض مكوثهم بالمكان الذي أول ما تسنى له الاختيار بحياته تركه

"هو احنغا بخلا مش هاين عليكم تقدموا حاجة للناس اللي قاعدة"

جملة قالها فاروق لتدرك معها إكرام أن عمها يريد أن يفتعل سببا للشجار مع كريمة

تأفف غير مكترث لأكواب العصير التي كانت بأيديهم ولا أطباق الحلوى ولا الفاكهة المتراصة على المنضدة التي كانت تقابلهم ولتتفادى إكرام أجواء التوتر قامت من مكانها وهي توجه كلامها لفاروق: ما هي طنط كريمة قدمت الحاجة وراحت تشوف لبنى والولاد، ولو حضرتك محتاج حاجة أنا أجيبهالك

زاد ضيقه حين بادرت محامية الدفاع عن كريمة، وقبل تعقيب آخر منه تدخلت تيسير قائلة: إحنا مش ضيوف يا فاروق، وبعدين ما كوبايات العصير لسة في إيدينا

ثم لمياء: أكيد اتشغلت مع لبنى وولادها

نظر له مختار نظرة جانبية ثم عقب: أنت لو ملقتش حاجة تتلكك عليها تزعل

كالعادة سيضطرونه لإيثار الصمت عوضا عن مجادلتهم فقرر ألا يلتفت لهم ونظر باتجاه ابنه وخطيبته يتجاذب معهما أطراف الحديث وعندها دخلت كريمة لتبدأ بمضايفتهم دون مبالاة لوجوده، وقد سألها الجميع عن لبنى التى أتت عصرا برفقة سعد وإكرام وأولادها ومنذ مغادرة الطبيب عن غرفتها وهي لاتزال نائمة

طمأنتهم ثم استأذنت إكرام ولمياء لتصعدا لرؤيتها، عندها وقفت كريمة تجمع أكواب العصير الفارغة وهي تعقب: أنا هحضر العشا

ردت تيسير ومعها مختار: لا عشا إيه، احنا بس هنطمن على لبنى ونمشي

- تمشوا إيه بس دي أخيرا قالت إن في أكل في بيتنا

قالها فاروق ثم نظر لكريمة هازئا وأكمل: كويس إنك لسه فاكرة إن البني آدمين بيحتاجوا ياكلوا

ابتسمت ببرود ثم وجهت ردها لمختار وتيسير: ثواني والعشا يكون جاهز

قالتها وخرجت ثم لحقت بها تيسير وقد ساد الصمت لدقيقة، لوحظ فيها صمت سعد كونه لم ينطق بكلمة منذ أن بدأت الجلسة وقد فكر في تركهم والصعود لغرفته إلا أن مختار باغته سائلا: وأخبار شغلك إيه يا سعد؟

وقبل أن يرد بادر فاروق: أكيد زي الفل، ده كفاية البنت اللي معاه في المعمل

- غادة؟!

سأل مختار بتشكك فأردف فاروق بتأكيد: أيوة هي، محيي اللي قالك؟
- آه وقالي كمان إن سعد اللي بيدربها
زفر سعد بضيق إذ أن مختار وفاروق أخيرا وجدا موضوعا يستحق أن يُطرح ويتبادلان الحوار حوله
"على كده هنسمع أخبار حلوة قريب"
سألته شيري وكأنها تنقصه فأجاب بحسم: أنا مش بفكر في الموضوع ده دلوقتي
فعقب أيمن ساخرا: وهتفكر امتى، لما تنضج
تأفف ولم يعقب فقط نظر للجميع ووقف مقررا الصعود لغرفته معتذرا عن العشاء وعن استكمال الجلسة بحجة أعمال لديه بالغد وعندها قرر مختار مرافقته ليرى لبنى.
وبمغادرتهما قرر فاروق الوقوف مقررا هو الآخر الصعود لغرفته ليرتاح وقد طلب من كريمة أن تجلب له عشاءه بها ثم تظاهر بأنه بحاجة لمن يستند عليه وكانت سعادته حين عرضت شيري المساعدة، لف ذراعه حول خصرها واتكأ برأسه على كتفها وسار ببالغ بطئه إلى جوارها، منظرهما لم يشعل أيمن فحسب بل استوقف إكرام عندما كانت تنزل الدرج فبادرت لتساعده نيابة عنها لكنه استوقفها بيده هاتفا: سيبيها يا إكرام سيبيها يا بنتي
وصعد الدرج و قد زاد من بطء خطواته محاولا قدر المستطاع استغلال الموقف ولم تستطع إكرام كتم ضحكاتها وهي ترى ما يفعله ببالغ الاصطناع والتفتت لتكمل نزول الدرج لتجد نفسها كادت تصدم بأيمن فوقفت، لاحظ ضحكاتها المكتومة والتي أكملت غيظه فأكمل

صعود الدرج وسحب خطيبته وأسنده نيابة عنها وهو يشير لها أن تفتح لهما باب الغرفة وعندها بادله فاروق النظرة

كلاهما اغتاظ من الآخر وكلاهما آثر الصمت، يعرفان بعضهما جيدا ويفهم كل منها ما يدور بخَلد الآخر عن كثب، أدخله أيمن سريره ودثره بغطائه قائلا: لو احتاجت أي حاجة نادي عليا أو على إكرام

بالغرفة المقابلة كانت لبنى تتوسط السرير مدثرة بالغطاء والشحوب كاسٍ وجهها بشدة بينما لمياء تجاورها، وتيسير بمقعد مجاور لسريرها، سحب مختار مقعدا آخر وجاور تيسير والتى قررت أن تتحدث له كون لبنى لا ترد عليها فهتفت: عاجبك عمايل بنتك، تتعب تيجي بيت حماها وكأن ملهاش أهل

نظر لها مشفقا على حالها ثم رد على زوجته: سيبيها ترتاح دلوقتي

نظرت له شزرا ثم تابعت: ما أختها راحتلها البيت تطمن عليها بدل ما تطلب منها تجيبها على بيت أبوها، تسيبها وتيجي مع إكرام وسعد، ليه؟

زفرت لمياء وردت بدورها: وإيه المشكلة، ما ده بيتها برضو

- اسكتي أنتِ

قالتها محذرة مما دفع لمياء للتأفف مقررة ترك الغرفة والاتجاه للمطبخ لمساعدة كريمة

عندها زفر مختار بشدة واضحة فانتقلت تيسير بكلامها إليه هاتفة: وطبعا عايزني أخرج عشان أنت تطبطب

ثم قالت للبنى: أنا بس عايزاكِ تعززي نفسك، إنما أنا هسكت عشان عمر ما حد فيكم سمع كلامي.

ثم غادرت لتلحق بلمياء، فقام مختار من مكانه وجلس على طرف سريرها ممسكا بكفها وهو يسأل: الجميل تعبان ولا زعلان وسواء كده ولا كده، مش المفروض إني أول واحد لبنى بتحكيله كل حاجة
بكت بحرقة لم يتوقعها فما قاله رغم صدقه أوجعها، لقد كان بحياة بناته كل شيء، كان المعوض عن أم ربتهم على الشدة والغلظة لأنها ظنت أن ذلك الأفضل لهن
مسح بيديه دموعها وضمها لتضع رأسها على صدره وتبكي، لكن كل هذا لن يجدي، ائتني بأطباء العالم وأدويته واسألني وأنت الطاعن؛أشُفيتِ؟
ما الإجابة المتوقعة مني والنصل لايزال بصدري،أنت لا تعرف ما الذي فعلته؟
مسح على رأسها وعقب: لو تعبانة بلاش نتكلم دلوقتي، هاسيبك ترتاحي وهاجيلك بكرة نتكلم، أي حاجة عايزاها هنفذها،المهم عندي أشوفك كويسة
هم ليغادر فرفعت وجهها ببطء تجاهد بصرها لرؤيته وقد عجزت أن تفعل منذ مجيئه ثم استوقفته سائلة: ليه؟
لم يفهم وطالعها باستغراب فتابعت: ليه يا بابا الكسرة تيجي منك؟
انتفض جسده على إثر خفقة عصفت بقلبه فأصابته بخوف، انتظرها تكمل لكنها صمتت، فكر أن يتجاوز الأمر ويخرج ولكنه شعر أن هذا سيكون الاختيار الأصعب فقرر أن يسأل: كسرة إيه يا بنتي؟
فخرجت إجابتها المميتة لكليهما: أنا عرفت كل اللي بينك وبين نشوى
"نادي عمك مختار يا إكرام"

قالتها كريمة بعدما أعدت الطعام على الطاولة، ثم رفعت كوبا من عصير البرتقال وأعطته إياها وهي تكمل: إديه للبنى تشربه

صعدت فعاودت كريمة نداءها كي تخبر سعد عن العشاء فاستوقفتها لمياء لتنوب عنها بحمل العصير والاتجاه لغرفة أختها، وما إن وقفت أمام باب الغرفة حتى استوقفتها حدة صوتهما رغم خفوته ولم يزد استغرابها إلا اسم نشوى الذي تكرر بينهما، فخشيت أن يكونا قد علما بأمر حملها والشجار بسبب كونها صديقتها، فتحت الباب بهدوء لتعرف وهنا جاءتها الصدمة حين سمعت ما قرر مختار أن ينهي به كلامه مع لبنى فقال محتدا: أنا معملتش حاجة غلط، أنا تممت جوازي من نشوى بشكل رسمي ومعترف إن اللي في بطنها ابني ومن صلبي

صدمة اجتاحت بطريقها كل شيء حتى كوب العصير كونه تهشم!

(2)

لم يستطع النوم وبات يتقلب على سريره حتى شعر ببالغ الاختناق فقام، كم كان صادما ما حدث، والآن عليه أن يعترف أنه بات بمواجهة حاسمة مع بناته الثلاث وقد يتطور الأمر حد مواجهة زوجته، نزل عن سريره وقرر أن يتجه لغرفة لمياء ليبرر لها الأمر لكن صوت بكائها استوقفه، أخيرا تحررت من القناع البغيض الذي ارتدته أمام الجميع لتمثل ببراعة أنه لم يحدث شيء، كاد يطرق الباب لكنه تراجع باللحظة الأخيرة خشية أن يزداد الأمر سوءا.

طوال حياته لم يتسبب في عبوس واحدة من بناته لكنه اليوم يبكيهن، توجه للحمام فتح الصنبور وظل يغرق وجهه بالماء عدة مرات ثم رفع وجهه لينظر للمرآة

"كبُر"

تلمس بأنامله قسمات وجهه ناظرا لشعره الرمادي

"مسنّ"

لكنه لايزال يحتفظ بجزء من الوسامة لطول قامته واحتفاظه بالرشاقة، يشبه "تومي لي جون" هكذا كانت تخبره نشوى دوما حتى وإن كانت تبالغ في مديحه لكنه لن ينكر أبدا أن كلماتها تلك هي التي أعادته للحياة، هي التي منحته السعادة

"عمو مختار"

وكانت البداية، فتاة ترافق ابنته ليل نهار، حتى أنه بات يعتاد تواجدها في منزله بحجة الاستذكار مع ابنته، ولو تأخرت ليلا يفرض تأخيرها عليه إيصالها إلى منزلها، طريق لم يكن يشعر بطوله لأنها

ما كانت تصمت، وكأنها كائن مخلوق من طاقة، روحها كمغناطيس يجذب كل شيء بطريقه ومن هو ليقاوم
"بحبك"
وللكلمة وقع آخر
صدمة فرضت نفسها على المسن فسأل: أنا
والقلب يتوسل إيماءة بإيجاب رغم الفوارق، وحين وجدها قرر صدها مؤكدا أنها مشاعر مغلوطة وأن عليها الاستفاقة، حزنت بكت هربت، فانتابه الجنون وحين عادت، تلقفته بين مد وجزر
تارة تغدق فيغرق
وتارة تقسو فيهذي
ما عاد يملك القدرة على الاستغناء، فهي روحه، أنفاسه،ماؤه وهواؤه، هي الحياة التى دبت في أرض جدباء فاحتالت الصحراء جنة.

وبدورها جفا النوم عينيها وحين شعرت بالشروق قامت، ثمة سر تخفيه لبنى عنها وراء إغماءتها بل وراء حالتها طيلة الأيام السابقة فما هو؟
أمسكت بهاتفها لتتفحص إن كانت هناك رسائل؛ وبتطبيق الواتس آب وجدت عدة رسائل من لمياء، فتحتها لتقرأها في غير توقع منها لما كان فيها حتى تبينت الأمر ففهمت سر اهتمام أبيها بحمل صديقة أختها
"مستحيل"

وضع يدها على فمها مصدومة وقد أدركت أنها كانت آخر من يعلم، نكست رأسها باكية حتى قاطعها صوت رسالة جديدة من لمياء وكأنها كانت تنتظرها، لتؤكد عليها أن مقابلة ستجمعهن بالغد في بيت لبنى كي يتحدثن ويتشاورن فيما عليهن فعله

"مش جايز عايز يستر عليها والموضوع فيه سوء تفاهم"

"بابا هو اللي قال بنفسه"

وما كانت لتستوعب، هل يعقل أن يكون هذا هو والدهن؟

- ماما عرفت؟

- لا

وقبل أن تشرع في كتابة شيء استشعرت أن زوجها استيقظ فقررت إنهاء محادثتهما ثم حذفتها خشية أن يراها أحد، وحين وجدته أمامها أخفت هاتفها خلف ظهرها بطريقة فرضت عليه الدهشة وقبل أي تعقيب بادرت هي بالقيام من مكانها وبررت استيقاظها مبكرا بأنها لم تنم من شدة قلقها على لبنى فقررت أن تهاتفها

نظر في الساعة فوجدها السابعة إلا الربع وعندها زاد استغرابه فعلق: دلوقتي

زاد تلعثمها وما عاد باستطاعتها استجماع الحجج لمتابعة المقدرة على الكذب فأسرعت بالرد: ما أنا قلت أضيع الوقت ع الفون لحد ما تصحى

وبسرعة اتجهت لمطبخها كي تعد الفطور ولا يتسنى له طرح أسئلة أخرى لكنه لن ينكر قلقه من تصرفاتها التى بدت غريبة منذ زارها والدها بالمشفى.

صباح الجمعة لم يمنعه من الاستيقاظ مبكرا ليتوجه لعمله، هندم حاله مرتديا ملابسه التقليدية، بنطاله الأسود قميصه الأبيض ثم البلوفر الرمادي، صفف شعره ثم ارتدى نظاراته الطبية وحمل حقيبة حاسوبه على كتفه ثم خرج من غرفته،بدا واضحا له وهو ينزل الدرج أن الجميع يغط في سباتٍ عميق، لكن صوت صفير إبريق الشاي على إثر غليان الماء وضح أن أحدهم استيقظ، فالتفت عن شماله حيث ردهة صغيرة بجوار الدرج تؤدي إلى المطبخ، ربما كريمة قررت التحضير لدعوة خطيبة أيمن وأسرتها على الغداء؟!
قالها في نفسه حتى دحضت رؤيتها كل تكهناته فهتف مستغربا:
لبنى!
التفتت وقد تفاجأت بدورها، لم تتوقع أن أحدهم قد استيقظ لتجد سعد يطالعها بضيق اتضح حين اقترب بوجهه العابس من وجهها الشاحب ليسأل: بتعملي إيه عندك؟
حملت الإبريق وسكبت لنفسها فنجانا من الشاي ثم ردت بهدوء: زي ما أنت شايف
- إيه اللي نزلك من السرير وأنتِ تعبانة
سأل بإصرار لكنها تعمدت التجاهل،فبعد ليلة طويلة لم يرافقها فيها سوى الدموع قررت أنها ستتصرف بشكل طبيعي وإلا فالجميع سيسأل وعندها لن تتوارى الفضيحة، ودون سؤال أعدت له فنجانا من الشاي وردت بهدوء: دول كانوا شوية إرهاق وراحوا لحالهم، أحضرلك تفطر؟
هل يعقل أن تتبدل حالتها بين ليلة وضحها لكنه غض الطرف وكانت إجابته أنه من سيعد الفطور ولم يمنحها فرصة كونه وضع بعض

المخبوزات والشطائر بطبق بجوارهم فنجاني الشاي ثم حمل الصينية وخرج بها للحديقة منتظرا منها أن تتبعه
لتستوقفها لأول مرة طريقته، فقد تغيرت كثيرا في الآونة الأخيرة، إذ بات بها الكثير من الألفة ورفع الكلفة والمبرر أنه بمثابة أخيها الأصغر كونها تكبره بأربع سنوات، لكنه لم يعد فتى بالثانوية العامة كما كان حين تزوجت من ابن عمه لقد صار رجلا يظنه كل من يراه معها زوجها وتبدلت هيأته ليبدو هو الأكبر
"لبنى"
عاد ليناديها مستغربا أنها لم تأت، حدقت به مليا وأمام نظرتها ابتسم ثم اقترب منها عاقدا ذراعيه أمام صدره وهو يسألها: روحتِ فين؟
- هه
- الشاي هيبرد، يلا عشان نفطر
ظننت أنه قد يمسك بيدها من باب المزاح لكنه لم يفعلها لم يصل التباسط بينهما إلى حد الملامسة ولكن الأمور اختلفت ويبدو أن عليها أن تراجعها ولكن.....
هل سيفيد المعلمة إدراك الإجابة الصحيحة بعد تسليم الورقة؟

الرابعة عصرا
فيلا الدويري
والناظر لها من الخارج قد يستغرب لشدة فخامتها أن العاملين هنا فقط هم حارسها وزوجته، والمطبخ هو خط أحمر على أي طباخ أو مساعد، ففاروق قبل كريمة يكره أن يتطفل على بيته أحد ولولا كبر

منزلهم لما احتاجوا من زوجة الحارس وعاملة إضافية تنظيفه كل أسبوع تحت إشراف كريمة
كانوا اليوم بانتظار أسرة شيري خطيبة أيمن الجديدة،أعدت كريمة طعام المأدبة برفقة إكرام ولبنى، وما إن انتهين حتى بدأت إكرام بإعداد طاولة الطعام بحديقة الفيلا كما طلب أيمن.
واتجهت لبنى للغرفة التي جمعت أولادها الثلاثة للاطمئنان عليهم، وقد انشغلوا بين الحاسوب والهواتف على بعض الألعاب الإلكترونية، ولو سقطت إبرة هنا من شدة صمتهم وتركيزهم سيدوي صوتها.
زفرت لبنى وعقدت ذراعيها أمام صدرها لتسأل: الواجب اللي أخدتوه في المدرسة إمبارح اتحل منه حاجة؟
قفز زياد من مكانه وأتى أمامها ورد: أنا عملته كله
أومأت برأسها ثم نظرت للكبار وسألت: وحضراتكم؟
أسرعت ريناد وأجابت: يا ماما النهاردة الجمعة سيبينا نلعب شوية
ظلت تترجى فدعمها إياد ليؤيد موقفها: آه يا ماما انهاردة بس please please please
فلم تملك إلا أن تزفر بفراغ صبر أمام ترجيهم وقد عقبت: طيب اعملوا حسابكم إننا هنروح بكرة الصبح
هتفوا سويا ببالغ الضيق: ليه بس؟
- أنتم عندكم مدرسة الأحد وإمبارح مجبتوش معاكم حاجة من الواجب اللي كان عليكم
ثم نظرت لثلاثتهم وسألت وقد قررت أن تقذف الكرة في ملعبهم: تختاروا انهاردة تلعبوا ونروح بكرة تخلصوا اللي وراكم ولا ألغي كل ده ونمشي من دلوقتي

دون تفكير أجابها إياد: خلاص يا ماما بكرة
فنظرت لزياد وريناد لتسأل: الإخوة عندهم رأي تاني
فلم تستطع ريناد كتم فضولها وسألت: طيب حضرتك هتيجي المدرسة أزاي وأنتِ تعبانة؟
بابتسامة ماكرة وضعت لبنى يدها على كتف ابنتها وأجابتها: أنا هاخد أجازة تلت أيام وبعدها هرجع، بس أنتم هتروحوا عادي، أي أسئلة تانية
- لا، يا فندم
ثم وجهت نظرها لزياد سائلة: والأستاذ زياد
مط شفتيه ورد:اعملوه اللي تعملوه، هو من امتى حد بيهتم برأي واحد في جونيور تو؟
ضحكت على طريقته وقد ضربت كفا بكف وبعدها ردت: وأدي أخرة اللي يمشي ورا العيال محدش عجبه
- هو كده وحضرتك اللي مشيتي ورانا، امال لو إحنا اللي مشينا ورا حضرتك كان هيبقى الاختيار إيه؟
"ريناد"
أو "اللمضة" كما تنعتها، والتي لن تسكت دون أن تعقب تماما مثل خالتها الصغرى
ومع نظرة لبنى لها صمتت وعادت كبقية إخوتها للعب
"عشر دقايق ولما أنادي عليكم تنزلوا عشان الغدا"
وكان هذا آخر ما قالته لبنى قبل تركهم وعند نزول الدرج قابلت فاروق قدرا، تدرك مدى سوء العلاقة بينه وبين رياض وما يكنه كل منهما للآخر لذا تفضل تفاديه عندما تأتي تماما كما يفعل معها، لكن

هذه المرة وقفت لتطمئن على صحته وسألها هو بدوره: أنتِ كويسة؟

- الحمد لله أحسن وهمشي بكرة الصبح

- أنا مش بسألك ماشية امتى يا ست لبنى

قالها بتهكم فصدمت لأنها لم تقصد ولكنه لم يتوقف عندها بل أردف: لو مش عايزة تيجي متجيش محدش غصبك، بس طول ما أنا عايش ولحد ما أموت ولاد ابني هيفضل ليهم في البيت ده حتى لو أبوهم ذات نفسه مش عاجبه

- عمي أنا...

"فاروق"

كادت لبنى توضح لكن كريمة استوقفتهما بندائها وقد قررت إخبار زوجها أن ضيوف ابنه أيمن قد وصلوا وأن عليه أن يستقبلهم

نزل درجات السلم ومر بجوار كريمة دون أن ينظر لها أو يرد بكلمة، وخرج للحديقة مرحبا بضيوفه بابتسامة عريضة وحفاوة استثنائية بينما نزلت لبنى لتجد كريمة تخطو باتجاهها واضعة يدها على كتفها لتعقب: مش عايزاكِ تزعلي منه أنتِ عارفة طريقته وكلنا هنا بنفوت

أومأت لبنى برأسها بتفهم فابتسمت كريمة واتجهتا للمطبخ.

عندما كانت إكرام تقوم بوضع الأطباق على المائدة، صف سعد سيارته عند وصوله ثم توجه لإكرام وقد سَئِم حين رأى شيري وأخاها وأبويها قد جلسوا برفقة فاروق وأيمن على الأرائك الموضوعة بحديقة الفيلا للضيوف بينما أخته ولبنى وزوجة عمه سيكون منوطا بهن خدمتهم.

سحب عددا من الأطباق وشرع في مساعدتها دون أن يتفوه بكلمة لكن إكرام أدركت حاله حين نظرت لوجهه فعقبت: افرد وشك يا دوك وخلي اليوم يعدي
زفر بشدة وهو يضع آخر طبق بيده ثم رفع رأسه لها ورد: هيعدي يا إكرام، هيعدي
نادت شيري عليها لتطلب منها إحضار كوب ماء لها، ورغم غيظها من طريقتها اتجهت لإحضاره فاستوقفتها لتكمل: بس تكون ساقعة
عندها ردت إكرام بتهكم: أنا متأكدة إن ملكيش غير في الساقع
بهت وجه شيري بينما كتم أيمن ضحكته فنظرت له بحدة وقد رفعت حاجبها فسكت، ثم التفتت لفاروق تسأل بتعجب: معقول يا عمي فيلا كبيرة زي دي ومفيهاش ولو حتى خدامة واحدة
- وإحنا هنحتاج خدامة في إيه ما كريمة موجودة
قالها هازئاً وهو يضحك، مما دفع الجالسين للذهول من إهانته لزوجته بمنتهى السلاسة وقد امتعض أيمن من كلامه فنظر لشيري وسألها: تحبي تشوفي الفيلا؟
بادر فاروق بالرد: ده سؤال برضو، قوم فرجها عليها
ابتسم أيمن ببرود ثم أمسك بيدها مقررا ترك جلستهم المملة، فعقب فاروق عندها: متنساش تجيبلهاماية
- مش هنسى
كان سعد قد بدل ملابسه وعاد ليجد إكرام ولبنى بدأتا بجلب الطعام للخارج عندها أشار إليهما شادي سائلا: دول أخوات سعد، إكرام والتانية تبقى مين؟
أجابه فاروق: لبنى، تبقى مرات ابنى الكبير رياض

وقبل أن يرد شادي عقبت والدته: ده اللي بيشتغل في السعودية انزعج بمجرد أن تغير مسار الحوار لذكر رياض وقد حدد أنه مهندس مغترب يعمل في جدة

ولم تكن تلك التفاصيل تعني شادي وهو يراقب لبنى مبتسما، فقط يكفيه أنها جميلة ووحيدة -

لذا اتجه ناحيتها ما إن عادت إكرام للمطبخ مقررا ادعاء رغبته في مساعدتها

- تحبي أرتب معاكِ حاجة؟

استغربت وردت: لا شكرا

كان سعد قد جلب أبناءها وأتى لتستوقفه رؤيتهما وشادي يؤكد وقد زادت ابتسامته: إحنا خلاص بقينا أهل يعني دي حاجة عادية

ما استشعرته إكرام حين عادت أن اليوم لن يمر كما قال سعد، كونه توسط شادي ولبنى سائلا بحدة: في حاجة؟

آثرت لبنى الدخول وتركتهما ليرد عندها شادي في هدوء: أبدا حبيت أساعدكم

قالها وقرر أن يتوجه لداخل الفيلا لكن سعد منعه واضعا يده أمام صدره وهو يجيبه: طنط كريمة مبتحبش حد غريب يدخل مطبخها، روح أقعد

و حدة الجملة فرضت عليه ابتسامة برود قرر بعدها أن يجعل منه تسليته عله يكسر رتابة ذلك اليوم.

تم تجهيز الطعام ولم يتبق سوى مناداة أيمن وشيري، أشارت لبنى لإياد ابنها الأكبر ليفعل بينما توجهت كريمة للترحيب بضيوفها

ودعوتهم للطعام، كانت إكرام آخر من خرج من المطبخ فسألت عن إياد فأتتها إجابة لبنى: راح ينادي أيمن وشيري

وهنا وقع قلبها في أخمص قدميها فأسرعت لتلحق به ولكن قد فات أوان إسراعها فإياد وجدهما بالحديقة الخلفية ووقف لدقيقة لايدري ماذا يقول لعمه فسعل ليعتدل أيمن ويلتفت إليه ثم قال مسرعا: تيتة بتقولكم الأكل جاهز

قالها وركض لوالدته بينما نظرت إكرام باتجاه أيمن وقد بدل الغضب ملامحها فاتجهت إليه وقد مدت يدها له بمحرمة ورقية ناظرة لآثار أحمر الشفاه التي لطخت شفتيه ورقبته وأمرته أن يزيل أثرها عنه ويهندم حاله قبل أن يلحق بها لمائدة الطعام

كادت تتركهما لكنها من فرط غيظها اقتربت منه تهمس بحنق:يا ريت بعد كده لما يبقوا ولاد رياض هنا تبقى تراعي تصرفاتك كعمهم

كاد يبتسم لشعوره بغيرتها لكنه اكتفى بإيماءة تابعت بعدها: وبعدين هي شقتك القديمة راحت فين ولا الآنسة مؤدبة مش بتروح شقق

ولم يشف تعنيفها له غليلها لكنها التفتت تعود أدراجها وقد شعرت أن غيرتها قد تنجلي، تنهد متابعا عودتها وقد تيقن بأنها لن تعترف يوما بما في قلبها، بل ومتشابكات الأمر كُثر على رأسها أن زواجهما مرفوض من قِبل والديه وأخيها بل وهي نفسها

قطعته شيري من شروده غاضبة، إذ كيف سمح لابنة عمه أن تهينها هكذا وكيف له ألا يدافع عنها أو يرد عما قالته وبالتأكيد أسعفته مهنته حين قرر أن يحتوي غضبها بإغداق المدح تارة، وتأكيد محبته تارة أخرى حتى أطلت ابتسامتها ثم توجها ليجتمعا بالبقية حول طاولة الطعام

والناظر للمجتمعين يظنهم أسرتين يتوددان لبعضهما كونهما يسيران باتجاه مصاهرة لكن حقيقة الأمر تختلف، فأغلبهم يجلس على مضض والجلسة على قلبه تحمل بالغ الثقل وعلى رأسهم أيمن نفسه كلما لاحظ نظرات والده لخطيبته، وإكرام وقد شعرت بالغيرة رغما عنها لكنها ذكرت نفسها بأن أي مشاعر لأيمن ليست في محلها،
كريمة وهي تحاول التماسك كي لا ترد على كل سخافات زوجها والتي لا تصب إلا في مزيد من إهاناتها
لبنى والتي اضطرت أن تُجاري حوارات شادي ومزاحه المستمر رغم النظرات التي لاحظتها وتضايقت منها ولا تعرف سبيلا لردها.
وأخيرا سعد الذي بالكاد كظم غيظه حتى لا يتشاجر مع شادي وتمر تلك الجلسة الثقيلة دون مشاكل
ولأن لبنى شعرت باحتقان الأجواء قررت أن تستغل كون أولادها قد فرغوا من تناول طعامهم مقررة الصعود معهم لغرفتهم لتجد السؤال من شادي: على فين يا لبنى
لم تستغرب وحدها بل بدا واضحا للجميع حتى أيمن، أن شادي يريد التباسط مع زوجة أخيه فزاد ضيقه وعندها ردت لبنى بحدة واضحة:
أنا والولاد خلصنا أكل
ثم وجهت كلامها للبقية: محتاجين أي حاجة يا جماعة
فأجابها هو نيابة عنهم: الحقيقة النهاردة كل حاجة كانت perfect
، طنط كريمة تستاهل جايزة نوبل في الطبخ
ثم قام من مكانه مشيرا لها أن ترافقه ليعرف مكان الحمام وقد وجه كلامه لكريمة: عمري ما كنت أتخيل إن في أكل بالجمال ده، حقيقي كل حاجة في بيتكم حلوة قوي.

(وهنا وكفى)
قالها سعد في نفسه ولم يملك معها حُسن تصرف، فعصبيته اجتاحته قبل أن تجتاحهم، قذفه بملعقته في وجهه شادي ثم أمسكه من قميصه ليدفعه ناحيته، ساعده في ذلك كونهما جالسين مقابلين لبعضهما، وفي أقل من لحظة و في تلاحق لم يستطع إيقافه أحد كان صراخه الغاضب
(أنت مفيش حد مالي عينك)
(من الصبح ساكتلك وباقول دلوقتي يتلم لكن واضح أنك جبلة ومعدوم الدم)
(بس العيب مش عليك العيب على اللي فتحلك بيته وأنت واحد مش محترم)
موقف فرض على لبنى إجبار أبنائها على الصعود لغرفتهم ثم الصمت إذ شعرت أنها رغما عنها باتت سبب الشجار، دفع شادي يد سعد بعيدا عنه ثم أجابه ببرود: أنت مضايق ليه، هو اللي يمدح حاجة حلوة يبقى مش محترم
قالها وهو يمنح لبنى نظرة جانبية فرضت على سعد لكمه، سقط أرضا وعندها سعى أيمن كي يتوسطهما إلا أن سعد باغته ووقف قبالة شادي ليجذبه من قميصه وهو يهتف: أنت قليل الأدب ولو مش قادر تقعد في البيت ده باحترامك يبقى تتفضل من غير مطرود من هنا
"سعد"

قالها أيمن ليسكته ثم تابع: أنت زودتها قوي الناس دول ضيوفي وأهل خطيبتي والبيت ده بيت فاروق الدويري يعني ابنه هو اللي يقول مين اللي يقعد ومين اللي يمشي لما يبقى بيتك ابقى احكمه
- بيتي غصب عنك أنا مش عايش هنا شفقة أنا ليا حق ولو مش عجبك يبقى نتحاسب
"كفاية"
قالها فاروق لينهرهما ثم تابع: مش ولاد الدويري اللي يمسكوا في بعض على حياة عينه وكلمة زيادة أنتم الاتنين هيكون ليكم حساب عليها
وعندها عقب والد شيري: أظن احنا اللي المفروض نقول كفاية
ثم نظر لعائلته هاتفا: يلا بينا
قالها والتفتوا ليتجهوا للبوابة وقد تابعهم أيمن في محاولة منه لتهدئة الموقف بينما نظر فاروق ببالغ غيظه للبنى ثم قرر الصعود لغرفته وقد نادى كريمة لتتبعه وفعلت رغم أنها كانت لاتزال في صدمتها مما حدث، شعرت إكرام بالقلق من شجار آخر محتمل بالداخل فأسرعت خلف كريمة بينما ظل سعد بمكانه يحدق في الفراغ بعدما رحل أيمن وضيوفه، شعرت لبنى أن ما ينبغي عليها فعله هو الرحيل بأولادها الآن، فالتفتت لتصعد مقررة الرحيل مكتفية بما حصدت من مشاكل جديدة
"لبنى"
ناداها فوقفت ثم التفتت لتجده يخطو نحوها حتى بات قبالتها فبرر: لعلمك كل تلميحاته دي كان يقصدك أنتِ بيها،أدي أخرة مجايب الأستاذ أيمن

حدقت في ملامحه المنفعلة وهو يتابع: كل مرة يجيبلنا عيلة أنيل من اللي قبلها وشوية ناس زبالة

لازالت صامتة تسمعه دون أن تحرك ساكنا وهو ينظر باتجاهها يمني نفسه فهم ما يدور بخلدها ولكن لا علامة، سكت لدقيقة ثم عاود كلامه وسأل بكل ضيقه: بتبصيلي كده ليه يا لبنى، أنتِ شايفاني غلطت في حاجة؟

بهدوء سألت: ليه مسكت في خناقه يا سعد؟

- كنتِ عايزاني أشوف قلة أدبه معاكِ وأسكت، هو لو كان عمل كده مع إكرام أنا كنت هسكتله؟

- إكرام تخصك يا سعد، لكن أنا لا

- أنتِ كمان تخصيني يا لبنى، أنتِ مرات ابن عمي ولو رياض كان هنا كان......

- كان إيه يا سعد، ما أيمن كان موجود وعمي فاروق ومحدش منهم علق أو حتى اتضايق اشمعنى أنت؟

صدمه انفعالها وعصبيتها وهي تجرده من أي امتيازات ظن أنه قد حصل عليها بمجاورته لها طوال السنوات الماضية فقرر تذكيرها فهتف: أنا بنفذ وصية رياض،اوعي تنسي إني مكانه ولحد ما يرجع أنا مش هسمح لحد إنه يضايقك أو يضايق ولاده بكلمة أو........

- كفاية بقى يا سعد، ويا ريت تفهم كلامي ويكون واضح ليك من غير ما تزعل مني، أنا مقدرة حبك لرياض لكن في خطوط حمرا محدش مننا ينفع يعديها

نبرة محتدة لم يرها من قبل فرضت عليه الصمت وهي تكمل: أنت ينفع تكون مكان رياض مع أولاده، مع عمي فاروق أو طنط

كريمة،لكن أنا لا، عشان المكان الوحيد اللي مينفعش تكون فيه بدل رياض هو مكانه معايا
صفعته بجملتها وهمت راحلة ليموج عقله بألف سؤال وعلى رأسهم، ما الذي يمثله وجوده عندهم إذا؟

صباح يوم الأحد، جمعهن منزل لبنى، وصراخهن ببعضهن وقد زعقت بهما لبنى بانهيار
"كفاية"
زعقت بأقصى ما تملك من بقايا قوة ثم ارتمت على الأريكة المقابلة لها، دفنت وجهها في كفيها وبكت بكل ذرة فيها، أمنية قصوى أن يكون الأمر كذبة لكن هيهات فالحقائق دوما تصدم، جاورتها لمياء باكية تحدق في الفراغ ثم تمتمت ببالغ شعورها بالقهر: يعني أنا السبب زي ما ليلى بتقول، أنا اللي دخلتها بيتنا وقربتها من بابا
جلست ليلى بالمقعد المقابل لهما دون رد، فلمياء تعيد على مسامعها ما قالته لها لتوها، نكست وجهها أرضا زافرة لا تدري هل من حل؟
فرفعت لبنى وجهها وبادلتها النظر سائلة: بدل ما ندور على حل، بنتخانق في مين السبب؟
ردت ليلى بعصبية: عشان لو لميا سمعت كلامنا وقطعت علاقتها بالزبالة دي، مكنش كل ده حصل
- أنا كنت أعرف منين إن بابا ممكن يبص لصاحبتي ويحصل بينهم كل ده

وقفت ليلي في مكانها وبصوت أشبه للصراخ اندفعت لترد: أنتِ هبلة يا بت أنتِ، بت مايصة زي دي رايحة جاية معاكِ وكل يوم في بيتنا بحجة المذاكرة، مستنية منها إيه

اندفعت لبنى لتقف بينهما إذ بدا أنهما سيعيدان الكرة، لكن لمياء لم ترد فأمسكت لبنى بذراعي ليلى وهتفت فيها: ممكن تبطلي العصبية بتاعتك دي وتهدي

كانت تعلم أنها تطلب المستحيل بعدما تجلى لهن اعتراف والدهن والذي كان بمثابة طعنة بصدورهن، ساد الصمت حتى عقبت لمياء بما لم تتوقعه كلاهما، حين قررت ذكر اسم شاب كانت نشوى على علاقة به قبل معرفة والدها، وما إن قيل الاسم حتى ظنت ليلى أنها وجدت بغيتها، فلم تنتظر منهما أي تعقيب إضافي وهي تردد بصوت عالِ أن الأمر هكذا اتضح

"ما هو مش منطقي إن واحد في سن بابا ومريض سكر، يتجوز ويخلف"

قالتها ليلى فردت لمياء: بس دي قطعت علاقتها بمازن من زمان

- كفاية إننا نشكك في نسب الطفل

نظرت لبنى لكليهما ثم ضربت كفا بكف وقد شعرت بالغيظ، لقد أخطأت حين ظنت أنه من الممكن أن يتوصلن باجتماعهن لحل ولكن كيف وقد تربين أن تكون أخوتهن على المحك، زفرت ثم جلست وقد عقدت ذراعيها أمام صدرها فنظرت لها ليلى بضيق، لأنها ما عادت ترى حلا إلا من خلال التهديد وإظهار قوتهن أمام نشوى قبل والدهن، لكن ماذا لو عاند ثم قرر إتمام الأمر غير عابئ بكلامهن

- هنعمل إيه ساعتها

- مجرد فكرة التشكيك ده هتخوف نشوى وبابا نفسه هيبقى عايز يتأكد
- طيب افرضي إنه طلع الطفل منه فعلا
سألت لبنى فعقبت لمياء: ساعتها هيبقى ضدنا معاها
- ممكن تسمعوني؟
ساد الصمت فبدأت ليلى بسؤالهما: عشان نحل الأزمة دي لازم نسأل الأول هي عايزة من بابا إيه؟
أجابتها لبنى بضيق: جايز يستر عليها، وجايز فلوسه
- جميل، يبقى إحنا نقطع عليها الطريق
ولأنها شعرت بأنهما لم يفهماها قررت الشرح، سيقمن برفع قضية للتشكيك في نسب الطفل وقضية حجر على ممتلكات والدهن، وعندها حتى لو نُسب الطفل لوالدهن لن تحصل نشوى على شيء
كانت تشعر بالحماس حيال فكرتها رغم شهقة لبنى وذهول لمياء
- على آخر الزمن هنقف لبابا في المحاكم
قالتها لبنى بأسى فردت ليلى وقد بدا عليها القلق: أنا كل اللي قصدته تهديد، نهدده بالحجر ونهددها بالتشكيك في النسب وساعتها ممكن بابا يسوي الموضوع معاها من غير فضايح
- بابا عمره ما هيصدق إننا نقدر نعمل كده
قالتها لمياء وأكدت: ولو عاندنا مش هيكون قدامنا حل غير التنفيذ، ساعتها هنفذ؟
ثمة مواقف عند حدوثها لا تملك إلا تعرية ضمائرنا، ورغم التيه رأت ليلى أنه لو أصر فإنه عندها يستحق، ولم تتفاجأ لبنى، كانت تدرك أن

الحلول لن تكون وردية لكن الصادم هو اختيار أسودها ليكون المناسب
"هنحتاج محامي يحط بابا قدام الصورة ويخوفه لو عاند من النتايج"
بات واضحا لأختيها أن كل ما بات يشغلها أن تنتهي تلك الأزمة دون مساس باسم الطبيبة المرموقة، ولم تملك لبنى تعقيبا لأنها بالأساس لا تملك حلولا ولم تعلق لمياء لإدراكها أن أي حلول ستتوصل لها أختيها الأكبر منها فهي بالتأكيد الأفضل
- محامي شاطر
أعادتها وكأنها تفكر، فهتفت لبنى تسأل: مين يعني
فأكدت دون انتظار لردودهما: فاروق الدويري

(3)

تقلب على سريره دون أدنى رغبة في النوم وكلما جاهد نفسه للتناسي أتت جملتها بعقله كوميض أحمر خاطف، يشير إلى من يراه بأن هناك خطرا يستوجب منه الحذر

"لكن المكان الوحيد اللي مينفعش تكون فيه بدل رياض هو مكانه معايا"

جملة فرضت عليه أن يعيد حساباته فيما سبق ويسأل نفسه فيم كان الخطأ؟

أليست هذه وصية رياض منذ سفره؟

وهو ينفذها ويهتم بأمرها؛ بل ويدعمها ويساندها في أحلك اللحظات، أنسيت أم تفتعل النسيان؟

زفر بشدة ثم قرر الخروج للشرفة وقد شعر بالضيق من كون الأمر قد احتل من وقته وعقله الكثير، يريد أن ينفض عن رأسه التفكير بأسرة رياض، بل يريد ألا يدور في فلك وصيته، لكنه كلما حاول فشل، فعقله دوما يربط بين نوال ولبنى دون تعمد منه

وعلى ذكرى والدته شعر بحريق يجتاح صدره، تلك الملعونة التى هربت برفقة آخر وتسببت بموت والده، وهدمت بيتهم بسبب خيانتها

أحقا يقارن بينهما؟

ولم لا والظروف متشابهة، فوالده كان يعمل في إحدى الشركات بالصحراء الغربية ولم يتسن له العودة للبيت إلا ليومين هما الخميس والجمعة، وها هو رياض مغترب لا يعود لأسرته إلا شهرا من كل عام

ارتجف قلبه لمجرد الظن بأن شادي أو غيره يريد استغلالها أو أن أولاد رياض قد يتأذون مثلما تأذى

"لم ينم بعد"

قالها أيمن في نفسه وهو يصف سيارته بعدما رفع بصره لأعلى فوجد سعد بالشرفة، نظر لساعة يده وأدرك أنها الثانية بعد منتصف الليل، دخل للفيلا وقبل الصعود لغرفته شعر بوجود كريمة بالمطبخ ورغم التردد تحدته خطوته فوجد نفسه خلفها مباشرا كونها كانت تغسل بعض الأواني وقد أولته ظهرها، يعلم أنها تظل بالمطبخ لوقت متأخر كي تتفادى النوم بجوار فاروق بل وأحيانا تنتظر حتى يخرج بالصباح فتصعد لتنام.

رغم تردده جلس على أحد المقاعد المحيطة بالمنضدة المستديرة التي تتوسط المطبخ وقد آثر الصمت

كانت تشعر بوجوده ولكنها لم تعره أي اهتمام كما عودته، طريقة أقرب لغرس سكين بقلبه وهي تؤكد له أنه والعدم سواء ودون أن تلتفت سألت: كنت عايز حاجة؟

ظل يحدق بيها لثوانٍ ثم رد: أنتِ مش هتنامي؟

- متشغلش دماغك

- طيب، تصبحي على خير

- وأنت من أهله

تركها وصعد لغرفته وتلك الجمل البسيطة هي أقصى طموحات كليهما في التحاور، زفر بأسى وهو يقذف سترته الجلدية وقد ترقرقت دمعة بعينيه، هل عليه إخبارها أنها تجيد فرض العقوبات بل واختيار أصعبها؟

كل هذا لظنها أنه الابن المفضل لزوجها، وكأنها لا تعرفه جيدا حتى تظن أنه قد يحب شخصا آخر بخلاف نفسه!

صباح الإثنين

وضحكة عالية أخرى وكأنها ما عادت تريد سوى استفزازها، ظلت لمياء تفرك يديها وقد فقدت تركيزها بكل شيء يحيط بها وما عادت تتابع شيئا منذ بداية يومها الدراسي إلا نشوى، لم تتوقع مجيئها اليوم أو أنها ستقابلها بعدما انكشف الأمر، ظننت أن صديقتها ستخجل مما فعلت أو ستخشى الفضائح وكأنها نسيت طباع نشوى التي لا تهتم لشيء أبدا، بل أحيانا كانت تتحدث وكأنها تريد أن تصدم والديها المنشغلين عنها دوما بحياتهما علهما يشعران بوجودها أو ينتبهان لها، فعلت ما أرادت إذا ولكن يبدو أنها قررت أن تصدم الجميع.

انتهت الحصة الرابعة ولم ترافق لمياء نشوى كعادة يومهما وقت الفُسحة، خرجت نشوى من الفصل واتجهت للحمام وفعلت لمياء الأمر نفسه، لم تتحدثا لوجود غيرهما لكنهما تبادلتا النظرات عبر المرآة حتى خرج من رافقوهما وقد تجاورت الاثنتان أمام الأحواض ليغسلا أيديهما، الفرصة سنحت إذا لسكب الزيت على النار فبادرت نشوى بإشعال الفتيل، أخرجت من جيب قميصها محرمة ورقية ومدت يدها بها للمياء، تبادلتا النظر وعندها أشاحت لمياء بوجهها عنها وقد قررت الخروج لتجدها تمسك بمعصمها لتستوقفها هاتفة:

استني

التفتت لتنظر لها باستحقار ثم ردت: عايزة إيه؟

- نتكلم بدل ما أنتِ عمالة تبصيلي من فوق لتحت من ساعة اليوم ما بدأ وكأني عاملة عاملة

صدمها البرود واللامبالاة النابعة من صوتها فهتفت بحدة: أنتِ مش شايفة نفسك عملتي حاجة؟!

بضحكة ساخرة حادة جاء الرد: مش واخدة بالي

جذبتها من ذراعيها إليها وقد علا هتافها: بعد كل اللي عملتيه معانا ده ومش واخدة بالك، بس أنتِ اللي زيك هتاخد بالها ازاي وأنتِ متعرفش الفرق بين الصح والغلط، لا ده أنتِ أهلك معرفوش يربوكِ أصلا

كانت تظن أنها انتصرت عليها بإهانتها لكنها تفاجأت عندما ردت نشوى بهدوء: وإيه كمان يا لميا، فرغي اللي جواكِ أحسن ما تموتي كمدا

نظرت لها لمياء باستحقار وخرجت مسرعة من الحمام فاستبقتها بخطوتين وسدت المخرج لتظهر للمياء رؤية ما كانت لتحسبها، حين سخرت من كلماتها وهي تخرج هاتفها وتطلعها على صورة خاصة لها مع والدها وهو يحتضنها ويقبلها وكلاهما يضحك ثم عقبت: متهيألي إنك آخر واحدة تتكلم عن الأخلاق

- اخرسي، أنا عمري ما هكون زيك

- مش بمزاجك، زي أبوكِ ما كان معايا هتلف الأيام وبنته هتكون مع غيره

- أنتِ مش بتقولي إنه جوزك؟

- قولي لنفسك

ثم دارت حولها وتابعت ساخرة: وطالما أنا مرات بابا، يبقى إيه لزوم الغلط؟
اتسعت ابتسامتها وقد قررت تركها بمكانها بعدما أكدت لها أنها الطرف الأقوى، شحن مضاعف عن الشحن الذي تلقته على مدار ثلاثة أيام منذ الجمعة حتى صباح هذا اليوم، فبدا واضحا لها الضعف الكامن في شخصيتها وقد أدركت عندها أن عنادها الذي تتظاهر به على استحياء ما هو إلا قشرة تغطي سوأة شخصيتها المهترئة، أرادت أن تبكي أو تصرخ ولكنها لم تجرؤ
ظلت نشوى تزيد من جرعة استفزازها بمزاحها المتكرر مع أقرانها حتى مرت لمياء بجوارها فزاد الهمز ثم تعالت الضحكات ففاض الكيل ووجدت نفسها تسحب نشوى من منتصفهن ثم صفعتها ثم ضربتها برأسها فسقطت أرضا وعندها قفزت لمياء فوقها تضربها وقد تلاشت الأصوات من حولها فما عادت ترى إلا بطن نشوى فظلت تضرب فيها وتلكمها بقوة
علت صرخات زميلاتها ومدرسيها لكنها لم تسمع منها أي شيء، فقط صوتا واحدا وجملة واحدة
"أنا تممت جوازي من نشوى بشكل رسمي ومعترف إن اللي في بطنها ابني ومن صلبي"

اتصال تليفوني فرض عليه المجيء للمدرسة وآخر كان من نصيب لبنى لتأتي بدورها كون أختها قد اعتدت بالضرب على إحدى زميلاتها، سعى مختار لتسوية الأمر متحدثا إلى مديرة المدرسة بينما نشوى بدورها لم تضع أي لوم على لمياء لينتهى الموقف

بعدها وقد بدت نشوى أمام والدهن بأنها الأفضل، ثم رافقت والدهن ورحلا، وحجته كانت الاطمئنان عليها بأقرب عيادة ثم أتاهن اتصاله ليطلب منهن أن يقابلنه بمنزل لبنى وبعد ساعة كان اجتماعهم، وأولى صرخاته فيهن كانت لظنه أنهن اتفقن على إجهاضها وأن لمياء كانت تنفذ الخطة، كانت ليلى تشعر أنه يسعى بزعيقه لتشويشهن كي ينتهي الأمر بإجبارهن على القبول بالأمر الواقع لذلك قررت الصبر حتى انتهى من كل كلامه فباغتته بسؤال ألجمه

- اتجوزتها أزاي

نظر لها وأجاب بتحدٍ: من حوالي شهرين

- أنا باسأل أزاي مش امتى، أزاي اتجوزتها وهي لسة قاصر وبعلم أهلها ولا من وراهم

تجهم وجهه بينما تبادلت لبنى ولمياء النظر لبعضهما ولم تعطِ ليلى لمختار الفرصة ليكمل فأردفت: أكيد طبعا بدون علم أهلها، بس يا ترى مين المأذون اللي وافق يجوزهالك بدون ولي أمرها عندها تسعتاشر سنة

لم يمتلك ردا فقرر المباغتة وسأل بضيق: ده استجواب يا دكتورة؟

- أبدا، بس أعتقد من حقنا نفهم

- حاضر يا بنت تيسير

وبهدوء لم تتوقعه قرر أن يجيبهن، أخرج من جيبه عدة أوراق موثق فيها زواجه من نشوى بعقد عرفي مع توقيع المحامي والشهود

أمسكن بالأوراق وتفحصنها جيدا ولم يكنّ بحاجة للتأكد من صحتها، يكفي أنها قد تم توثيقها بمكتب فاروق الدويري

"حمايا"
قالتها لبنى بعدما قرأت الاسم ثم نظرت لأبيها في صمت امتزج بصدمة، حماها كان على علم بكل ما يقترفه أبوها من ذنب بل ويبارك الأمر ويتستر عليه، وقبل أي رد وقف أمام الثلاثة وعاد لزعيقه، وهو يحذر ويتوعد إن فكرن بإيذائها، لأنه عندها سيريهن وجها آخر لم ترينه من قبل، زعيق بنبرة حسم فرض على ليلى الزعيق لترد: أنتِ متخيل إنك تعمل فينا كل ده ونسكت؟
- أنا قلت اللي عندي يا دكتورة ولحد هنا كلامي خلص وأتمنى منتكلمش في الموضوع ده تاني
والثلاثة كنَّ كحطام لم يعد يملك من أمره شيئا فتجاورن على الأريكة يبكين بقهر، أولاهن ظهره ليغادر فعقبت لمياء بانكسار: الله يسامحك يا بابا
وهوى قلبه فالتفت ثم سحب مقعدا وجلس عليه أمامهن، طالعهن ثم نطق: هييجي يوم وتعرفوا إني مغلطتش، بس ياريت تسمعوا كلامي ومتدخلوش بيني وبينها
طالعته لبنى بنظرة ملأها الأسى فخفق قلبه لحزنها بل حزنهن فعقب: طول السنين اللي عدت دي أنا كنت لكم الصاحب قبل ما أكون الأب ومكنتش أتخيل أنكم تقابلوا اللي عملته معاكم بكل الجحود اللي أنا شايفه دلوقتي
قالها بتأثر فزاد بكاؤهن ثم طُرِح التساؤل: وكأن الأبوة دي كانت منة من حضرتك لينا مش واجبك؟
قالتها لمياء فأجابها وقد دمعت عيناه: لا يا لميا مش منة ده حقكم، بس أنا كمان من حقي أعيش اللي باقي من عمري مرتاح ومبسوط،

مختار أخيرا هيختار اللي هو عايزه بعد ما كان طول عمره مرغم ومجبر، أنتم مش هتحسوا باللي أنا فيه، مش هتحسوا يعني إيه العمر يضيع في تنازل ورا تنازل لحد ما ألاقي اللي باقي من عمري ولا حاجة

تطلعوا لوجهه، أيبكي لأجلها حقا؟

انسابت دموعه وهو يكمل: نشوى بالنسبالي مش نزوة، نشوى بالنسبالى فرصة، فرصة حسيت معاها إني عايش بعد ما كنت فاكر إني ميت، أنا آسف إني حطيتكم في الموقف ده بس للأسف مفيش عندي اختيارات تانية

وحمل أوراقه ورحل وقد تركهن وحدهن، وعندها أدركن..أدركن معنى أن يرين الحقائق جلية في اللحظات الفارقة.

وعلى مدار يومين التزم هو الصمت بينما التزمت بناته بمتابعته، جمعتهم محادثة على "الواتس آب" كنَّ يتابعن فيها مجريات الأمر عن طريق لمياء، فكرن في إخبار والدتهن ثم عدن للتردد ربما يفعل هو أمرا آخر أو يستفيق أو يندم

الشرود، الضيق، القلق كان هو الغالب على تصرفاتهن وانعكس بالطبع على من حولهن والذين كانوا مستغربين لأفعالهن

"إياد ريناد زياد"

لم يشعروا بأي من المناقشات التي حواها بيتهم لأنها كانت تنتهي قبل عودتهم من مدارسهم، لكنهم انتبهوا لبكاء والدتهم المستمر وانشغالها الدائم بالهاتف أو حاسوبها

بينما سعد لا أثر له منذ شجار الجمعة فهو لا يزورهم ولا يهاتفهم، ووالدهم كعادته مشغول عنهم بإنهماكه في عمله.

"محيي فارس فريدة"

لم يكن سهلا عليهم تفادي عصبية ليلى والتي زادت عن معدلاتها الطبيعية حتى أنها طالت عملها وإن سنحت لها فرصة أن تنعزل لتبكي بمفردها.

تيسير هي تيسير وما الذي سيدفعها للتغيير، طريقتها ونقدها المستمر لكل تصرفات مختار وكأنه لا يستطيع وحده أن يفعل شيئا، والصادم للمياء لم يكن تصرفات والدتها بل ردة فعل والدها والتي كانت هادئة إلى أقصى حد على عكس كل توقعاتهم.

"هو الراجل ده عايز إيه بالظبط"

سؤال كتبته ليلى في المحادثة التي جمعتهن بعدما قرأت كل ما سردته لمياء عليهما، ينوي السفر بعد الغد إلى الإسكندرية، ولكن لماذا لا أحد يدري، وهل سترافقه نشوى؟

كُنّ يكتبن الرسائل الواحدة تلو الأخرى دون إدراك لما عليهن فعله

"إيه رأيكم نقعد مع ماما ونقنعها تغير طريقتها مع بابا وتحاول تحتويه يمكن ساعتها يسيب نشوى"

"تحتويه إيه بس يا لميا، أنتِ متخيلة إن ده بابا اللي إحنا نعرفه، لو عايزين الجد يرجع يلاقي قضية الحجر مرفوعة"

"تاني يا ليلى"

"عندك حل قوليه يا لبنى"

"نقول لأهل نشوى"

كتبتها لبنى فأتتها إجابة لمياء ساخرة

"أنتِ متخيلة أنه يفرق معها بالعكس دي نفسها تصدمهم"
"خلاص أنا تعبت"
ولم تمثل الجملة لبنى وحدها، بل الثلاثة لم يعد بهن طاقة لفعل شيء وقد تشوشت رؤيتهن تجاه القادم
"سهرانة"
قالتها تيسير لتقتطع لمياء من انهماكها في شاشة هاتفها، امتقع وجهها وبدا عليها القلق وهي تجيب: لا خلاص هنام، أنا بس كنت بسأل واحدة صاحبتي على حاجة في الدرس وقايمة
- طيب يا تذاكري يا تنامي، فاهمة
- حاضر
- أنتِ ثانوية عامة مش كل شوية لازم أقولك ذاكري
- حاضر
- بنت خالتك ما شاء الله السنة اللي فاتت دخلت صيدلة مش كل شوية لازم أقولك إنهم مستنين يشوفوكِ هتعملي إيه
قالت محاضرتها المعهودة ثم أغلقت الباب خلفها واتجهت للنوم عندها بدا لها أن ليلى ولبنى قد انتهتا من كلامهما فنحت لمياء هاتفها جانبا ثم بدأت تفكر في كلام أختيها، زفرت لأنها لن تصل لشيء فقررت غلق الإضاءة والنوم، وما إن وضعت رأسها على الوسادة حتى وجدت المواقف التي جمعتها بنشوى يسترجعها عقلها تباعا، ضحكاتهما خروجهما قصصهما ومواقف شتى و و.....
"مازن"

لماذا لم يعطين لهذا الاسم أهمية، تذكرت أنها لاحظت إعجاباته على منشورات نشوى، فسحبت هاتفها وقررت فتح الفيس بوك والبحث عن حسابه حتى وجدته
هل ثمة سرا وراءه أم أن علاقته بنشوى كانت عابرة؟
لِمَ لا تحاول أن تعرف بنفسها والأمر لن يكون صعبا فقط حساب شخصي جديد باسم وهمي ثم رسالة واحدة فحواها
"هاي، ممكن نتعرف"

مساء اليوم التالي كانت نشوى تعد حقيبة تحوى جل ملابسها خبأتها في دولابها ثم نظرت للساعة التي كانت تشير للحادية عشرة مساءً وزفرت بشدة وعادت لتكمل خطابا كانت تكتبه قصت فيه كل شيء ثم نحته جانبا، صباحا سيقرؤه والداها ويعرفان ما فعلته، كان أسبوعا حافلا بصدق وانتهى بحصولها على كل ما أرادت بل وأكثر وهذا يكفي، غدا ستسافر مع مختار إلى الإسكندرية وإلى أن تضع جنينها لن يعرف طريقها أحد والمنتظر نصف ثروة مختار المسيري كونها حاملا بذكر، خلعت "الكورسية" الضاغط على بطنها ثم نظرت له بامتنان؛ لم يحجب عن من حولها رؤيتهم لحملها بل كان بمثابة الحامي من ضربات لمياء يوم شجارهما، تمددت على السرير ثم بدأت تتلمس بيدها مكان حملها مشوشة، لم يبقـ سوى خمسة أشهر وبعدها ستكون الأحلام واقعا، ولكن هل سيتركها والد طفلها الحقيقي تنعم بلحظة ولادته
"متفرحيش أوي باللي عملتيه لأن لسه حسابي عسير"
رسالة قطعت أحلامها لتعود للواقع وقد خفق قلبها خوفا.

أُغلِق باب الشقة فأيقظها صوته، أسرعت تنظر من الشرفة لتجد والدها يغادر البناية في السادسة صباحا، اتجهت لغرفته وفتحت دولابه فلم تجده قد أخذ معه سوى الحقيبة الصغيرة وملابس تكفيه أسبوعا واحدا كما قال، نظرت لوالدتها فوجدتها تغط في سبات عميق ثم اتجهت للمطبخ لتتأكد أنه قد أعد الفطور لنفسه ولم ينسَ تناول دوائه

وفي المكان المتفق عليه كانت تنتظره نشوى، أوقف السيارة وركبت وانطلقا إلى الإسكندرية

"سافر"

كتبتها لمياء في المحادثة وهي لا تتوقع أن تجد لها ردا لكن ليلى ولبنى اكتفتا برد مقتضب ثم ساد صمت بدا واضحا أنه نابع من قمة شعورهن بالعجز ، فكل منهن نحت هاتفها وشردت فيما سيؤول إليه الغد إذا ما انكشف الأمر

"مختار أخيرا هيختار اللي هو عايزه بعد ما كان طول عمره مرغم ومجبر"

دوت في أذنيها وهي تعود لتجاور زوجها الذي لطالما كرهته، أولته ظهرها كي تتفادى رائحة أنفاسه التى تنفر منها كلما اقترب لتقبيلها أو حتى الكلام معها، رائحة عرقه التى تلفحها إن حاول أن يحتضنها أو بادر من أجل حقه، رضاه بانسحابها وهروبها عنه دون محاولة لفهم الأسباب كونه لا يعبأ لنظافته الشخصية أو ربما يعبأ ولكنها لا تجد حججا تبرر نفورها، فهو في النهاية الطبيب ومدير المشفى المتأنق والجميع يحسدها عليه.

أما الماضي فقد انتهى، أو هذا ما ظنته تيسير يوم طردت من أحبته ليلى لأنه فاشل وأقل بكثير من ابنتها، فالطبيبة لا تتزوج إلا من طبيب، ليليق بمكانتها وهذا اللاشيء كما نعتته تيسير تخرج في كلية الآداب وليس له مستقبل

وانهار الصرح يا ليلى

فابكي، اخلعي قناع المرأة الحديدية وابكي بمرارة على سنوات جميعنا تظاهر أنه يعيشها، ابكِ يا صاحبة الشخصية التى يخيل للناس قوتها بينما أنت وحدك تعلمين مدى هشاشتها.

****

"مختار أخيرا هيختار اللي هو عايزه بعد ما كان طول عمره مرغم ومجبر"

ابتسامة ساخرة امتزجت بدموع عينيها وهي تتذكر الصفعة الأصعب على وجهها والصراخ فيها بهتاف حاد لأنها لم تحصل على نفس درجات ليلى بالثانوية العامة، لأنها صارت الفاشلة التى ستصبح معلمة بالمستقبل، لن تتباهى تيسير وتقول طبيبة مثل أختها ضحكت ثم بكت ثم ضحكت ثم بكت لتتيقن عندها أنها جُنت، ولمَ لا وهي طوال حياتها عجزت أن تكون مثل ليلى وحين حاولت فشلت، لن تكون بجمال ليلى أو بتفوق ليلى ولن تحظى أبدا بشيء يستحق حتى أتى فارس أحلامها، لا لم يأت هم أرسلوا له صورتها ووافق و وكل والده كي يتزوجها، حضر فقط حين تطلب الأمر وجوده بالنهاية ليحضر عرسه كما بقية المدعويين وكأن الأمر لا يعنيه، لكن يكفيها أن تيسير تباهت بالنسب ورأت أخيرا للبنى حسنة تستحق مدحها

عليها، وها هي السعادة المنتظرة إلى جوار زوج ظنته سيعوضها عما افتقدته
وهل توجد سعادة أكثر من أن تكون أما وأبا، زوجة وزوج وعدة أدوار أخرى ما عادت تحسب عددها، حين ترفع أنبوب الغاز لتغيره بيدها أو ترافق أولادها للدروس والنادي والطبيب، يوم تضطر لإحضار سعد برفقة أي رجل تضطر لدخوله للمنزل لإصلاح شيء، ويوم تدرك أن أيامها تنفرط من بين يدها دون أن تعيشها لأنها معلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة ولا إلى جوار رجل يعبأ لأمرها.
****
"مختار أخيرا هيختار اللي هو عايزه بعد ما كان طول عمره مرغم ومجبر"
ولا شيء يضاهي كبت حلمك وحرمانك من أملك، فقط لأنه لا يتناسب مع من قرروا التحكم بحياتك وخط سيرها، وما بين أمنية بدخول كلية الفنون الجميلة قسم إخراج ورسوم متحركة، وأمر بدخول كلية الطب مثل ليلى كانت لمياء عالقة، وقد اختارت لها القسم العلمي والمدرسين الذين ستدرس معهم وكل ما عليها فعله أن تتحرك بيدها كقطعة شطرنج حتى تحصل تيسير على مرادها علها ترضى عنها فتنال قسطا من الرحمة.

"مختار أخيرا هيختار اللي هو عايزه بعد ما كان طول عمره مرغم ومجبر"
ولكن لماذا بصدق رضى أن يعيش كل تلك السنين مرغما ومجبرا؟
هل أحبها أم أنه كان يخشى أن تنهار حياة بناته إن اختار أن يطلقها؟

وهل بصمته على تصرفاتها استقامت حياتهم؟
ليته اختار قبل عدة سنوات، ليته استفاق قبل أن يختارها لتكون لهم أما، أما جعلتهم يكرهون الأمومة عوضا عن محبتها، تيسير التي علمتهم أن البر طاعة معصوبة العينين وأن الابن لوالديه ملكية خاصة لايملك حولا ولا قوة وإلا فبالعقوق ستكون وصمته، تيسير التي اعتادت أن تُلبى أوامرها دون مناقشة لأنها صاحبة الرؤية الأصوب، تيسير التي صعبت عليهم كل شيء إلى حد أنها كانت الوجه الآخر للعُسرى.

"مختار أخيرا هيختار اللي هو عايزه بعد ما كان طول عمره مرغم ومجبر"
هل تذكرها ودوت في أذنيه وهو يستشعر تلك الركلة القوية التي دفعت بالسيارة لأعلى بينما نشوى تصرخ: حاااااسب يا مختار حاااااااااسب
ثم صمتت وبدا له أنه صمت أبدي
اخترت يا مختار وكان اختيارك الموفق
موتة بلا توبة
الزاني باغته الموت وهو يهرب
أهي النهاية يا مختار؟
ومن يدري؟
نظر للدماء التي تسيل من وجهها بينما قد حُشِر جسدها تحت ركام الحديد المحطم، واستشعر أن روحه قد اتخذت قرارا بالابتعاد عنه بينما أصوات من يحاولون إنقاذهم بدأت في التلاشي

أهي النهاية فعلا؟
يا عقلي أما بإمكانك أن تجيب؟
اختار مختار أم لم يختر؟
ءأُرغم أم أنه القدر؟
وما الفائدة؟
فمنذ متى يستوقف الموتى طرح الأسئلة؟

(4)

أبعاد القضية تبدو شائكة إلى حد أن حيرة تفسيرها قد تملكتهم جميعا، هل هناك من يملك دوافع لقتله أم أنه من قرر أن ينهي حياته بيده، البعض يشكك بحالة السيارة قبل أن يغادر بها والتقرير الطبي يشير أن أعراض غيبوبة السكري كانت لديه وربما هي السبب ولكن كيف وقد أخذ دواءه؟

السرعة التي قاد بها السيارة أيضا مستغربة وكأنه كان يتعمد هذه الحادثة، لكن الأغرب بصدق هو موقف أهل نشوى من كل هذا وكأن القدر خدمهم بوأدها وكل ما طلبوه هو دفنها دون أي محاولة منهم لمعرفة ماذا حدث؟

يكفيهم أنهم سيمتلكون أمام أقاربهم وجيرانهم إجابة أفضل من فضيحة كانت حتما ستطالهم بحملها وهروبها

والاستغراب نفسه بدا غريبا حين اجتمعت أسرة مختار في مكتب فاروق لفتح أوراق وصيته، ليجدوه قد ترك خطابا مقتضبا يطلب فيه من بناته أن يسامحنه ويدعون له بالرحمة والمغفرة، ومسامحة أهم كونه لم يترك لهن شيئا فميراث مختار المنتظر هو وهم، لم يملك مختار في الفترة الأخيرة سوى الديون المتراكمة وفعل كل ما في وسعه وخسر كل ما يملك لتسويتها وما تبقى بعد ذلك جمعه كوديعة باسم بناته الثلاث لا يحق لهن التصرف فيها قبل ثلاث سنوات من موته، وأما بشأن نشوى فلا شيء وأما بشأن تيسير فلا شيء أيضا والآن انتهى؛ انتهى أمر مختار بميتة غامضة ووصية مبهة ولا مكاسب سوى فضيحة وئدت في مهدها.

ومنذ خرجت من مكتب فاروق وحتى عادت إلى منزلها لم تتلفظ بكلمة، اتجهت لغرفتها وأغلقت عليها بابها وجلست على السرير وقد أمسكت بين يديها صورته وأجهشت بالبكاء

تيسير تبكي؟

نعم تبكي!

تبكي استطاعته الخيانة وقد ظننته أضعف من أن يفعلها وتبكي كونه لم يذكرها في وصيته ولو بكلمة على سبيل المجاملة؛ أكان يكرهها إلى هذا الحد أم هي من دفعته لكراهيتها بإجحافه كافة حقوقه على مدار أربعين سنة؟

لكنه لم يشتك، لقد ظل صامتا وأحيانا موافقا فهل كانت بعد كل هذا المذنبة؟

لقد كانت خائفة؟

الرجال يغدرون بالمرأة إن استشعروا ضعفها؟

وهكذا فعل والدها مع والدتها حين هجرها والسبب

"خلفتها بنات"

وهو يريد الولد، ولم تنجبه زوجة أبيها كما توقعت بل أنجبت بنات ولكن قوة شخصيتها أمام والدها كانت كافية، كافية لتعليمها أهم دروس الحياة وهو أن خضوع المرأة هو كبيرتها العظمى.

لا يوجد رجل يحب زوجته هي أولى الحقائق العارية في مسلسل صراع القوى، قناعة امتلكتها وكانت هي المحرك لها فسلكت معها طريق زوجة أبيها ولكنها بالنهاية توارثت نفس مصير والدتها.

هل هذا هو الميراث المنتظر؟

ما الذي جناه مختار حين اختار وما الذي كسبه؟
ربما بعض سعادة كان متعطشا لها!
اللذة بعد شدة الحرمان لعنة، لعنة تراود صاحبها وتقض مضجعه حتى تمام إشباعها، وإشباعها لعنة أكبر كونه اختبارا للنهم وهي الفطرة، رغبة لن تتوقف وستظل تطالب بالمزيد غير مكتفية بالتذوق، فالطعم الممنوع عنها على مدار سنوات قد تم إدراكه، ففهم العقل معنى المتعة وما عاد يفكر إلا بالتهامها دون التوقف لبُرهة لتفنيد مصدرها حتى وإن كانت عَفِنة، فالنفس طالت مرادها وهذا يكفي.
أهذا ما يعنيه الحرمان إذا؟
وهل علينا التوقف أمام ما فعله مختار حتى لا يكون الميراث المنتظر هو المصير ذاته؟
الأسئلة..
العقل..
القلب..
الضمير..
الفهم..
الإدراك..
التوقف..
والمراجعة..
"هل نحن بحاجة لرؤية هذا كله؟
ولو كانت الإجابة الصحيحة نعم فمتى؟
"الآن أم غدا أم بعد غد"

والأيام تدور برحاها وتدور بهن، بنات مختار المسيري أمام اختياراتهن وما ظللن يقنعن أنفسهن به أنه قدرهن لكن ما وجدنه أنه لم يكن هذا أو ذاك؟

الماضي لم يكن اختيارا ولم يكن قدرا؟

كان رغبة فرد فرضت عليهن طريقا، والآن قد رأين صورة مصغرة من نهايته ليست نهايتهن، بل نهاية أبيهن، لكن ما الفارق لو أنهن ستمررن بالمفروض عليهن سوى ثمن عظيم وخسائر قد تكون أفدح بكثير مما يعتقدن أن مختار خسره.

هل كل هذه الأفكار وحدها هي ما دفعت ليلى للبكاء في سريرها وهي تطالع كعادتها صورة زوجها ثم تطالع صفحة الفيس البوك الخاصة بحبيبها السابق وتعقد المقارنة

"محمد حبيب"

كاتب وشاعر ناجح في مركز مرموق وقد اشتهر، لقد وجد السعادة وهذا واضح في كل صوره التي يلتقطها لنفسه وهو يحتضن زوجته وابنته الصغيرة، في الأشعار التي يكتبها لها وكلماته عنها ومدحه فيها، فلماذا سيتذكرها كما تتذكره، هي على يقين أنها تلاشت من عقله وقلبه يوم طردته والدتها من منزلها، لذا ستكتفي بالمراقبة من بعيد تغبطه أحيانا ومرات تحسده، توجعها نبضات الضمير إذا نبض فتلفحها من العقل استفاقة تحذير بألا تكوني "خائنة"

فتتوقف عن المراقبة ثم تتلقفها نبضات القلب بتوق متسائلة "ألم تشتاقي؟"

فتعاود المراقبة مستسلمة، لا هي وفية لمن يجاورها ولا متعة في أن تخون في خيالها، نبضات في مواجهة نبضات والمحصلة لا شيء.

والأفكار نفسها لطالما راودت لبنى وهي تطالع صفحة الفيس البوك الخاصة بزوجها وصورته الشخصية بها وكأنها تسأله في صمت عن سر شُح الاهتمام بها بينما سعد يبذل كل ما في وسعه لتعويضها وأبناءها، وهذا ما ظل يفعله منذ وفاة أبيها دون ملل، بل وهكذا جاءتها ابتسامته وهو يطالع وجهها وكأنه يقول لها أنه هنا معها وإلى جوارها، ورغم ردها بابتسامة ذابلة إلا أنها طمأنته كونها استطاعت أن تبتسم فعاد للعب مع أولادها في حديقة فيلا الدويري بينما استوقفتها كريمة حين أتت فربتت على كتفها وقبلت جبينها ثم جلست بجوارها تطالع سعد وأولاد رياض بفرحة لطالما امتزجت بالقلق على شؤونهم وأخيرا أتت إكرام بطبق يحوي فاكهة وقد جاورت لبنى مؤازرة تسألها عن أخبارها وتحاول المزاح معها لعل حالها يتحسن، وهذا ما دفعهم لمطالبتها بالمكوث معهم منذ حادثة والدها، لكن ما قيمة أن يأتيك ما تريده من الشخص الخطأ؟

الأخوة من إكرام لن تعوض ما افتقدته مع ليلى ولمياء، والأمومة من كريمة لن تعوض ما افتقدته مع تيسير والأصعب أن سعد مهما حاول وبذل فلن يكون رياض، لن يسد ثغرات الأنين عند كل مساء، ولن يعوض ما افتقدته دوما مع فراش بارد لم يحوِ يوما إلا جسدها وعدة وسائد.

الأفكار هي الأفكار والتساؤلات هي نفس التساؤلات حتى لو ظنت أختاها أنها الأفضل حالا، لكنها لا ترى ذلك، فما يكتنف صدر لمياء من ضيق مكمنه أنها لازالت عالقة في جعبة تيسير وهي من تتولى زمام أمرها، وحدها من تستطيع إلقاء الأوامر وهي ما عليها إلا السمع والطاعة.

فلم تملك إلا الاندفاع خلف حسابها الجديد والاستسلام لواقع استنسختـه لنفسها
"سما عبد الصبور"
طالبة بفنون جميلة قسم إخراج ورسوم متحركة ووالدتها امرأة أخرى فقد اختارت أن تكون صديقتها في العالم الموازي ووالدها مسافر وليس لديها أخوات ومواقف كثر هي محض خيال لكن من يبالي، فلا مازن ولا غيره ممن قررت أن تتعرف عليهم سيشغلهم إن كانت صادقة أو كاذبة، فالجميع على الكوكب الأزرق يمارس أكاذيبه وإن اختلفت أساليبه، فلا الحكيم حكيما ولا الواعظ واعظا، إنما هي أزياء وكل منا يرتدي ما هو بحاجته ليواري عوراته، وهي اختارت الزي المناسب، لن تكون نشوى ولكنها قد تجد بعض النشوة فيما اختارت، شيئا ربما يعوض لمياء رغم أنه لن يغير الحقيقة، لن يغير أنها المتمردة والأسيرة، المتخبطة والمطيعة، لمياء التى لم تملك من أمرها يوما إلا قلة الحيلة.
وعاد السؤال وظل يئن، أما آن لكل هذا العبث أن يتوقف؟
ومتى؟
"الآن أم غدا أم بعد غد"

يبدو أنها لن تقوم من سريرها اليوم أيضا ولا يُعرف إلى متى ستظل هكذا، ناداها عدة مرات علها ترد ولكنها لم تجب وأتت فريدة إلى جوارها وهتفت بدورها وسألت: ماما هو حضرتك محضرتيش غدا انهاردة كمان؟

فعقب فارس عندها: إحنا الاتنين جعانين وبابا شكله هيتأخر والتلاجة فاضية من إمبارح لو كده هاتي فلوس أنزل اشتري أكل وناكل أنا وفريدة

ولم يأتهما رد فقط قامت من مكانها واتجهت للمطبخ وفتحت الثلاجة وظلت تنظر لها في صمت وكأنها تستوعب أنها فارغة بالفعل ولم تزد على ذلك أي ردة فعل، يطالعها أولادها في استغراب دون فهم لما تفعل، ولا فهم لما عليهما أن يفعلاه، حتى قاطعهم صوت مفتاح أبيهما فاتجها إليه وقد حمل معه عدة أكياس تحمل طعاما جاهزا وعدة أغراض للبيت، استوقفه وقوف ليلى أمام الثلاجة فوضع ما بيده ونظر لها في حزن وأغلق بابها ثم أسند ليلى ليجلسها على أقرب مقعد بعد ما رآه من احمرار عينيها وأنفها وانتفاخ وجنتيها على إثر بكائها المتواصل على مدار الأيام السابقة، فساعدها لتجلس ثم قام بمساعدة أبنائه في تحضير طاولة الطعام وتفريغ ما جلبه، انشغل الأولاد بتناول طعامهما بينما حضر محيي طبقا لليلى وجلس إلى جوارها وشرع في إطعامها، أبعدت الطبق ويديه وأشاحت بوجهها عنه فزفر رغما عنه ثم عقب: طب وآخرتها يا ليلى، عدى أسبوعين وزيادة عالحادثة وأنتِ من يومها وأنتِ على الحال ده، لا بتاكلي و لا بتشربي ولا بتعملي حاجة إلا العياط حتى الشغل اخدتِ أجازة منه

ولم يغير كلامه من شيء، قامت من مكانها وعادت للنوم، فسكت محيي وتناول طعامه في صمت بينما انتهت فريدة وفارس من طعامهما، ساعدت فريدة والدها في ترتيب المطبخ وتنظيفه واتجهت

لغرفتها واتجه محيي لغرفة مكتبه وأغلق بابها عليه ليكمل العمل في رسالة الدكتوراة خاصته، وليلى نامت
"إذا فلنبدأ"
قالها فارس في نفسه وأغلق عليه غرفته،فتح حاسوبه، زفر وهو يتذكر والده وهو يجاور والدته في محاولة لإطعامها ورفضها وإشاحة وجهها ثم تمتم "محمد حبيب"
قالها في أسى وفتح الصفحة الخاصة به على موقع ويكيبيديا، نظر إلى صورته والمكتوب عنه، ثم سأل في نفسه تُرى ما الدافع وراء مواصلة البحث عن اسمه وصفحاته وأعماله من قبل والدته، وهل ستتوقف لو علمت أن ابنها يراقبها في صمت عبر برامج المراقبة التي زود بيها حاسوبه ليعرف ما يفعله كل فرد في المنزل بحواسيبهم، لكن ما تفعله والدته سيظل أهون ألف مرة مما يفعله والده خلف ذلك الباب المغلق
"فعل البرنامج يا فارس وتأكد"
يبدو أن الدكتور محيي بدأ متابعة أفلامه الخاصة، يعرف فارس ما يفعله أبوه خلف الباب المغلق، يعرف ما يشاهده والده لأنه شاهده ويعرف ما يعقب المشاهدة في كل مرة
فلقد استشعر اللذة يوم استسلم لفضوله وجرب، لن ينكر أنه فهم بعد تجربته ما يعنيه الأمر برمته فتقزز من والده، لكن ما يزيد حيرته دوما هو والدته، أين هي من كل ما يجري في هذا المنزل وإلى متى ستظل نائمة في سريرها وإن استيقظت؛ هل ستبدل متابعة ذلك الكاتب بمتابعتهم؟
وماذا ستفعل إن عرفت إن ابنها قد ورث عن والده

"إدمان العادة السرية"

أوشك الأسبوع على نهايته ولا شيء مختلف، والمتنفس الوحيد هو صفحتها المزيفة والشخصية التي نسجتها في الخيال لتعيش معها ما تفتقده، المتمردة سرا على المطيعة التي تكرهها، تلك التي كلما اقتربت منها لتؤدي دورها ناوشتها مستفزة فيها الصمت على مجريات حياتها

"ثوري على ما لا يرضيكِ وافعلي ما ينبغي فعله، لن تخسري إن حاولتِ بل إن الاستسلام لرغبات تيسير هو الخسارة الأكبر"

قاومت الخوف وقررت التحلي ببعض الجرأة واتخذت قرارها بإعلان العصيان وببعض الشجاعة وقفت أمام تيسير وقالتها دون أي تردد

"ماما، أنا قررت أحول أدبي"

كانت منهمكة في جلي الصحون وحين سمعتها أدارت وجهها إليها، حدقت فيها بغيظ ثم اصطنعت أنها لم تسمع شيئا وعادت لتكمل ما بيدها، استشعرت لمياء لامبالاتها بما تقول فقررت أن تؤكد

"أنا باقول لحضرتك أني قررت أحول....

- روحي شوفي مذاكرتك يا لميا

قالتها بشكل قاطع زاد من استفزاز لمياء فقررت أن ترد بحدة: أنا مش عايزة أكمل في علمي ومش باحب الأحياء ومش عايزة أدخل طب ولا صيدلة، أنا عندي ميول تانية ومش عايزة أبقى زي حد، أنا عايزة أبقى نفسي

كانت نبرة صوتها قد اشتدت واستشعرت تيسير بداية التمرد ولكنها لم تركز بكل ما كانت تقوله فثمة صورة لاحت بذاكرتها

"نشوى"

تلك الأفعى التي فتحت لها لمياء باب منزلهم وكانت النتيجة أنها التفت حول زوجها واستحوذت عليه وأخرجته من حياتهم خروجا أبديا، عادت بنظرها لابنتها التي لازلت تعيد الكلمات وتشرح لكنها حين أمعنت النظر لوجهها لم تر سوى نشوى وتمردها وعصيانها بل في نفسها استحضرت أنها لو كانت نشوى لكانت نظراتها هازئة ممزوجة بالشماتة والتشفي

زادت لمياء من حدة صوتها لكن تيسير لم تكن تسمعها، كانت أمام شفتين تتحركان بكلمات سريعة ومحتدة وعليها أن تُسكتهما فصرخت: اخرسي

قالتها وهي تقذف الطبق الذي كان بين يديها فتهشم واندفعت نحو لمياء جاذبة إياها من ذراعها نحوها وهي تصرخ: بدل ما تحطي جزمة في بوقك وتحمدي ربنا إني مدبحتكيش بعداللي عملتيه فينا، جاية تزعقي في وشي

- عملت إيه؟

- أنتِ السبب في موت أبوكِ، بسببك عرف نشوى

"موت بابا"

قالتها في نفسها وقد صمتت لبرهة وتلاقت عيونهما بين تمرد وتحدٍ ثم ردت لمياء: مش أنا لوحدي اللي غلطت، بابا لو كان مرتاح مكانش دور على راحته في حتة تانية، وأنا هتعلم من اللي حصل إني مش هكرر الغلط وهعمل اللي أنا شايفاه في مصلحتي.

والتفتت لتخرج من المطبخ ظنا منها أن ثورتها نجحت، حداثة سنها جعلتها تظن أن الصرخة في وجه المستبد تكفي، لكنها لم تعنِ لتيسير

سوى اعتراف بالضعف وتمرد وجب عليها كسره، فكانت خصلات شعر لمياء بين يديها وقد سحبتها لتخرجها من المطبخ للصالة ثم تعالت صرخات لمياء على إثر صفعات متتالية على وجهها ولم يكن هذا ليكفي، فما حواه صدر تيسير من غل كان عليها تفريغه، سحبت نعلها من قدمها وأخذت تضربها بكل ما أوتيت من قوة
ورغم صرخات لمياء وبكائها لم تتوقف
بل كانت الشدة تزداد بزيادة ألمها، فكل ما عليها فعله هو وقف زحف التمرد بكل طاقتها، لن يتغير الحال يا ابنتي الثالثة، ما لم تتجرأ عليه أختيك لن أمنحك فرصة الجرأة عليه لتدركي بعدها من أنا
"أمك"
"ثم أمك ثم أمك "
وإن لم تطيعيها بسيف الحياء سيكون للسيف أدوار أخرى.

جسد مسجى على سريره متورم يتأوه ويبكي بصمت،تتابع أنفاسه المتقطعة بأسى أخوات لطالما عجزن في حياتهن أن يفعلن لأنفسهن شيئا، يدركن أن الكلمات لا تغير مادامت لا تملك حولا ولا قوة،
أسعفت ليلى لمياء على قدر استطاعتها وأعطتها أدوية مهدئة حتى نامت وبعدها نظرت للبنى التي كانت تؤثر الصمت وسألتها: وأخرتها لم تجد لبنى إجابة تصف قدر الألم الذي استشعرته ولم تكن ترى في لمياء إلا صورة مصغرة منهما، الفارق أنها تسعى خلف "لا" مبكرا وقبل أن يفوت أوانها، لكن النتيجة واضحة؛ إنه مصير من يسعى خرجت ليلى من غرفة أختها لتجد والدتها منهمكة في متابعة أحد المسلسلات غير عابئة بما فعلته مع ابنتها، حدقت ليلى بها ثم سألت

في تهكم إن كان ما فعلته أختها كان يستدعي منها كل ما فعلت، فأتتها الإجابة المبررة..إنها أمهن التى تعرف مصلحتهن وأنها ضربت لتربي ولمياء كانت بحاجة لمن يفيقها بل إنها خطوة جاءت متأخرة منها ولكنها أصلحتها ومن الآن فصاعدا سيكون على لمياء الطاعة وإلا....

جاورت لبنى ليلى لتسمع وصدمت بقدر ما رأت الصدمة قد رسمت على وجه ليلى، عن أي زمان تتحدث والدتهن، هل يصرخن فيها ليجعلنها ترى الحقيقة ولكن هل سيختلف مصير صرخاتهن؟

وعلى أساسها حاولت ليلى: اللي أنت بتعمليه مع لميا ده أكبر غلط، يا ماما لازم تسمعينا وتحسي بينا شوية،الزمن اتغير وحاجات كتير اتغيرت، لو ضغطتِ عليها ممكن تضعف أو تبطل تذاكر خالص وتسقط

كلمات شجعت لبنى على أن تضع رأيها من باب الدعم فأكملت: ليلى معاها حق، لميا مش صغيرة عشان تضربيها سيبيها تختار وتقرر وحتى لو غلطت هتتعلم

والتفسير الوحيد لكلمات ليلى ولبنى أنهما قد شعرتا بأنها فقدت هيبتها، وأن ما فعله مختار قد منحهما الجرأة فقررت تذكيرهما بدورها وقد تحدثت بكبرياء حين نظرت لليلى: أنا صاحبة الفضل عليكم، لما سمعتِ كلامي يا ليلى بقيتِ دكتورة ناجحة ومرات دكتور كبير

ثم نظرت للبنى وتابعت: وأنت يا ست لبنى لولا كلامي ولا كان عمرك فلحتِ، كل واحدة فيكم كانت دايما بتفكر غلط وبتتصرف غلط وأنا

وراكم أصلح ولولايا أنا مكنتش ولا واحدة فيكم في اللي هي فيه دلوقتي

"صدقتِ"

كلمة قالتها أعينهما ولم تقلها ألسنتهما ولن يفيد الكلام ولن يجدي، طالما الصورة أمام الناس كاملة ومنمقة فلا يهم حقيقتها من زيفها ولأن الكيل فاض فقدت ليلى السيطرة على عقال أمرها ووجدت الكلمات تنطلق منها كرصاصات طائشة، لم يستوقفها بمن ستستقر

مفيش فايدة، مهما قولنا مفيش فايدة، أنتِ صح وإحنا لو حاولنا لوحدنا هنغلط، فلازم تحركينا في إيدك زي الماريونيت وإلا يبقي جحود مننا لأمنا اللي ربتنا

ليلى

هتفت لبنى لأنها كانت تعلم إلى أي طريق سينتهى مطاف حوارهما إن كانت البداية هكذا

- سيبيها يا لبنى

هتفت بها تيسير ثم نظرت لليلى بحدة وأردفت: وإيه تاني يا بنت مختار المسيري،الظاهر إنك كاتمة في قلبك وساكتة وأنا معرفش وقبل أي رد من ليلى جذبتها لبنى من ذراعها وعقبت: بلاش كلام دلوقتي، سيبي ماما ترتاح وخلينا نيجي....

دفعت ليلى يد لبنى عنها وقاطعت جملتها ثم وقفت قبالة والدتها وردت: أيوة أنا فعلا جوايا كتير قوي، لكن أنتِ عمرك ما هتشوفي الصورة على حقيقتها، وأول حقيقة لازم تعرفيها تعرفي إن بابا كان متجوز نشوى، وإنها مكانتش نزوة كانت مراته وماتت وهي حامل

منه، مختار لما جاتله فرصة يختار اختار يسيب البيت ده، مختار كان بيحب نشوى....

"كدابة"

هتفت بها تيسير لتقاطع كلامها وأكملت بكبرياء بارد غير عابئة بما سمعت عن زوجها بل كل ما استوقفها هو أنهن كن على علم بما يفعله والدهن دون محاولة واحدة لإخبارها، جلست على إحدى الأرائك صامتة فجاورتها لبنى كي تربت على كتفها فدفعت بيدها عنها بينما صمتت ليلى لظنها أن صدمة والدتها فيهن قد تفيقها لكنها صدمت حين ردت: وأنا ليه هستغرب جحودكم وهو نفسه كان جاحد أكتر منكم،حسبي الله ونعم الوكيل فيكم، يا رب تدوقوا من القهرة اللي أنا فيها يمكن تحسوا،ولحد ما أموت عايزاكم تعرفوا إني مش مسامحاكم وعمري ماهسامحكم

قالتها واتجهت لغرفتها دفعت بابها ثم أغلقته عليها، لتتركهما يتبادلان النظر بحيرة لا يدريان معها ما الذي اقترفته أيديهما لتكون هذه عاقبتهما عندها.

انزوت بغرفتها منذ عودتها لا تملك أي رغبة في رؤية أحد، شعرت بالضيق وقد كانت كلمات تيسير تتلقف عقلها وتؤلم نفسها بشدة، ألم منبعه أمومتها وحبها الشديد لأطفالها إذ أنها رغم كل ما فعلته تيسير معها تخشى أن تَعَقُّلها فيرد لها عقوقها، اتجهت للشرفة علها تتنفس بعض الهواء، وعندها لمحت سعد وقد جلس أمامه إياد يلعبان سويا الشطرنج كما عوده، وعندها شردت في صغيرها الذي كبُر وفي ملامحه وتصرفاته التى باتت تشبه سعد كثيرا

شعر سعد بها لكنه أدرك أنه لو نظر ناحيتها ستخجل وربما لن يشعر بمتعة مراقبتها
ركز في خطوات لعبه مع إياد ليلاحظ بعدها أن إياد نفسه شارد، فطالعه بصمت حتى بدا واضحا أن ثمة أمر يشغل عقل الصغير ويريد أن يتحدث فيه فبدأ سعد يحثه، سأله فخجل وعندما احمر وجهه بدا واضحا لسعد أنه أمام أمر أحرج إياد والذي حرك قطعة شطرنج جديدة محاولا التظاهر بالتركيز في اللعب، فحرك سعد القطعة خاصته منتظرا رد إياد وعندما صمت عقب هو: اسأل يا إياد متخافش
سعل ثم ازدرد لعابه وسأل بجدية: توعدني إن الكلام ده يكون بينا وماما متعرفش
اعتدل وقد زاد تأهبه وهو يرد: هو الموضوع خطير قوي كده
- أبدا، بس جايز ماما تفهمني غلط
كلمات دفعت سعد ليقرب مقعده من إياد قدر المستطاع ليكون إلى جواره ثم سأل وقد استشعر القلق: في إيه يا إياد؟
فأجابه مضطربا: هو أنا ممكن أتأكد من مشاعري ناحية حد إزاي؟
قالها ونكس رأسه وكان ذلك كفيلا ليفهم سعد عما يسأل، كبُر إياد ويسأله عن الحب، ابتسم عندها وسأله: اسمها إيه؟
بابتسامة ممزوجة بالخجل أجاب: أروى
أشعرها حدسها الأمومي أن ابنها يحكي لسعد شيئا خاصا فكان الفضول هو المحرك لخطواتها مقررة أن تعرف مفردات الحوار
عندها عقب إياد: حضرتك شايف إنه لعب عيال
قالها وبدا على ملامح وجهه شيء من الأسى، فقررسعد احتواء الموقف، امتنع عن تحريك قطعة الشطرنج وأمسك بكف إياد يدفعه

للقيام من مكانه وطوق كتفه بذراعه مقررا أن يلعب دور الأب الآن بجدارة مستحقة فمشيا معا في حديقة الفيلا وبعد لحظات من السير أتى رد سعد: عمر المشاعر ما كانت لعب عيال، المشاعر مهما كان سننا هتفضل مشاعر لازم نحترمها ونستوعبها إنما برضو مهم إننا نشوفها صح، يعني بلغة العلوم، الحب في سنك زي البذرة اللي اتحطت في أرض وبدأت تنبت، لو قررت تقطفها قبل أوانها وجيت تدوقها هتلاقيها مُرة عشان لسة مستوتش وساعتها مش هتكون مبسوط عشان استعجلت حاجة قبل أوانها وده عمره ما كان صح قسمات عدم الاقتناع بدت على وجهه واضحة، لم يعجبه الكلام أو ربما لم يرِحه، لن يفهمه الكبار لن يفهم أحد أنه صادق فيما يشعر وأنه يحب من صميم قلبه، أومأ برأسه لينهي الكلام بعدما توقف لبرهة، استشعر سعد قلقه فسأل: مش مقتنع بكلامي

نكس رأسه دون رد ففهم سعد، فكر أن يجمع شتات الكلام ليقنعه لكنه كان يدرك أن الأمر صعب فقرر أن يسأله: طيب لو أنت قلتلها إنك بتحبها، إيه الخطوة اللي بعد كده؟

بامتعاض أجابه: معرفش، بس أنا لو فضلت ساكت جايز تضيع مني أو حد تاني يقولها فتتعلق بيه

- طيب ما جايز بعد ما تقولها برضو تتعلق بغيرك

هتبقى على الأقل عرفت، أوقات كتير الناس اللي بنحبهم بيبقوا مستنين مننا كلمة، كلمة تحسسهم إنهم مهمين عندنا وفارقين معانا هل كبر إياد إلى هذا الحد؟

إلى حد رؤية ما قد يعجز من هم أكبر سنا في رؤيته؛ لم يجد سعد ردا فصمت، وعندها باغته إياد بسؤال: أنا كنت متأكد من رد حضرتك عليا، بس كان نفسي تسألني سؤال تاني
"اشمعنى البنت دي؟"
- ليه؟
يمكن عشان حاسس إننا نشبه بعض، دايما كنت حاسس إن بينا حاجة مشتركة لحد ما عرفت إن باباها ومامتها منفصلين، هتقولي فين الشبه، هقلك إني دايما حاسس إحساسها، حاسس وواثق إن بابا وماما منفصلين وإن بابا عمره ما كان مهتم ولا عمره هيهتم
تبادلا النظر فكانت ملامح سعد تحمل الصدمة وعندها أكد الصغير الذي كبُر: وماما أكيد زعلانة من تصرفات بابا دي، عشان كده أنا عايز أروى تعرف إنها مهمة ومهما كانت ظروفها أنا بيها مهتم
رأت دموعه منهمرة وسعد يمرر يده على خده ليمسحها وقد أعجزه ما سمعه عن الرد، وقد بدا أن نصائحنا المعلبة ما عادت تنفع صغارنا، بل هم كبروا حد تلقيننا الدروس، انهمرت دموع إياد فضمه سعد لصدره وشعر أنه هو من ستدمع عيناه فعقب: خلي بالك منها وافتكر ريناد كويس وأنت بتتعامل مع أي بنت
وبعد سكون أومأ إياد برأسه وصعد لغرفته تاركا سعد في ضيق وشرود لم يعهده وكأنه صدمه بكل ما قاله
وعندها قررت لبنى التخلي عن صمتها فتابعت سعد الذي أكمل السير في الحديقة حتى وصل لجزئها الخلفي ثم اتكأ على أحد أحواض الزهور عاقدا ذراعيه أمام صدره بعدما رفع بصره إلى السماء التي لم تحمل لا هلالا ولا قمرا وملأه الهم، ليكتشف أنها جاورته لتسأله

في قلق: هو إياد عنده مشكلة، أنا متابعاكم من أول ما بدأتوا كلام بس قلت مش هتدخل وهسيبك تتصرف، في إيه يا سعد؟
أكانت هُنا؟
نظر باتجاهها ليستوقفه تحديقها في عينيه بقلق تفوح منه رائحة أمومة حُرم من عبيرها واكتست ملامحه بالأسى لكلمات إياد التي أيقظته من غفلته، لن يستطع يوما أن يلعب دور بديل الأب بالجدارة التي ظنها، إياد يفتقد والده وربما ريناد وزياد مثله ولبنى قالتها صريحة لن تكون مكانه، زاد صمته من قلقها فعاودت السؤال وعندها قرر أن يقص عليها كل ما قاله إياد دون نقصان كلمة واحدة، فعل ذلك متعمدا، وكأنه يريد أن يعرف ردة فعلها وإجابة سؤال في نفسه، من هو في نظرهم؟
أنهى كلامه وانتظر، وقلبه يخفق بترقب أمام تعابير وجهها الجامدة، ابنها الذي لم يتجاوز الرابعة عشرة يحب زميلته، ما الذي بيدها أن تفعله، نصيحة سعد هي احتواء للموقف لكنها ما عادت تسمع، شردت لتفكر فقط في نظرة إياد لأبيه
"بحياته لم يكن أبدا مهتما"
انهمرت دموع عينيها شلال، آن أوان الاعتراف بالضعف، ما عادت تقوى على إظهار أن كل شيء على ما يرام بينما الحقيقة هي العكس، عليها أن تهرب لغرفتها تواري رأسها بين الوسائد تبكي وحسب، لا ينبغي لأحد أن يراها هكذا وتحديدا سعد
قامت من مكانها دون أي رد مقررة الإسراع لغرفتها إلا أن سعد استوقفها وكان هذا أصعب ما في الأمر إذ أنه تخلى عن أخويته المزعومة ولامس يدها، لا لم تكن ملامسة بل احتوى كفها بين يديه

وبهدوء أدار جسدها ليقابل وجهها وجهه مقررا التطلع للدموع والضعف مترجيا بعدها: ممكن متعيطيش

لم تنفض يده ولم تحاول إبعاده ولم تتوقف عن البكاء بل أجهشت، ستدعه يرى الضعف عن كثب ولن تواري من أنينها شيئا، ودون تردد أو لحظة للتفكُر ضمها لصدره، ليحتوي ضعفها ويؤكد أنا معكِ "كوني أقوى"

لم يقلها لكنها استشعرتها حين احتوى وجهها بين كفيه ليمسح الدموع عنه وهو يهمس: دموعك غالية عندي، أرجوكِ متعيطيش، أنا جنبك أنا سندك

وعلى وقع كلماته زاد بكاؤها، تعرف حقيقة علاقتها برياض لكنها تمقت المكاشفة، تكره أن يكون ظاهرا للجميع حقيقتها، انتظر سعد تعقيبا على ما قاله ولكنها لم تعقب، ألا يكفيها وجوده إلى جوارها

الدموع دي سببها رياض ولا كلام إياد وجعك، ممكن أعرف؟

قال جملته ولايزال محتفظا بوجهها بين يديه وعيناها أمام عينيه ونبرة صوته تملؤها اللهفة، لهفة محب سقطت مقاومته وبغيته باتت أمام عينيه فوجد نفسه يزيد من احتوائها يقربها أكثر وشفتيه تقبل جبينها وهي لا تمنعه، وعندها لم يصدق أنه اعترف لها ضمنيا بحبه دون نهر أو مقاومة، فانسابت القبلات منه على وجهها وقد زاد شوقه وتابعتها الجملة التى قيلت لتحسم أمره: لبنى أنا بحبك

دفعته وكأنها استيقظت من كابوس فجأة ثم احتال الاستسلام لانتفاضة تكللت بصفعة ليستفيق بدوره، لطمة كاد معها أن يهوي أرضا، ضعف انقلب لقوة كان منبعه عيناها وقد نظرت له بحدة بينما هو في ذهوله غير مصدق حتى علا هتافها: لو ده تمن وقوفك

جنبي، يبقي اخرج من حياتي يا سعد ومش عايزة أشوف وشك، أنا ضعيفة ورياض بعيد وعمره ما سأل ولا اهتم بس ده مش معناه إني ممكن أكون خاينة

قالتها بغضب زلزله وكأنها تعايره بمن خانت وضعفت

أحقا تفعل؟

ولم تنتظر برهة وقد تركته وجرت مبتعدة، لا تريد إلا محو تلك اللحظة من عقلها كونها كادت تضعف وتسقط

ولم تدرِ وهي تجري بعيدا أن هناك من كان يراقبهما وعلى هاتفه يسجل ما بينهما لحظة بلحظة حتى انتهى من تسجيل الفيديو فابتسم ساخرا وقد عقب في نفسه متسائلا

"إن كان هذا هو الحال بينهما هنا في فيلا الدويري وفي حديقتها الخلفية، قبلات وأحضان لظنهما أنهما في مأمن، فما الذي يحدث بينهما حينما يجمعهما منزل لبنى حيث الأبواب المغلقة والأسِرّة؟"

(5)

"البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، فكما تدين تدان"

كان هذا آخر ما سمعه بإذاعة القرآن الكريم التي اعتاد تشغيلها في مذياع سيارته كل صباح، راوده عندها شعور بالاشمئزاز من نفسه، وتخبطت مشاعره بين خوفه وأعذاره، فما يدمن فعله خلف بابه المغلق إن كان لايعلم عنه أحد، فإن الله يعلم ويرى وسوف يسأله عن بصره وسمعه وشهوته التى تتلقفه

زفر فخرجت تنهيدته الثقيلة بينما فكر بحياته مع ليلى وما آلت إليه، كان يسير عندها بالمشفى بكامل جلاله المعهود متجها لمعمل التحاليل الطبية، كان المعمل فارغا حين وضع حقيبته على مكتبه وبدأ بمراجعة ملف نتائج الأمس وقد جلس يوقع ما كان بحاجة لتوقيعه، عليه أن ينهمك في العمل وعلى ضميره أن يتركه الآن فالطبيب الوقور ذو الخامسة والأربعين من عمره لا ينبغي لهيبته أن تمس خاصة أمام زملائه وكل من يرأسهم في العمل.

في تلك الأثناء توقف المصعد وخرج منه سعد متجها إلى المعمل ليجد محيي قد سبقه وانهمك بالعمل فألقى التحية ووضع حقيبته بخزانة بجوار الباب، ثم خلع سترته الجلدية وارتدي معطفه، بدأت خطوات عملهم الاعتيادية بينما أتت عاملة كافيتريا المشفى لتضع لمحيي قهوته ولسعد النسكافيه كعادة كل يوم

ساد الصمت لعدة دقائق كان يشعر سعد فيها بالقلق خشية أن تكون لبنى قد قصت ما حدث بينهما لليلى وبالتالي عرف محيي لكنه أدرك

أنه يتصرف كعادته حين التفت على غفلة وطالعه، ثم عاد لعمله أو بالأحرى شرد
رحلت لبنى باليوم التالي دون رؤيته وقد قررت حظره من كل وسائل التواصل معها، خسارة حتمية لعلاقتهما ولكنه يعترف أمام نفسه بأنه لم يندم على ما قاله، بل لقد كانت خطوة متأخرة.
قطعه من شروده طرقات على الباب التفت على إثرها هو ومحيي لرؤية من تغيبت عدة أيام دون مبرر ثم عادت اليوم، ربما لكونها متدربة لم تهتم بإخبارهم عن سبب غيابها، أيا كان السبب هي غابت ثم عادت وأيام وستحظى بشهادة التدريب ثم ترحل بشكل نهائي لكن على كليهما أن يعترفا أن لعودتها رونقها الخاص بعدما اختبرا العمل بدونها، فهي مجتهدة وذكية وجميلة و....
"امرأة وكفى"
وضعت حقيبتها في الخزانة بعدما ألقت التحية واعتذرت عن تغيبها لظروف خاصة ثم خلعت سترتها الجينز وعلقتها، ودون تعمد وجد محيي عيناه قد انشغلت بالتحديق بها والتركيز مع تصرفاتها، رفعت ذراعيها لترتدي معطفها بينما فرض عطرها ذراته على هواء الغرفة، تنسمه بنهم كاد ينسيه هيبته لكنه أسرع في خفض بصره والرشف من قهوته والتظاهر بتركيزه في عمله، بدأ سعد تشغيل أحد الأجهزة وقبل صعوده لسحب عينات القسم الداخلي، بادرت هي فحملت ما ستحتاجه وخرجت، حث الفضول محيي فسأل سعد عنها، وكانت شهادته في صالحها، فهي مجتهدة تتعلم كل شيء بسرعة ودقة والمعمل بحاجة لوجودها

وكلمات سعد كانت كفيلة لتشجيع محيي على التحدث لدكتور عبد الراضي كي تتم إجراءات توظيفها، وساطة غير متوقعة فرضت على محيي الاتجاه لمكتب دكتور عبد الراضي بينما عادت هي بعدما أنهت مهمتها لاستكمال تحليل العينات، ثم التفتت تسأل سعد عن شهادة تدريبها، لتجده يبتسم فثمة شيء آخر لم تتوقعه ينتظرها ومقابل ابتسامته ابتسمت فثمة شيء آخر لم يتوقعه منها ستفعله، اتجهت لحقيبتها وأخرجت منها هدية وأمام سعد وضعتها، علا الاستغراب وجهه وهو يسأل عن سببها فأتت الإجابة ببساطة: دي أقل حاجة ممكن أقدمها لحضرتك بعد تعبك معايا و تدريبي طول الأيام اللي عدت
فتحها ليجدها كتاب - لا تحزن - أكانت تعلم أم حالفها القدر؟
شرد في الكتاب وعنوانه وإهداء كتبته بخط يدها في أولى صفحاته "بالغ شكري وامتناني لكل ما بذلته من جهد لكي تساعدني وتعلمني"
(غادة رفعت)

في زمن مرجعيته المظاهر يختلف تقييم كل شيء، الوقار،الهيبة، احترام الناس
كل شيء سيأتيك على طبق من ذهب مادمت صاحب الحُلة الغالية والسيارة الفارهة والسائق الخاص وبعض الشكليات الأخرى، وهو أدرك ذلك منذ وقت طويل حين اختبر الفقر بماضيه، لذا قرر أن يصبح المحامي الاستثنائي لأي مذنب طالما امتلك المال أو النفوذ أو السلطة أو جميعهم

وأمام شركة العميل الأهم لمكتبه توقفت سيارته ونزل سائقه ليفتح له بابها، ترجل بعدها حتى وصل إلى مكتب السكرتارية الخاص بفوزي الجمال، رافقته إحدى موظفاته وقامت بتوصيله وعندها هب فوزي للترحاب بمحاميه الكفء بحرارة وما إن تم إغلاق الباب حتى صفق لمحاميه الهمام وهو يؤكد: الله يرحمك يا مختار
ليعقب بعدها فاروق ساخرا وهو يرفع كلتا يديه لأعلى: الفاتحة بقى على روحه الطاهرة
لتتعالى بعدها ضحكاتهما وقد أكد فاروق
"لقد تم حفظ القضية"
مات مختار لا يهم كيف ولماذا المهم أنه مات
"ارتاح وأراح"
ولن يستوقفهما الحوار عنه فثمة ما هو أهم للمناقشة فتابعا حديثهما حتى وقف فاروق بعدما انتهت جلستهما ليرحل وقبل المغادرة بادره فوزي ليسأله: كنت محتاج معلومات عن غادة رفعت، إيه مش ناوي تاخدها؟
- عرفت عنها إيه؟
سأله فاروق باهتمام، فرض الدهشة عليه وعندها أجابه: مفيش أكتر من اللي قلتهولك، بنت مهندس كان بيشتغل في قطر فترة ورجعوا مصر من مدة واستقروا فيها ومعندوش غيرها، إنما ليه كنت عايز تعرف معلومات عنها، أنت مش ناوي تبطل شقاوة حتى وأنت في السن ده
قالها ساخرا فابتسم فاروق ولم يشرح له الأسباب، فقط إجابة هلامية: تقول إيه بقى، يموت الزمار وصوابعه بتلعب.

لا أصعب من إدراكها أنه مزاجي إن زهد ينفر وعندها عليها إدراك أن ناقوس الخطر بات يقرع

والشواهد كُثر كونه ما عاد مهتما برسائلها أو اتصالاتها، والمقابلات شحت والزيارات أيضا، هكذا هو دوما ابن الدويري المدلل، يسعى خلف كل امرأة مادامت عليه صعبة وما إن يصل إليها ويشغلها حتى ينتهي شغفه، فينهمك في حياته تاركا إياها على الهامش حتى تمل وتختار بمحض إرادتها أن تفارقه، وهي تعرف أنه كما كان سهلا عليه خسارة زوجته الأولى والثانية وكل من تقرب منهن في خضم رحلة حياته فلن يصعب عليه أن يخسرها

"لا هي ليست مثلهن هي بالتأكيد مختلفة، هي فقط بحاجة لمعرفة نقطة ضعفه أو المدخل لشخصيته ومع المزاجي القصة ليست سهلة، فلا اهتمام يكسبها قربه ولا التجاهل يزيد من شغفه"

وها هي تتجه صوب مكتبه علها تفهم السر وراء لامبالاته.

أحد أعرق عمارات مصر الجديدة ذات الإطلالة المميزة، الطابق الثاني فيها بكامل وحداته، لافتة كبيرة تتوسط واجهة الطابق كتب عليها

"مكتب فاروق الدويري للاستشارات القانونية والمحاماة"

عدة غرف متجاورة لا حصر لها لمكتب يعمل بديمومة تكاد تكمل الخمس عشرة ساعة في اليوم الواحد، محامون تحت التدريب وآخرون يعملون بشكل ثابت على رأسهم ثلاثة

" أيمن.. شهاب.. إكرام"

ولم تكن شيري بحاجة إلى طرق أي أبواب وهي تتجه بواجهتها إلى المكتب الخاص بأيمن، ولن يستوقفها أيا من العاملين خاصة أمين الساعي، فالكل يعرف من تكون ويكفي أنها خطيبة أيمن

طرقت بابه ودخلت، وحين لمحتها إكرام وهي تخرج من مكتبها إلى مكتب أيمن مطت شفتيها وقد فهمت، أيمن منشغل الآن فيما هو أهم من عمله لذا ستعود أدراجها وتؤجل مناقشته في المرافعة التي طلب منها كتابتها، استغرب شهاب عودتها وهي تضع الأوراق على مكتبها فسألها ولم يستغرب حين أجابت باقتضاب : شيري عنده

ولم يستطع كتم ابتسامته والتي احتالت لضحكة رغما عنه لكنه تراجع حين نظر لها وشعر بضيقها ولم تعقب إكرام بعدها بكلمة وقبل أن يشرع شهاب بأي تعقيب استوقفهما صوت أيمن على باب المكتب وهو يوجه كلامه لإكرام بحدة: مش المفروض إني كنت طالب منك أما تخلصي كتابة المرافعة تجيبيها على مكتبي

ساد الاستغراب ملامح كليهما وبالأخص إكرام والتي وقفت في مكانها وقد تعجبت كونه ترك شيري بمكتبه وجاء يسألها عن العمل، وقبل الرد جاءها الأمر أن تأتي بما طلبه وتتبعه إلى مكتبه ثم انصرف

وطريقته فرضت على إكرام وشهاب الاستغراب لكنها لم تملك إلا تنفيذ ما طلب، وضعت كل الأوراق أمامه وتبادلت التحية والخطيبة التي جلست بالمقعد المقابل لمكتبه يكاد وجهها يصرخ بما تحمله نفسها من بركان غضب، أيمن يستهتر بوجودها ويتابع عمله دون اعتبار لمجيئها ولم يدعها تقول أي شيء مما أرادت قوله بل بعد دخولها بثوانٍ تركها وخرج ثم عاد ومعه إكرام ليستكمل ما بدأ،

زفرت بشدة ثم نظرت لإكرام في ضيق ثم وقفت في مكانها وعقبت: الظاهر إني هعطلك، نتقابل بالليل أوكي؟
قالتها والتفتت لتخرج ففاجأها برده: شيري لما أفضى هكلمك، وبعد كده لو جاية عرفيني من قبلها عشان ده مكان شغل مش كوفي شوب، أوكي؟
أومأت برأسها بابتسامة صفراء مقررة بعدها الرحيل وقد صفعت الباب خلفها
وساد الصمت بعدها....
يدرك أيمن أن إكرام لن تقاطعه ولن تعقب رغم أنه تعمد أن يحدث كل هذا أمامها وتدرك إكرام تعمده بل وتدرك ما يريده منها جيدا، لكن ستظل المراوغة هي آخر استطاعة عندها والتجاهل هو بوابة الخروج من هذا الموقف كما كل المواقف التي سبقته.
أنهى قراءة المرافعة ونظر لوجهها في هدوء وهو يعقب: تمام يا إكرام
- مطلوب مني حاجة تانية؟
- لا
وما استشعرته إكرام أن الهروب من أمامه أمنية قصوى لكن هل سيدعها تفعل ما تأمله، بعد رده التفتت لتخرج مسرعة خشية أن يستوقفها وحين اقتربت من باب الخروج ظننته سيناديها و لكنه لم يفعل، شرع في استكمال عمله دون النظر لها فاستأذنت لتخرج وسمح هو ببساطة فعادت لمكتبها يملؤها الاستغراب، تدور آلاف الأفكار برأسها، تعرف أيمن أكثر حتى مما يعرف أيمن نفسه، لِمَ يريد

التخلص من شيري؛ امرأة جديدة لاحت في الأفق أم الحنين لحبيبته؟
وحبيبته من تكون؟
تكون هي
الإجابة دائما وأبدا إكرام، ولكن ألا تزال الإجابة على حالها رغم مرور الزمن؟
رغم رفضها ورفض سعد بل ورفضهم جميعا
واللعنة على نبض القلب حين يختار الشخص الخطأ، لكنها لم تختر فالنبض مفروض رغم المقاومة، لكن إلى متى؟
في كل مرة ينفصل فيها أيمن عن امرأة تظنه سيعيد الكرة ويتحدث عنها لكنه يصدمها باختيار واحدة أجمل ممن سبقتها وكأنه يتعمد أن يثير حنقها وحفيظتها بكل تصرف يتصرفه، ما دوافع ما يفعله وما الذي يريد أن يثبته؟
أينتقم منها أم من كريمة ولكن عبر نساء غيرهما؟
أم ينتقم من فاروق أم من أيمن نفسه؟ أم أنها تظن أنها تفهمه والحقيقة أنه لم يعد يبالي بها منذ أن قررت خذلانه؟
"اللعنة على الأسئلة "
لِمَ الإصرار دوما على انتظار أفعال أيمن لتكون هي مجرد رد فعل، لِمَ لم تحاول ولو لمرة واحدة أن تأخذ هي بزمام المبادرة
سؤال جاء الدفع به على إثر صوت من انتشلها من شرودها، ذلك المهتم بها دون إفصاح
"شهاب"
- مالك، أيمن قالك حاجة؟
- أبدا، كله تمام

ابتسم وقد أشار لها بإبهامه كعلامة تؤكد لها أنها أحسنت الصنع: ممتاز

قالها وخرج من الغرفة بينما ظلت هي تتبعه بعينيها متسائلة؛ هل لو قرر الإفصاح ستوافق على التلاعب به، اتباع أسلوب أيمن معها هل سيجدي إن بادرت واتبعته هي؟

أجابت نفسها "لا" بل ستختار زوجها بعقلها وبالتأكيد لن يكون أيمن ضمن حساباتها مهما فعل، فمن هي لتنافس قائمة الجميلات التي حظى بهن في حياته، تريد رجلا يحب إكرام بقلبه لا تقتصر رؤيته على نحالة جسدها وسمرة بشرتها واتخاذ كلا منهما مبرر لخيانتها، هكذا دوما ترى نفسها كونها توارثت الشبه من والدها، وذلك الأسمر النحيل خانته زوجته فما بال الأمر لو انعكس وكانت ذات المواصفات نفسها في عصمة رجل؟

Find

The decrease of 2 (x – 4 y) - z than

the sum of 3 (x - y) + 2 x – 4 (y + 2 z)

كتبها ثم التفت لتلميذاته يسألهن من باستطاعتها حلها ومن ستكون الأولى منهن، في نفسه كان يعلم من ستفعل حين شرعن في الحل وبعد عشر دقائق كانت تقف أمامه وقد وضعت كراستها على المنضدة الخاصة به، ابتسم وقد أمسك بكراستها ليقرأ الإجابة ثم عقب بعدها: ممتاز يا فريدة

ثم أمسك بقلمه الأحمر وكتب بكراستها

" to my perfect student Farida I wish to see you always the winner "
Mr Magdy

ببالغ الفرح حملت كراستها وعادت لمقعدها يكاد يتراقص قلبها، هي الأولى على فصلها ولن تسمح لأحد بمنافستها، انتهت الحصة الرابعة وبدأت معها الفسحة المدرسية فاتجهوا للفناء ولازالت فريدة تحدق بكراستها وتفكر في مدرسها الذي دائما ما يدعمها بكل طاقته، هل يعرف الأستاذ مجدي أنه بكلماته تلك قد مس بفريدة أبلغ نقطة ضعف لطفلة لم تعتد التشجيع من قبل، بل وتحرك جزء من شغاف القلب، بديل قدوة جيد خاصة مع غياب الأب الذي بالرغم من وجوده إلا أنه لم يعن يوما شيئا، الأب دائم الانشغال بعمله وإن عاد للبيت فكنفه مكتبه المغلق عليه وأولوياته عمله والحجة أنه يوفر لأولاده كل ما يتمنون، دون إدراك منه أن ما تتمناه فريدة بصدق هو ما يفعله مدرسها بالضبط.

كانت ممسكة بالآيباد الخاص بها، إدمان الروايات متعة لا حدود لها عند كلتيهما وها هما كعادتهما تقرآن كلما تسنى لهما وما اعتادتاه أن تقرأ ريناد بصوت عالٍ وتسمعها أروى

- مزق ملابسها ثم شرع....

- بسسس

استوقفتها أروى معقبة: هي الرواية دي كلها كده، إيه يا بنتي ده، ده مفيش أربع صفحات بيعدوا من غير مشهد أستغفر الله العظيم

بطلي هبل يا أروى كل الروايات تقريبا كده وبعدين اللي أنتِ معترضة عليها دي مترشحة للبوكر يعني من أحسن الروايات اللي نزلت

باستغراب وقد مطت شفتيها ردت: بوكر، طيب والله دي فكرتني بالأفلام إياها

قالتها بوجه أحمر قانٍ وهنا تعالت ضحكات ريناد معقبة: أنتِ ليه محسساني إنك طفلة، يا بنتي الكل بقى بيقرأ روايات زي دي عادي جدا وأي سن وربنا يخليلنا ال pdf وبيتفرج على أي حاجة وربنا يخليلنا اليوتيوب

- وهما عارفين إن أي سن يعني عارفين إننا في سنة سادسة وإن في بنات وولاد في ابتدائي وإعدادي بيقروا الكلام ده وعشان كده بيشرحوا بالتفصيل فوق الممل

- متفهميهومش غلط دول نيتهم خير عايزين الجيل اللي جاي يتأسس صح

مازحة أو ساخرة لا فرق، قالتها ريناد وهي تضحك ثم عادت لتستكمل القراءة بينما اعترضت أروى مقررة أن تعرف النهاية منها شفهيا بعدما تنتهي منها، ولموقفها ريناد لن تهتم تحب القراءة وتقرأ في كل شيء ووالدتها تشجعها دون محاولة منها ولو لمرة أن تعرف ما بات يقرؤه جيل اليوم.

انتهت الفسحة وعادوا لاستكمال يومهم الدراسي وبعد مرور حصتين اتخذتا قرارهما بالتزويغ، وبالحمام مكثتا.. ولم تتوقع لمياء وهي

تتوجه إليه أن ثمة اثنتان من زميلاتها هناك، استوقفها الصوت والرائحة التي بدأت تملأ المكان ومن كانت هناك "شذى" إحدى صديقات نشوى المقربات، غسلت لمياء يديها وهمت لتخرج لكنها وجدت من استوقفتها سائلة وهي تشير إلى آثار الكدمات على وجهها
: أنتِ إيه حكايتك يا بنتي، أنتِ مش مصدقة أنك بنت؟
ثم مازحة أكملت: والمرة دي ضربتي ولا اتضربتي؟
لم ترد والتفتت لتخرج فجاءها التعقيب: طب وليه التقل ده؟
قالتها بتودد وقد مدت يدها للمياء بما كان معها وقالت: تجربي؟
عقدت ما بين حاجبيها وهتفت: سجاير !
شعرت بضيق مما فعلته شذى واستغربت لجرأتها في أن تظهر ما تفعله وصديقاتها في حمام المدرسة دون أن تخشى من أن بإمكان لمياء أن تخبر أحدا فاكتفت ب : شكرا
وخرجت لتجد من خرجت خلفها ومشت إلى جوارها وعقبت ببالغ استغرابها: تعرفي يا لميا أنا لحد دلوقتي مش مصدقة إن أنتِ ونشوى كنتم أصحاب، اللي يشوفك وأنتِ مستغربة السجاير ميقولش أبدا إنك مجربتهاش
كانتا تصعدان الدرج متجهتين إلى فصلهما، استوقف لمياء ما قالته شذى وعندها عقبت: أنتِ حد قالك إن أنا جربتها؟
- صاحبة نشوى بقالك سنتين ومجربتيش منها ولا واحدة
وهل كانت نشوى تشرب؟
سؤال لم تسأله ولم يعد هناك شيء يصدمها، لم تكن نشوى صديقتها بالأساس كما ظنت، لقد كانت فقط بمثابة "كوبري" عبرت منه نشوى لاستدراج والدها، لمحت شذى الشرود في عيني لمياء

فاستكملت حوارها بسؤال: أنتِ مكنتيش تعرفي إنها بتشرب سجاير، أمال أنتِ كنتِ تعرفي إيه بالظبط عن نشوى؟
صعدت درجتين من السلم لتسبقها ثم التفتت وأكملت بصوت منخفض: على فكرة محدش يعرف نشوى قدي، أنا الوحيدة اللي أعرف عنها كل حاجة بما في ذلك اللي كان بينها وبين باباكِ
ثم مالت على أذنيها وأكملت هامسة: بس متخافيش محدش غيري يعرف..

انتهى اليوم الدراسي فكان على ريناد التوجه لفصل زياد، وما إن رآها حتى قام من مكانه مرتديا حقيبته وقد سار خلفها، تحب أن تلعب دور الأخت الكبرى بأسئلتها التي تسألها كل يوم وعلى رأسها: أكلت سندوتشاتك النهاردة؟
ويكتفي بإيماءة من رأسه ثم السير في صمت حتى مكان تجمع الحافلات المدرسية المخصصة لنقلهم لمنازلهم، لا يحب الصعود مبكرا بينما لايزال المشرف المسؤول عن حافلته يجمع الطلاب، فكل ما يفكر به زياد في تلك اللحظة هو كيف يتخلص من بقية شطائره ليتفادى شجار والدته معه فيتجه لحديقة المدرسة باحثا عن القطط، يقطع شطائره لقطع صغيرة ويضعها أمامهم ثم يعود أدراجه حيث مكان الحافلات، إلا أن ذات الشيء كعادة كل يوم يستوقفه، رغما عنه يحب التطلع في وجوه آباء زملائه وعلى رأسهم والد "يوسف" زميله بالفصل كونه يراه كل يوم يجري عليه متلهفا بينما والده يفتح ذراعيه ليحتضنه ثم يمسك بيده ليرحلا، هل لهذه الضمة ما يميزها حتى يحرص عليها يوسف كل يوم؟

لا يدري رغم أن سعد يحضنه ويلعب معه دوما لكنه لا يعرف هل سيختلف الأمر إن عاد ذلك الرجل الذي تعرف عليه عبر الصور، قيل له أنه والده وبالعام الماضي طلبت منه والدته أن يجري ليحضنه لكنه شعر بالخوف وتراجع وظل شعوره بالخوف لا يفارقه، لماذا ينبغي عليه أن يصدق كلامهم بأن هذا الرجل الغريب هو والده وكيف يحبه بالإكراه، لا يعرف؛ بل كل ما يعرفه ابن الثماني سنوات أنه يحب التطلع لوالد يوسف وذراعيه المفتوحتين دون أن يدري ما السبب؟

جاورت أروى ريناد كعادة كل يوم وحين صعد إياد رغما عنه نظر باتجاههما ثم اتجه ليجاور فارس والذي لاحظ نظراته لأروى فدفعه فضوله ليسأل إن كان قد تحدث إليها أم لايزال مولعا بصمته وأتته الإجابة بصوت خفيض مسبوقة بزفرة: بلاش كلام في الموضوع ده كانت الحافلة المدرسية قد انطلقت بهم لإيصالهم لمنازلهم (الوجهة الأولى كانت لفارس وفريدة وبعدهما إياد وريناد وزياد)، استشعر فارس الضيق المرسوم على ملامح ابن خالته فسأله: مالك طيب؟ شرد دون رد ناظرا باتجاهها، يدرك أنها لا تراه ولكنه أيضا يستشعر أنها تعرف أنه الآن يتابعها بعينيه، منذ كلام سعد معه وهو يتجنبها رغم إقناع فارس المستمر له بأن يتحدث إليها، قاطعه فارس من شروده بلكزة في كتفه هاتفا: إيه يا عم

ثم همس بهدوء: في حاجة حصلت، قولتلها ونفضتلك

- مش هقولها

- ليه يا أهبل، حد طايل يعرف يعلق بنت بيه، أنت فقري وربنا

- ولما أنا أهبل أنت بقى ليه مش معلق بنت من المدرسة
- عشان مش لاقي تيبي والجو بتاع المحن ده أنا مليش فيه، عموما أنت حر بس مترجعش تقول يا ريتني قولتلها لو لاقيتها مع حد تاني
قالها واتجه ببصره للنافذة التي تجاوره شاردا فيما يتمناه بصدق ويريده، طاف بعينيه في كل البنات المرافقات لهم في الحافلة ثم عاد للنافذة، يريد أن يتعرف على فتاة، والإجابة نعم، لكن ما يريده هو من تسمح له بلمسها ذلك هو ما يتوق إليه، أن يترجم ما يشاهده في الأفلام على أرض الواقع ولكن بحذر، فأي فتاة بالمدرسة لم يكسب من وراء علاقته بها شيئا سوى حب أجوف لا معنى له، يريد فتاة يحتضنها ليكتشف ما الذي يعنيه ذلك التقارب الجسدي بين رجل وامرأة دون ممانعة منها أن تدعه يجرب كل شيء لأنه بدأ يمل من استمرار متابعته للأفلام وإثارتها له دون أي جديد سوى تفريغه لشهوته وحده
توقفت الحافلة عند منزل فارس وفريدة فنزل كلاهما واتجها ليركبا المصعد، بينما لازالت الأفكار ذاتها تتلاعب بعقله، لو كان أكبر بقليل لسعى خلف واحدة من فتيات الليل وجرب الأمر برمته كاملا فالنقود لا يوجد في تدبيرها مشكلة، لكن حين تكون في الخامسة عشر توافر واحدة من هؤلاء مشكلة، لم يأت المصعد بعد فقرر الطرق على بابه مناديا من يشغله وعندها نزل المصعد
كان فارس متحفزا للصراخ في وجه من كان فيه وما إن انفتح بابه وكانت "وردة" بداخله حتى صرخ فيها: أنتِ كل ده بتهببي إيه بقالنا ساعة واقفين هنا
احمر وجهها وجاء صوتها مرتجفا: آسفة والله بس....

لكنه لم يدعها تكمل وأمسك بباب المصعد ليدخل هو وفريدة وقد زفر بشدة، لاحظت فريدة ضيقه فعقبت: بالراحة شوية مش كل ما تشوف خلقة وردة تزعق في وشها البت بقت بتخاف منك، أمال لو مكنتش أكبر منها بسنة

- الأشكال دي مينفعش معاهم إلا المعاملة دي
- كلنا ولاد تسعة
- تعرفي تسكتي

قالها وقد وصلا لمنزلهما ففتح فارس باب شقتهما بمفتاحه ودخلا ليجدا المنزل فارغا، لم تعد ليلى من عملها ولم يعد والدهما أيضا، توجه كل واحد منهما إلى غرفته، غالبا سيكون طعام الغداء معدا وجاهزا وموضوعا على منضدة المطبخ أو الموقد، بإمكانهما التسخين وتناول الطعام حتى عودة ذويهما لكنهما أرجئا الأمر، آثرت فريدة المكوث في غرفتها وقد فتحت كراستها وعادت تقرأ ما كتبه مدرسها لها، بينما قذف فارس بحقيبته وشرع في تبديل ملابسه وآلاف الأفكار تعج برأسه؛ والده وما يشاهده، والدته وما تتابعه، لقطات من آخر فيلم شاهده، كلام إياد عن أروى ومشاعره نحوها، تخيل أروى شعر بالضيق من ذلك لكنه تخيلها على سريره ومعه وبالطريقة التي يريدها، زفر، شعر بالاختناق، لا يريد الاستمرار لكنه أضعف من أن يقاوم فاندفع نحو حاسوبه وفتحه

سيشاهد من جديد وسيستمر رغم تأنيب ضميره، وكعادة كل مرة كفيلة هي أول لقطة وبعدها خياله سيكمل ولن يستطيع التوقف، طرقت فريدة الباب فجاءها صراخه من خلفه: عايزة إيه يا فريدة

- هتتغدى معايا ولا آكل لوحدي

- مش عايز يا فريدة، كلي أنتِ
زفر كون الأمر انتهى لكنه لم يكن سعيدا أو منتشيا، ارتمى على سريره يقاوم البكاء ويحاول الهدوء ويسأل نفسه بأسى: متى قد تتزوج يا فارس لينتهي هذا الوضع المزري
فأتته الإجابة بذات الأسى
"أتظن أن الزواج يعصم أنسيت، أن والدك يفعل الشيء ذاته رغم أنه متزوج"

قذفوا حقائبهم وهموا بالدخول لغرفهم بينما كانت لبنى تعد المائدة، إياد لايزال يتفادى الكلام معها ولا يريد أن يحكي وكذلك هي، أكثر شيء تريد الهروب منه هو الاعتراف أن أولادها كبروا وأن عليها الآن أن تكون صديقتهم، موضوعات كُثر كل يوم تقض مضجعها وعلى رأسها أن أولادها باتوا على عتبات المراهقة
"هل بلغ إياد؟"
صدقا هي لا تعرف ولم تحاول أن تسأله، أحيانا تود التحدث إليه لكنها تستشعر الحرج فما الذي ستقوله لابنها ومن أي اتجاه ستبدأ، تجمعوا حول المائدة ورِيناد كعادتها كانت المتحدث الرسمي، تكلمت وسردت عن يومها ومدرسيها ولم يكن أحد منهم مهتما بما تقوله سوى زياد بينما لبنى تراقب إياد بصمت يماثل صمته، حتى أتى اسم "أروى" فالتفت إياد لأخته يسمع باهتمام وشعرت لبنى بقلبها يخفق
"ابنها مهتم"
كان ذلك واضحا في نظرة عينيه وعندها قررت هي الدفع بالحديث في اتجاه آخر، واستمر الحديث بين ريناد وزياد ولبنى بينما إياد لم

يعقب ببنت شفة، انتهى غداؤهم وانكفأ كل واحد من أبنائها على واجباته المدرسية، ظلت تجوب شقتها تتابعهم بالنظر إليهم حين تقف على أبواب غرفهم
وكأنها اكتشفت قدرا اليوم أنهم كبروا، تتذكر كل قصص المراهقين التى تقرأها أحيانا عبر بعض منشورات الفيس بوك ثم تعود لتطمئن نفسها أنها تعبت في تربيتهم وأنهم لن يخذلوها أبدا، وأخيرا انتهي اليوم رغم التوتر، نام أولادها فاتجهت لغرفهم كي تدثرهم وجاورت إياد وبيدها مسحت على شعره وهي تنظر إلى ملامحه
"سيكون رجلا وسيما ومميزا ويوما ما سيتزوج ويجاور امرأة أخرى وحبا من نوع آخر، هل ستكون أروى أم أنها ستكون ذكرى والحب الحقيقي عندها سيأتي، هل يومها سيهتم أم أنه رغم أنفه سيشبه والده ويعذب امرأة لا ذنب لها إلا أنها تزوجته"
الأمر ذاته تكرر مع زياد وريناد بابتسامة ممزوجة بالدموع، أبرياؤها الثلاثة يستحقون منها أن تفعل لأجلهم ما ينبغي فعله، أن تسعى وتحاول وتتعلم
وهذا ما انتوته، فتحت حاسوبها وقررت البحث عبر "google" فكتبت
" كيف أتحدث مع أبنائي عن البلوغ "
فأتتها آلاف المواقع والتي تعج بالنصائح، وهنا زادت الهواجس، ما الصواب وما الخطأ وفي أي اتجاه تبدأ بل وبمن تبدأ ريناد أم إياد؟
زفرت وظلت تتنقل وأغلب النصائح المشتركة كانت
"لا تتهربي من الأسئلة ولا تعنفي ولا تتجاهلي"

هل النصيحة تشمل زياد أيضا، استشعرت وهي تتابع أنها كمن يحاول إيقاف قنبلة موقوتة باتت وشيكة الانفجار بل ربما هي انفجرت في وجهها حين قرأت

"في نهاية المرحلة الابتدائية وبداية الإعدادية يقرب الأطفال من سن البلوغ ويصبح لزامًا على الأبوين إجابة الأسئلة والحديث مع الفتى والفتاة عن البلوغ لديهم ومعناه وأهمية النظافة الشخصية وكيفية صرف الأفكار عن الذهن وكيفية صرف الطاقة في الرياضة وغيرها"

جرعت كوبا من الماء كان يجاورها دفعة واحدة، وقد شعرت بفوران الدماء في عروقها، كيف ستتشرح لإياد كل هذا، أم تتركه يبحث هو ويعرف من أصدقائه أو مدرسته

"من المهم التأكيد للصغير على أهمية الصداقة بينكما لاستشارتك دائما، أعود فأكرر أن الأب هو الأفضل بالنسبة للفتى والأم هي الأفضل للفتاة "

تنهيدة بائسة وقد بكت وأين الأب وقد اختار بجوار اغترابه أن يصير غريبا عنهم

"متاهة"

قد تكون على بداية عتباتها أو ربما في منتصفها وهي لا تدري، رياض أين أنت لتدعمني، لقد سئمت مواجهة مشكلاتنا وحدي، أتدري لو كنت أمامي الآن لصرخت في وجهك أن تبا لك ولكل رجل يتناسى أو ينسى أن الزواج شراكة لاثنين بُنيت قبل كل شيء على المؤازرة .

ابتاعت أكبر نظارة سوداء وجدتها أمامها ورغم التوتر وبالغ القلق اتجهت إلى هناك؛ حفل توقيع ديوان الشاعر والكاتب محمد حبيب "رسائلي إلى حبيبتي المجهولة"

ووسط الزحام تساءلت ما الذي تفعله هنا، هل كانت بحاجة لتأكيد أنه سعيد وهو يحصد نجاحاته إلى جوار زوجته، جلست في مؤخرة الصفوف وقد حصلت على إحدى النسخ الموقعة من الكاتب شخصيا، طالعت بعينيها القاعة ليستوقفها أن معجاباته الكثيرات أغلبهن فتيات دون العشرين فاستغربت، ألا تغار عليه زوجته أم أنها تستشعر الزهو لظنها أنها مختارته، والأعجب أنه في الأربعين لكنه يبدو الآن أكثر وسامة ولياقة مما سبق، مظهره جزء من رأسماله لا محالة وإلا من أين ستأتي مبيعات دواوينه ورواياته

"أتغارين ليلى"

أم هي قسوة الشوق التي أثارت بك الضجر، قررت التغافل عن الرد ممسكة بيدها كتابه تتأمله وتلامس أصابعها حروفه، كلماته وأفكاره التى خطها من قلبه وعقله، طوت الغلاف والصفحات الأولى ليستوقفها الإهداء فيعتصر قلبها خوفا

"إلى الماضي بكل ما كان فيه وإلى كل من كانوا فيه "شكرا" على الأوجاع والآلام والدموع والذكريات التى دوما تأبى أن تنتهي، فلولاها ما كنا اليوم بحال أفضل"

أهي من يقصد أم والدتها يوم أهانته أم أنه ما عاد يتذكر هذه اللحظات وكلماته محض مصادفة؟

التصفيق اقتطعها من الشرود لتتجه بعينيها صوب المنصة التي سيصعد عليها لإلقاء إحدى قصائده، استشعرت تحديقه باتجاهها

فخافت والتفتت خلفها عله ينظر باتجاه شخص آخر ثم التفتت أمامها فوجدته قد بدأ القراءة

"هل عادت....

تلك التى ادعت أنها قادرة على النسيان

تلك التى تخلت عن يديك يوم داهمك الطوفان

تركتك تعبر وحدك الطرقات لأجلها

ثم احتمت ببريق حُلي ظنته أغنى

لتدرك أن لمعانه هو وهج نيران

وياليتها أحرقتني

فطاب خاطري أني تألمت وحدي

لكن ما رأته عيناي يوم عُدتِ

أن كلانا احترق

كلانا لا زال يعاني لحظة

نسجها التيه وكللها الفقدان

ولم تمنع نظارتها السوداء انسياب الدموع من عينيها وإقرارها أنه بات يستوجب عليها الرحيل والآن، قامت من مكانها وتحركت بهدوء لتخرج مسرعة قدر الإمكان فاندفع صوته باسمها فتوقف قلبها فارضا على قدميها التوقف في مكانها

"تبا هل شعر بوجودها"

وتردد اسمها مرة أخرى بصوت أشد قوة من سابقه

"ليلى"

لا زال قيسك على عهوده

رغم قسوة الهجران

لا زال يتوق للحظة
هو من سيصنعها من حبات الغفران
"كفى"
فما عادت ليلاك قادرة على الاحتمال، عليها الرحيل دون رجعة وإلا فالقادم يا حبي الماضي سيكون فيضا من هذيان.
أسرعت حتى وصلت لسيارتها ثم جلست بها تحاول تنظيم أنفاسها بهدوء، استشعرت الحرارة تسري بجسدها ففتحت النافذة المجاورة لها عل بعض الهواء يعينها على التنفس
وقبل أن تهدأ كانت يده تعبر النافذة لتضع كتابه أمامها
"كنتي هتنسي نسختك"
وتجمدت بمكانها فنبرة الصوت له، بل إنه الآن أمامها، رفعت نظرها تتطلع لوجهه وقد تملكها الخوف
"إزيك يا ليلى"
جملة أكدت أنه قد عرف بوجودها
"محمد"
ولهفتها في نطق حروف اسمه الأربعة أكدت أنه لم يخطئ، هي بالضبط من كان يقصد.

(6)

قد نتساءل؛ هل مرور السنين كافٍ لننسى من تعمد إيذاءنا؟
والإجابة بالتأكيد؛ لا
بل أحيانا لا تضيف السنوات إلا المزيد من الملح على الجرح فيتقيح، لندرك عندها مرارة أقسى شعور يملكنا
"العجز"
ليس العجز عن القصاص وحسب بل العجز عن نسيان ما مضى ككل لكنها لن تستسلم مهما تطلب منها الأمر، لقد عقدت عزمها على رد الصفعة وستفعل وبأقصى قوة

"امضي يا منصور ومتخافش، امضي وعد الفلوس وادخل فرح مراتك وبنتك، غير عربيتك المهكعة واشتريلك بيت عدل، قب بقي يا أخي على وش الدنيا"
"خد فلوسك وامشي يا فاروق، حد الله بيني وبين المال الحرام"
"ماشي يا منصور، أنا همشي، بس افتكر حاجة مهمة، لسه متخلقش اللي يقولنا لاء"
والصوت كان لفاروق الذي صفع باب شقتهم خلفه وعندها خرجت فريال من الغرفة وأسرعت باتجاه زوجها وهتفت فيه بحدة
"إحنا مش قد الناس دي ولو مش خايف على نفسك، خاف عليا وعلى بنتك"
ولم يجبها إلا بكلمة قالها بحسم
"متخافيش"
ثم تطلع لصغيرته التي سألت بقلق

"مين الراجل ده يا بابا وعايز منك إيه"
ورغم صغر سنها أجلسها إلى جواره وشرح لها، هو يريد من أبيها أن يتنازل عن أخلاقه وضميره
ربما لم تستوعب الكلمات وقتها لكنها أبدا لن تنسى ما فعله فاروق بهم، بوالدها ووالدتها ومستقبلها وقبل كل شيء اسمها
ذكريات فرضت على عينيها دمعة تلقتها يدها فمسحتها ثم التفتت لمرآة المصعد تتطلع لوجهها وقد أخرجت من حقيبتها محرمة ورقية جففت بها أسفل عينيها وقد ابتسمت كي لا يلاحظ أحدهم دموعها ثم اتجهت للمعمل وقد أتت اليوم قبل وصول الجميع
بدأت بتحضير الأجهزة وما إن وصل محيي ورآها حتى عقب مستغربا: معقول يا غادة جيتِ بدري قوي كده
وصوته فرض عليها الالتفات لترد مبتسمة: أول يوم شغل بقى يا دكتور محيي
- ربنا يوفقك يا غادة
قالها وجلس على مقعده ليراجع نتائج الأمس والتى كانت ممتازة مما فرض عليه سؤالها: دي أول مرة تدربي يا غادة ولا سبق واتدربتي في مكان قبل كده؟
ارتبكت لكنه لم يلاحظ كونها قد أولته ظهرها وعندها أجابته بثقة مصطنعة: ده أول مكان
رد بانبهار: برافو عليكٌ والله، اللي يشوف شغلك يقول بقالك سنين خبرة
"صباح الخير"

قاطعهما سعد حين قالها ثم وضع حقيبته وارتدى معطفه ليستوقفه عندها أنها قد بدأت العمل فقال: إحنا كده ممكن نتعود على الدلع، وده مش في مصلحتك خالص

دون التفات انزوت على شفتيها ابتسامة هازئة، ومع استدارتها لتكون قبالته جاهدت نفسها كي تبدو طبيعية وهي ترد: ولا يهمك يا دكتور سعد، حضرتك بالذات أنا مهما عملت مش ممكن هوفيك جزء من جمايلك عليا، أنا مديونة ليك بكتير قوي

زاد ارتباكها حينما استشعرت أن حقدها من آل الدويري كاد يغلبها وعندها اصطنعت الخجل وغادرت متحججة بسحب عينات القسم الداخلي، وما إن خرجت حتى علت ابتسامة محيي ثم احتالت بعد ثانية لضحكة قوية وهو ينظر لسعد ويعلق: شكلنا هنقولك مبروك قريب

تعقيب زاد من استغرابه فعقب:مش فاهم

فزادت ضحكة محيي وهو يؤكد: واضح إن غادة معجبة بيك

بهت وجهه، وقد خفق قلبه بخوف خشية أن يكون محيي صادق، لكنه نفض ما قاله محيي عن عقله، وجلس بمقعد كان خلفه مباشرةً يطالع الفراغ وهو يفكر، بنضبة قلب لاتزال على حالها تنبض لامرأة ليست من حقه.

تعود من المدرسة ثم تنزوي بغرفتها، والظاهر لتيسير أن خطتها نجحت، وأن لمياء باتت تُكثر من غلق باب غرفتها عليها لأنها تستذكر دروسها

وما دام هذا ما تظنه تيسير فمرحى؛ المهم أنها بغرفتها ترسم، أخرجت الاسكتش الخاص برسوماتها وأمسكت بقلمها الرصاص وقررت العودة للرسم بعد فترة انقطاع طويلة، كانت منذ بداية الثانوية العامة مكرهة كي لا تضيع وقتها كما عنفتها والدتها، تنهدت وهي تطالع الصفحة البيضاء تداهمها الحيرة؛ ما عادت تريد الرسم للتسلية بل باتت تريد رسوما مشبعة بصرخاتها المكتومة، رسم يتمرد على الواقع فيفرض رؤية جديدة، أمسكت القلم وأطلقت العنان ومحور الرسومات كان بالتأكيد الثلاثة اللذين يؤرقونها

وطبقا لأن الفنون جنون رسمت وجه والدتها بملامح نشوى وشعر مموج طويل يغطى أكتافا قررت كشفها وغلالة بلون الذهب، هل كان سيختلف الأمر لو رآها مختار هكذا

مختار بدا شابا بقلمها وانتقت ملابسه بعناية بعدما قررت أن يكون جسده ذا عضلات مفتولة، نظرت للصورتين المتجاورتين ثم هتفت

"واااو"

ثم

"آآآآآه"

محملة بأمنية لو أن هذه الصور كانت الحقيقة، هذا الثنائي المثالي ما كان لينجب ليلى ولبنى ولمياء بل هما الصورة الأقرب لوالدي"سما عبد الصبور"

تلك الصهباء؛ نعم لقد قررت أن ترسمها هكذا ذات شعر ثائر ومموج وعينين صافيتين مزيج غير مفهوم للون عينين لا هي خضراء ولا عسلية

"غموض يتطلع لثورة، مكبوت يتأوه بحسرة"

لذا ستضع لها سيجارة في اليد اليسرى، وبنطالها الجينز سيكون ممزقا وقميصها لن تُغلق جُل أزراره، وستترك أكمامه مبعثرة واليد اليمنى ستتشبث بخصر كشفت بعض أجزائه لتظهر "وشما" لن يظهر بشكل كامل ستكتفي فقط بإظهار رأس أفعى وكأنها جزء منه ثم تنهدت وقد تطلعت بافتتان للصور
"الحرية"
هي هي ويا لروعتها، صورت بهاتفها صورتها ووضعتها بحساب سما عبد الصبور كصورة شخصية، طُعم جيد ومازن التقطه،
فصورتها خلبت لبه وفرضت عليه أن يسأل
- هي الصورة دي لإنسية زينا
ابتسمت ولم ترد ولن ترد الآن....
" الأيام بيننا يا ابن عبد الراضي وهي كفيلة لتمنحني كل ما أريد أن أعرفه عنك دون بحث، بل أنت من ستضع الحقائق بين يديّ وبمحض إرادتك"
دوى صوت هاتفها ففزعت حد تذكر أنها لمياء
وهل نسيت؟
- أيوة يا شذى
ردت وهي تحاول جمع شتاتها وقد نظرت حولها للغرفة المقلوبة رأسا على عقب فبدأت تخفى أشياءها وترتبها وكأنها تخشى أن يعلم أحد أسرارها، كانت المكالمة مقتضبة، تحمل بين طياتها استفزازا مبطنا ظاهره دعوة لحضور عيد ميلاد شذى وطُعما مماثلا تدرك شذى أنه سيجذبها، دفعت به ما إن شعرت أن لمياء على وشك الرفض لأنها لن تستطيع المجيء

- يا ريت تحاولي، على الأقل تتعرفي على بقية الشلة
- هاجي
قالتها بتأكيد وقد صاحت فجأة حد استغراب شذى والتي عقبت:
طيب، تمام قوي
وما إن أغلقت الهاتف حتى استشعرت دقات قلبها تكاد تزلزلها، الخميس القادم، أيعقل أن يكون مازن واحدا من الحاضرين للحفلة، لا وقت للتكهنات ستذهب رغم خوفها وعندها ستتأكد.

بعد يومين
جمعهم العشاء، كانوا صامتين كما المعتاد لكن ما زاد هذه المرة هو شرود بعضهم وأولهم بالتأكيد سعد، فتعقيب محيي منذ يومين على إعجاب غادة به بجوار إغلاق لبنى لكل سبل التواصل سيدفعه للجنون، بجواره جلس أيمن وقد بدا واضحا لكريمة التى جلست قبالته أنه يختلس النظر لإكرام التى كانت تجاورها بغيظ، وعلى رأس الطاولة كان فاروق يتابعهم في صمت وقد أمسك كوبا من العصير وبدأ يتناول منه بأريحية مستندا على ظهر مقعده وقد فرغ من طعامه، تطلع للجميع ثم لابنه وسأل بتهكم: فسخت خطوبتك إمتى؟
بدا واضحا أنه فعل كون إصبعه قد خلا من خاتم الخطبة، دون النظر له رد وهو يكمل طعامه: من كام يوم
- والخطوبة الجاية إمتى إن شاء الله
- لما أنوي هقولك
والتهكم بجوار السخرية كانا المسيطرَين على أجواء حوارهما، وحين صمتا تنفس البقية الصعداء على أمل مرور المساء دون

شجار ، لكن هيهات لفاروق أن يفعل، تطلع لكريمة وقال معقبا: أمال حبيبة القلب محدش بقى بيشوفها ليه؟
ولم يحدد فاروق عمن يسأل، فتعلقت أنظار الجالسين به بينما استشعر سعد بالغ القلق حتى جاء تأكيده وهو ينظر لكريمة ويكمل: ايه إتطرشتي، ما تردي
نظرت له بغيظ ثم ردت: مش لما أفهم بتسأل على إيه
- آه، تصدقي نسيت إن فهمك على قدك
وكادت إكرام تتدخل لكن قبل أن تنطق كان استفهام كريمة: تقصد مين بحبيبة القلب يا أبو المفهومية كلها
ابتسم ساخرا ثم رد: هو في غيرها، مرات البكري، مرات المحروس، اللي عاملي فيها عصامي ومتنيل مسافر
ولو قبلت كريمة الإهانة لها فرياض دوما "خط أحمر" والجميع يدرك وأولهم أيمن فإن أراد فاروق استفزازها فهو يعرف كيف يشعل الموقف، ضربت بيدها الطاولة ثم وقفت وزعقت: المتنيل ده أحسن واحد فينا، المتنيل ده هو أول واحد قالك لا، المتنيل ده هو اللي رفض يمس قرش واحد من فلوسك اللي أنا وأنت عارفين....
"كريمة"
والزعيق باسمها بتر الكلمات بفمها وقد وقف قبالتها وحدق بها بنظراته النارية، لكنها لم تعبأ تركت الطاولة وقررت أن تصعد لغرفتها وقد تمتمت: الله يجازي اللي كان السبب
قالتها بحرقة أم تشعر بابنها المثقل بماضٍ لطالما جثم على صدره وحده وعندها علا هتافه ليستوقفها على الدرج: أنا مقلتش لحد يمشي

- وعمرك ما هتقول لحد يقعد، ولا هيفرق معاك حد غير نفسك، سيبه في حاله بقى، وسيب لبنى وولادها في حالهم، شيلهم من دماغك وكفاية عليك اللي اختار يبقى زيك
قالتها فنظر لها أيمن بغضب كون طريقتها قد فرضت عليه كراهية أخوه، وعندها التفتت وصعدت لكن فاروق لم يصمت: هو أنا لما أدور على ولاد رياض واسأل عليهم لإني جدهم ويهمني مصلحتهم أبقى أجرمت، مين عارف الست لبنى دي قد المسؤولية ولا لا
- إياك تنطق بكلمة على لبنى
- متتحمقيش قوى مش يمكن لبنى دي أول واحدة تخيب ظنك، محدش فيكم يعرف بيت مختار المسيري قدي
وكلماته فرضت على الطعام أن يقف في حلق سعد من شدة رعبه، هل يلمح عمه لشيء، وشعور كريمة بشك فاروق بلبنى ذكرها بشكه المفرط في كل من عرفهم فكانت آخر كلمة قالتها قبل الذهاب لغرفتها "مريض"
وبعد ثوانٍ صفعت باب غرفتها وعندها استدار لسعد وهتف في وجهه: عايزك في مكتبي
والحدة فرضت عليه الخوف وقد نظر لإكرام ثم اتجه خلفه
وعندها زفرت إكرام بشدة وقد جمعت بعض الأطباق واتجهت بها للمطبخ وصوت أيمن استوقفها بفزع فرض عليها الالتفات لتتأكد أنه قد أتى خلفها
"مبروك"
قالها بغيظ وهو يجاورها ليضع ما جمع من أطباق بجوار ما جمعت، بدا عليها الاستغراب لكنها لم ترد واتجهت لتخرج، لكن ذراعه

احتجزها حين سد به مكان مرورها فزاد من ضيقها فكانت زفرتها أشد من سابقتها وهي تهتف: اوعى من طريقي يا أيمن

ولم يبال بل اقترب خطوة أشعرتها أنها على وشك أن تكون بين يديه فابتعدت فاقترب فابتعدت فكادت تسقطت فأسند خصرها بذراعه الآخر وهو يعقب: حاسبي لتُقعي

فدفعته بكلتا ذراعيها وهي ترد بحدة: مش إكرام الدويري اللي تقع

"متأكدة"

قالها لمن كادت تخرج، فالتفتت تسأل بحدة: أنت إيه حكايتك بالظبط، فسخ خطوبتك أثر على مخك

- لا وأنت الصادقة، شغل الاستهبال والدحلبة في مكتب الدويري هو اللي أثر، بس يا ترى شهاب ده يستاهل فعلا

"شهاب"

قالتها باستغراب فأردف: ده على أساس إنك مش عارفة إنه طلب إيدك وإن بابا بيتكلم مع سعد دلوقتي عنكم

وكانت عندها صدمتها، شهاب لم يلمح، طلبها للزواج صراحة، حسم طلبه حتى قبل أن يخبرها، وصدمة أخرى فرضت نفسها حين وجدت أيمن يجذبها من ذراعها ويهتف بلوعة: كل ده طبعا من ورا ضهري

- وأنت مالك

والجملة كانت كفيلة لدفعه فقرر الرد بحدة: معاكِ حق أنا فعلا ميهمنيش عارفة ليه، عشان الحاجة اللي أيمن الدويري بيقرر ياخدها مش بيسمح لحد يلمسها، والحاجة اللي عمرها ما فرقت معاه عمره ما يدور عليها أبدا، فاهماني يا بنت عمي

قالها وخرج ليجلس بالردهة المقابلة لمكتب فاروق وقد تظاهر بالعبث في هاتفه حتى انفتح الباب وخرج منه سعد ووالده، نادى على إكرام فخرجت من المطبخ وقد بدا واضحا بقايا الدموع في عينيها وقبل أي كلام منهما بادرت بسؤال عمها: هو شهاب طلب إيدي من حضرتك

وحين سألت قرر أيمن إظهار بالغ لامبالاته والتركيز بهاتفه أكثر حتى أتت الإجابة من فاروق بالإيجاب فتطلع رغم أنفه لوجه والده ثم جاءت إجابة إكرام لتحسم الموقف: بلغه يا عمي إني موافقة

والدهم يتحدث إليهم ويعتذر عما سبق من تقصير، بل ويسعى خلف صداقتهم

"تفتكر أونكل سعد حكاله حاجة"

قالها إياد لفارس وهو يحكي عن والده ومحادثاته الجديدة، وعن تغيير جذري يلوح في الأفق في علاقة رياض بأولاده، لكن فارس لم يملك إلا أن يصدمه بل هو تعمد ذلك

"أكيد سعد حكاله وهو حب يعمل أب دلوقتي، أنا لو مكانك كنت قولتله لما افتكرت، اوعى تصدق إن أبهاتنا ولا أمهاتنا ممكن يعملوا حاجة لله ولا عشان سواد عنينا، هتلاقي أبوك وأمك خايفين من كلام الناس مش أكثر"

وما قاله فارس فرض على إياد الحزن والصمت ربما فارس محق، اهتمام رياض المفاجئ وقتي

وعندها أسند ظهره لمقعده وشرد في أروى المنهمكة بالحديث مع ريناد والمزاح والضحك مما فرض عليه الضيق فأخرج هاتفه وأرسل لأخته رسالة مفادها

"بطلوا ضحك بصوت عالي الباص كله مركز معاكم"

وما إن وصلت لريناد وقرأتها أروى حتى احمر وجهها وصمتت ونظرت ناحية النافذة فكتمت ريناد ضحكتها ثم أجابته عبر رسالة أخرى

"حاضر"

ثم التفتت ناحيته وهمست: يا واد يا حمش

ولولا زملائهما للكمها وكسر صف أسنانها كونه استشعر أن الأغلبية لاحظت جملة أخته فنظر لها بغيظ فرض عليها أن تلتفت ناحية أروى التى لكزتها بكتفها وقالت موبخة: بطلي بقى

- كده، ماشي، دلوقتي حضرتك في صفه هو مش كده

- هو معاه حق، مينفعش نضحك بصوت عالي كده

تنهدت ريناد تنهيدة طويلة بحالمية ثم ردت: وإيه كمان؟

- ريناد والله لو ما اتلميتي لأقوم من جنبك

قالتها وقد زاد خجلها وارتباكها والتفتت تنظر للنافذة بكل ما باتت تملك من توتر

وعندها اقتربت ريناد من أذنها وهمست: والله العظيم أنتم الاتنين عبط، أنا مش فاهمة أنتم مكبرين الموضوع كده ليه، هو بيحبك وأنتِ بتحبيه، إيه المشكلة لما تقولوا لبعض

- بس بقى الله يخرب بيتك لو حد من الباص سمعك يقول إيه

- يا سلام ليه يعني، يا بنتي المفروض والله هو يقول لبابا وماما وأنت كمان طنط تعرف، والكل يعرف وتبقي "relationship" في النور

- بس بس، اسكتي خالص واوعي تقولي لإياد حاجة، فاهمة وابتسامتها الخبيثة التى انزوت على شفتيها حين صمتت أكدت أنها لن تفعل

وحان موعد نزول فارس وعندها التفت ناحية أروى يتطلع لوجهها بجرأة زادت من ارتباكها، بالتأكيد إياد قد حكى له وبالتأكيد ذاك هو سر جرأة نظراته لها

ذلك ما فهمته لكن الحقيقة كانت أصعب ففارس أدمن تخيله لها كلما شاهد أفلامه وسعى خلف لحظاته الخاصة ولم يعد يستطيع إيقاف الفكرة، بل بدأ يستسيغها كون خيالاته قد تبلورت في إحداهن، ولم يعد يبالي بإياد، فخياله ملكه وحده وليس من حق أحد محاسبته

وقف أمام المصعد ينتظره، كان بمفرده لأن فريدة ستأتي بعد انتهاء مجموعة التقوية الإضافية بمدرستهم

وما إن أتى المصعد حتى استوقفه صوت وردة وهي تهتف: استنى كانت تركض بعدد من الأكياس التى حوت طلبات لسكان البناية وحين وجدت فارس أمامها ترددت وظلت بمكانها، كان ممسكا بيده باب المصعد المفتوح حين نظر لها بغيظ أشعرها أنه على وشك تعنيفها، والبداية كانت حين سألها بحدة: مش هتتنيلي تطلعي

صعدت الدرجات بقلق حتى دخل هو فدخلت خلفه وانزوت في الزاوية وعندها سألها: طالعة الكام

- العاشر

ضغط السادس ثم العاشر ثم عقد ذراعيه أمام صدره ونظر ناحيتها "بنطال جينز قديم مفقود سحابه وقميص وردى مدرسي تخلت عنه أغلبية أزراه بإستثناء إثنين لم يكونا كافيين ليخبئا مفاتن أنثوية على وشك الظهور بل ربما هي كافية لمن حدق فيها ببلاهة وكأنها المرة الأولي التى يرى فيها وردة عن قرب، هي ليست طفلة على الإطلاق لقد باتت فتاة، بل وفتاة جميلة

توقف المصعد فانتبه أنه وصل، فتوجه لمنزله وهذه المرة هو وحده وثمة شيء أكثر إثارة حين يكون بمفرده، العبث والتفتيش بحاجاتهم ومعرفة ما يخبؤونه بدورهم والبداية كانت غرفة مكتب والده، والتفتيش بالأدراج والحصيلة شريط ذو حبات زرقاء اللون

"فياجرا"

قالها وهو يتطلع للشريط باستغراب، فهو يعلم أن والده ووالدته بالكاد تجمعهما علاقة خاصة، فلمن جلب الأقراص يا ترى؟

أعاد الشريط لمكانه واتجه إلى غرفة نوم والديه، هل لازلت حريصا على العبث يا فارس أم اكتفيت؟

يبدو أيضا أن الإجابة لازالت لا وقد بدأ العبث في أدراج والدته وعندها وجد بدوره ما خبأته هي

"ديوان الشعر الأخير لذات الكاتب"

أمسكه بيده يتطلع إليه بقلق وحين فتحه وجد أن الأمر هذه المرة قد اختلف، فثمة إهداء قد كُتِب خصيصا لوالدته

بل الديوان نفسه باسمها

"ليلى"

"هل كنتِ تظنين أنني لن أشعر بوجودك بقربي وبحفل توقيعي، وكأنك نسيتِ ما كان بيننا، إن كنتِ نسيتِ يا عزيزتي فقلبي أبدا لن ينساكِ"

محمد حبيب

هل اكتفيت من العبث يا فارس؟

ويبدو أن الإجابة نعم، كونه هوى لأقرب مقعد يتطلع للكتاب ودمعة فرت من عينه رغم أنفه وقد تساءلت نفسه؛ من منهم يخون الآخر؟ والإجابة على ما يبدو؛ كلاهما

صناعة القدوة لم تعد سهلة، خاصة بعد كل ما بات يحيط بنا من متغيرات، وهي لن تنكر أنها بعد جهد أيام من القراءة والتفكير ما عادت تدري هل ما نوت فعله صوابا أم خطئا ولكنها ستجرب، أبناؤها بحاجة لأب يشعرهم أنه مهتم لشؤونهم ومادام هو غير عابئ لأهمية دوره، فلن تظل هي مكتوفة الأيدي، ستصنع البديل بيدها ستكون الأب ولكن بصورة أكثر حيوية

زفرت وهي تطالع صفحة الفيسبوك المكتوب فيها اسمه

"رياض فاروق"

ثم وضعت الصورة الشخصية للحساب صورة جمعت أولادها الثلاثة، هل سيصدق إياد وريناد أن والدهم قرر أن يداوم على الحوار معهم عبر صفحته على الفيسبوك، هل سيقنعهم الأمر وتنطلي عليهم حيلتها أم سيدركون أنهم بلا أب رغم وجوده، هذا إن لم يكونوا مدركين بالفعل، لكنها لا تملك بديلا سوى هذا

"أب مزيف، أب وهمي، أب والسلام المهم أنها وجدته"

وبدأت المحادثات
وعلى مدار عدة أيام ظنت أنها نجحت في التواصل معهم كأب، وكادت تسعد بما فعلت إلا أن دموع زياد الليلة استوقفتها، واستوقفها أكثر أن السبب بدا منطقيا
"هو ليه بيكلمهم وأنا لاء"
وآه لو تعرف الحقيقة بُني ما كنت لتحزن،هدأته وبررت الأمر بأنه خطؤها لأن والده دوما يسأل عنه ويتصل باستمرار لكنه في الأغلب يكون نائما، فهل صدقها؟
لا تدري؛ دثرته وعادت لغرفتها تمددت على سريرها والأسى يتلقفها، فتحت صفحته الشخصية التى تخصه على الفيسبوك تطالعها، تعلم أنه يكره وسائل التواصل الحديثة وعلى رأسها هذا الموقع، بصعوبة أضافه هو وبرنامج الواتس آب لهاتفه حتى يتسنى لهم التواصل معه وكان بالكاد يرد على اتصالاتهم ورسائلهم حتى تم إغلاق الاتصالات عبر تلك البرامج فبدا أنه لم يعبأ لذلك وعاد لانطوائه، مكالمة هاتفية كل ثلاثة أيام لا تتعدى العشر دقائق ليؤكد من خلالها أنه لايزال
"رب الأسرة"
"بابا نويل"
ويريد أن يعرف عدد الهدايا التى عليه أن يجلبها معه حين عودته وهذا بنظره تعويض كافٍ عن طول فترة غيابه عنهم، أغلقت صفحته لأنه بالتأكيد غير متواجد الآن لتفتح الصفحة المصطنعة، قرأت الرسائل التي كتبتها بيدها نيابة عنه، وما دفعها للبكاء كان تفاعل

إياد الواضح معه وكأنه كان ينتظر هذا وبشدة بينما ريناد لم تكن مبالية رغم إبداء بعض السعادة
لو عرفوا الحقيقة من سيكرهون أكثر؛ هي كونها كذبت عليهم أم هو لأنه لايبالي
ومن بين دموعها فتحت المحادثة الخاصة بين الحساب المزيف وحسابها هي وطالعت تلك المحادثة الفارغة ثم ابتسمت هازئة، هل ستنوبين عن رياض مع الجميع حتى نفسك؟
هل ستكتبين لنفسك رسالة تمنحك بعض الصبر حتى عودته؟
وحتى لو فعلتِ هل سيمنحك هذا بعض الرضا؟
ربما تلك الرسائل ستكون مهمة لتؤكد لأطفالها أنه رياض بالفعل، وأنه تغير مع الجميع حتى معها، بل إنها ستتعمد ترك الهاتف على المحادثة غدا ومنحه لريناد كي تتأكد أنه والدها، علها تصمت عن أسئلتها المتكررة والتي فحواها الشك بأمره
"حبيبتي يا لبنى، آسف معرفتش أكلمك إلا دلوقتي"
وترددت قبل الضغط على إرسال، كانت تستشعر وكأنها ستحمل تلك الكذبة أكثر مما تحتمل ولكن بالنهاية كانت المحادثة
"ولا يهمك يا حبيبي"
"إزيك وحشتيني"
"أنت كمان وحشتني جدا"
"الولاد تمام"
"إحنا تمام طول ما أنت تمام يا حبي"
وتوقفت تطالع ما فعلت بين ضحكة هازئة ودمعة حارة، أسى ملأ قلبها من كونها تفتقده، تعترف ولن تنكر هي تفتقده هو دون غيره

وتمني نفسها أن يعرف ويفهم بل وتنتظر أن يأتي يوم ويدرك، يدرك أن انتظار هكذا يُنهك

مساء الأمس

جدة - المملكة العربية السعودية

تنهيدة حارة زفرها بعدما أشاح بيده عن مكان رابطة عنقه كونه فشل للمرة الثالثة في إحكام ربطها؛ لِمَ ينبغي على الرجال ارتداء بزات سوداء وتقييد أعناقهم بقطعة قماش تتدلى على صدورهم بدعوى التأنق، كم تمنى لو استطاع الاعتذار عن كافة المناسبات والاجتماعيات التي لا تحوي إلا مزيدا من النفاق، يكفيه أنه يعلم ما يقال عنه دوما من كل زملائه

"الرجل ذو الوجه الجليدي"

كُثر يكرهونه والبقية لا يعني لهم رياض الدويري شيئا كي يبادلونه المحبة، انتهي من هندامه بهيئة جيدة قدر المستطاع بعدما استطاع عقد رابطة عنقه بشكل أفضل من السابق، سحب فرشاة الشعر ليصفف ذلك الذي لم يعد أسود بالقدر الكافي على إثر تخلل قدر لا بأس به من الشعيرات البيضاء، رغم أنه لايزال بالأربعين من عمره إلا أن ملامحه ما عادت تفيد بذلك

أغدق عليه بعض العطر ثم قرر تدخين سيجارة، يريد التأخر قدر المستطاع والتلكؤ خير وسيلة مساعدة

نظر للمرآة نظرة أخيرة قبل أن يضع نظارته الطبية وما إن ارتداها حتى بدت الرؤية أفضل فرأى رياض عن كثب

فتساءل عندها؛ هل الضيق المرسوم على جنبات وجهه سره فقط "حفل الشركة القائم اليوم لانتهائهم من إتمام المشروع أم لأنه في إجازة ابتداءً من الغد وحتى بداية المشروع الجديد بعد ثلاثة أشهر والانتقال من جدة إلى المدينة

"كل مغترب يتوق إلى أيام أجازاته إلا أنت رياض، تمني نفسك لو عشت بجزيرة معزولة خالية من البشر حتى أنك قد لا تستثني منهم زوجتك وأولادك"

زفر الدخان بتنهيدة مريرة ثم أكملت نفسه اللوامة عتابه

"لا ذنب لهم ولكنك قدرهم وقدرهم أنك تكره الأسرة ككيان قائم لكنك لم تملك الخيار أمام توسلات كريمة بأن ترى أبناءك ولم يكن هناك خيار إلا الزواج ولبنى كانت المتاحة"

"إيش السالفة يا غالي، جاهز"

رسالة اقتطعه صوت وصولها على برنامج

"واتس آب"

وكانت من كرم زميله المصري وكعادته مازح، ابتسم ولم يجب واتجه لجمع أغراضه ليتجه للخروج فعاوده صوت الرسائل فزفر متمتما: مش هتعقل أبدا يا كرم

وقبل النظر للرسائل استوقفه أنه رقم لم يكن مسجلا على هاتفه ولا مضافا لقائمة أصدقائه ورسالة بدت غريبة

"مساء الفل على أجدع مغفل، فاكر كل اللي حواليه مخلصين وهما أول ناس بيطعنوه في ضهره"

علا الاستغراب قسمات وجهه وقد رافق الرسالة فيديو، ضغط لتشغيله وفور رؤيته تسمر بمكانه حد شعوره بجمود أطرافه

وارتعاشة جسده،أعاده مرة أو اثنتان أو ربما أكثر، صفعة ما كانت لتأتي مِمَّن رباه على يديه واستحق ثقته، صدمة بأن من استثناهم وظن أنهم ليسوا كفاروق وأيمن هم أول من طعنه
"لبنى.... سعد"
زوجته وابن عمه بلحظة حميمية،يتبادلان القُبل بفيلا فاروق الدويري وتحديدا الحديقة الخلفية.

(7)

لطالما اختبر الألم على مدار سنوات حياته حتى أدمنه، لكن هذه المرة، الأمر برمته اختلف

ليس جُرحا غائرا بل هو كسر حد التهشيم، واستحالة لملمة البقايا كي يجمع شتات نفسه فقط ليقف على قدميه ويواجه؛

لماذا كل هذا الانكسار؟

هل أحببتها؟

حب؟!

هل بالحياة شيء يسمى بهذا الاسم، وإن كان هناك فمن هو ليعرفه، وهو رجل لم يُمنح إلا الكراهية ولا يعرف مشاعر غيرها، هو لا يملك إلا ما تعلمه على يد والده، فقط لأنه المتمرد الذي استوجب على فاروق كسره

"بابا فلوسه حرام"

جملة لطالما أرقت منام فاروق فتمنى معها لو أخرس ذلك اللعين للأبد

وما يتذكره هو تشبع جسده بالوجع لأن فاروق لم يتوانَ لحظة عن ضربه باستخدام يده أو قدمه أو أي شيء كان يطاله، حزام جلدي، عصا خشبية أو حتى حديدية وعليه التحمل وإلا فكريمة هي من ستتلقى الضرب عنه ولم تنته تجاربه!

هو جرب أن يتفتت عدة مرات في طفولته، لكنه استجمع ما تبقى له من قوة وحارب من أجل ألا يموت الخير بداخله

هو قاوم في صغره شعور جارف بكراهية والده جراء كل ما فعله به ومن قبله شعور بكراهية والدته لأنها لم تملك حيلة إلا الاستسلام

أمام جبروت فاروق وسوء خلقه ومقاومة أشد عندما قرر الذهاب يوما لطبيب نفسي سرا عله يجد حلا لمعضلته، وطبيب بعد طبيب كانوا يأكدون له أن الصورة التى رسمتها الأفلام عنهم ليست حقيقية، فأغلبهم لا يسمع ويكتب قدرا لا بأس به من المهدئات ونصيحته المعلبة "سامح والدك"

وما إن يسمعها حتى يصرخ بداخله انكساره ويهتف، كيف أسامحه على بعثرة رجولتي وكرامتي وكل لمسة قذرة انتهك بها جسدي، كيف أسامح ذلك الرجل وأتناسى أنه رضى أن يتحرش بطفله ليدنس عندها كل مفهوم طاهر وبريء ومقدس عن الأبوة؟

هل بقى شيء لفاروق لم يفعله؟

جرب كافة أشكال الانتهاك من ضرب إهانة كسر ومذلة، ورغم هذا بقى رياض وكأنه يعاند مصيره الحتمي

ولم ينس يوما من هون عليه، من كان يظنه أخاه وسنده، من كان يخفي الطعام في ملابسه لأجله، يضمد جروحه ويرجوه ألا يضايق فاروق حتى لا يؤذيه، بل ويدافع عنه لو استطاع

أكبُر الطفل الذي تربى على يديه، كبُر إلى حد أنه صار رجلا يحب ويعشق، سيتفهم الأمر ولكن هل تلاشت النساء في عينيه فلم يجد إلا زوجته، وهي تلك اللعينة الحقيرة، كيف سمحت ورضيت، ومن ذلك الشخص الذي قام بتصويرهما؟

أهو أيمن أم فاروق؟

لعله الآن غارق في ضحكاته وينعته بالأبله

"خليك كده حمار .... شغل"

ألم يقلها فاروق دوما، ربما قصد بها معنى مبطنا لم يكن يفهمه
وأخيرا حرر صوته بصرخة تعالت من حنجرته
"أندال خونة كلاب"
"كلهم كلهم كلهم"
قالها هو يدفع بهاتفه في مرآة التسريحة فهشمها وأمام بقاياها وقف يطالع صورته بل بقايا صورته، بقايا رجل طيلة حياته يُهَشم فيهرب فيتهم بالجبن فيهرب أكثر ويحصد الكره، ما هذا القدر ولماذا هو، أب حقير وأم معدومة الحيلة لم تستطع يوما دفع يد فاروق عنها أو عنه ولا يزال صوت استغاثاتها في أذنيه وصوتها وهي تترجاه الرحمة، لكن ما كان هذا ليجدي، ضُرب وضُربت، أذله وأذلها، فلم يملك إلا كراهيته وكراهية أن يكون أبا وكراهية الأبوة، بينما اختار أيمن أن يكون مثله تفاديا لما لاقاه أخوه، أيمن ذلك الحقير المدلل، وكل العجب أنه كان يخشى على لبنى منه ليصدمه سعد ويطعنه في مقتل أن الخيانة تأتيه منه
واندفعت من عينه دمعة فمحاها بيده فورا، لن يبكي أبدا لقد أنهى كل الدموع التي كان يملكها، أنهاها فاروق حين حطمه وجعل منه طفلا يكره الدنيا وما عليها، صمت وقرر أن يستجمع شتات نفسه كما اعتاد
ولأن القتل يدينه والموت يريحهم، ستكون له طريقته الخاصة في الثأر لنفسه ولعمره الذي أضاعه فاروق، من الآن فصاعد سيكون "الدفع نقدا" لكل ما مضى وحتى ما لم يأت.

ظلت شاردة وخوفها هو المسيطر عليها، كيف السبيل لإقناع تيسير كي تدعها تذهب لعيد ميلاد صديقتها، بل هل عليها أن تذهب، هل لو منحت نفسها فرصة الاقتراب من عالم نشوى سترتاح حقا؟
وهل بالاقتراب من النار لن تُلفح؟
أحقا تظن أن هناك أسرارا لو علمتها، قد تتأكد معها من أن والدها لم يكن الرجل السيء
"عدي عليا في البيت، وبعدها نروح سوا"
قطعتها شذى بقولها لتلك الجملة فسألتها لمياء بدهشة: هو عيد الميلاد مش في بيتك
- بيتي إيه يا بنتي، عيد ميلادي في **night club**، وعلى فكرة مش هينفع تحطي الاسكارف ده على دماغك، عشان ممنوع دخول المحجبات
وجملة كتلك كانت كفيلة بأن تفرض عليها العدول عن الفكرة برمتها لكن فضولها جاور تمردها وحسمت أمرها وكذبت على والدتها؛ مراجعة هامة لمنهج الأحياء وحصة إضافية بموعد جديد فكان الموافقة
انزوت بغرفتها تنظر للملابس التى منحتها لها شذى لتناسب الحفل ورغم القلق إلا أن عينيها قد لمعتا بشغف لفكرة ارتدائهم، تطلعت للمرآة بانبهار وهي ترى نفسها في بنطال من الجلد الأسود وبلوزة شيفون لامعة من اللون النبيتي بدون أكمام وقد صففت شعرها ثم ارتدت ملابس شذى أسفل ملابسها وخرجت.
وقبل الذهاب للمكان المحدد دخلت لحمام أحد المولات لتبدل ملابسها وتعدل هندمها لتتناسب والحفلة المنتظرة

بالخارج كانت تنتظرها شذى وهي ترد على الهاتف بعدما سمعت:
لمياء معاكم؟
- أيوة
- طيب يبقى كل حاجة تتم زي ما اتفقنا
وصلا فكان الصخب هو المسيطر على الأجواء، كانت لمياء تفرك يديها بخوف وقد امتلكها الندم، كل العيون تحدق بها وبالتأكيد لن يستوعب أحد أنها وإن كانت تفعل الخطأ فهذا من أجل إدراك الحقيقة دقائق ولحق بهم ثلاثة شباب قامت شذى بتقديمهم للمياء كأصدقاء وبدأ الاحتفال بطلب مشروبات وإحضار عشاء، أجواء زادت من شعور لمياء بالقلق كونها لم تر أي مظاهر احتفالات لشذى بعيد ميلادها، حتى استشعرت انسحابهم من حولها الواحد تلو الآخر بدعوى الرقص لتجد نفسها بجوار واحد من الثلاثة وقد تركوهما بمفردهما
"تحبي تشربي حاجة"
قالها وحوط كتفها بذراعه فهبت لتقف في مكانها وقد هتفت فيه:
احترم نفسك يا بني آدم أنت، أنت فاكرني إيه بالظبط
- طيب اقعدي بس وهنتفاهم ومتقلقيش، أنا ناوي أريحك وأبسطك عالآخر
قالها وهو يجذبها لتجلس عنوة فلم تملك إلا صفعه وقد سحبت حقيبتها وقررت أن ترحل، أو هذا ما ظننته
"بتضربي مين يا سافلة يا بنت ال ...."
سباب من أقذر ما سمعت وقد جذبها من شعرها فتعالت صرخاتها وقد حاولت أن تدفعه عنها وقد ظننت أنه من الممكن أن يساعدها

أحدهم في مكان كهذا، لكن هيهات فلم يعرها أحد الاهتمام بينما جذبها هو ليجلسها وهو يهتف: انسي يا حلوة، لأن دخول الحمام مش زي خروجه

لكنها لم تستسلم دفعته عنها وقد قررت ضربه بحقيبتها وصوتها وهي تسبه فرض على أحدهم الالتفات وقد ميزه فتمتم: لميا!

قالها وقام من مكانه ناحيتها ليتأكد أنها هي بالفعل وعندها اتجه ناحيتها وقد جذب الشاب من ذراعه ودفعه بعيدا عنها وهتف فيها:

أنت إيه اللي جابك هنا؟

وبدا للمحيطين أنه شجار على فتاة حين عاد من دفعه ليضربه وهو يهتف: المزة دي تخصني

- بس يلا، غور من وشي

قالها بعدما لكمه وقد جذبها من ذراعها ليخرج بها وعندها قيلت جملة واحدة من أحد العاملين فرضت على أمن المكان التحرك

"أيمن باشا بيتخانق"

وعندها تدخل الجميع ليخرج بها دون أن يعترض طريقه أحد دفعها في سيارته وركب وقد غادر المكان بينما هي انهارت باكية

"أنتِ بتستهبلي، أزاي تيجي مكان زي ده لوحدك"

وزعيقه فرض عليها الخوف، بالتأكيد سيخبر لبنى ولبنى ستخبر والدتها، بل لقد رآها بتلك الملابس والزينة ولا تأكيد أنها كانت برفقة أصدقائها لأنهم تبخروا وتركوها وحدها، زاد بكاؤها وعندها لم يملك إلا أن يوقف سيارته وهو يزفر ثم سألها: إيه اللي حصل؟

- وأنت ممكن تصدقني

- لو مكذبتيش أكيد هصدقك

سردت ما كان وعندها ضرب كفا بكف وهتف: وأنتِ متخيلة مكان زي ده يتعمل فيه عيد ميلاد؟
- وأنا هعرف منين
- وخرجتِ أزاي من بيتكم بالمنظر ده؟
وسردت أيضا ما فعلت وقد عقبت بالنهاية: هدومي اللي خرجت بيها معايا في الشنطة كنت ناوية أعدي على أي مول وألبسهم قبل ما أوصل البيت
أذهله ما سمعه منها، هل هذه هي لمياء البريئة الصغيرة أخت زوجة أخوه، وبعد زفرة طويلة أدار السيارة ووجهته أحد المولات كي تبدل ملابسها وما إن عادت لسيارته حتى قام بإيصالها لمنزلها وعندما توقفت سيارته كان سؤاله الأخير: اسمها إيه صاحبتك اللي أخدتك هناك؟
- شذى
وقبل نزولها التفتت له وسألت بتردد: هتقول للبنى أو....
وقبل أن تكمل قال بحسم: متخافيش، محدش هيعرف
- وعد؟
انزوت ابتسامة على شفتيه رغما عنه وعقب: وعد بشرط
وقبل أن ترد أكمل: اوعي تروحي مكان زي ده مرة تانية، توعديني؟
- أوعدك

ويوم بعد يوم كانت في أسعد حالاتها، كونها تختبر معنى أن يكون كل شيء من حولها على ما يرام

أمسكت بهاتفها قبل أن تنام لتكتب لنفسها عدة رسائل عبر حساب رياض المزيف ومع الصباح أول ما تفعله هو فتح الرسائل والرد عليها ليبدو واضحا لأولادها وبالتحديد ريناد كم هي سعيدة بتودد والدهم

"شوفت أزاي الاهتمام بيفرق يا أستاذ إياد"

قالتها لأخيها وهم يغادرون البناية بانتظار حافلتهم المدرسية، ثم تابعت دون انتظار تعقيب منه: خليك كده منشف ريق أروى ومش هاين عليك تقولها كلمة حلوة

وتسمر بمكانه من تعقيب أخته، فسألها بقلق: فارس اللي قالك؟

ولم تتمالك نفسها من الضحك الذي فرض الفضول على زياد فسأل: أنتِ بتضحكي على إيه؟

فزاد ضيق إياد وأولاها ظهره فكتمت ضحكاتها ثم اقتربت منه وهمست: محدش قالي حاجة، الموضوع واضح جدا، دي المدرسة كلها واخدة بالها

ولم يسعفه الوقت ليرد كون حافلة المدرسة قد وصلت، ركبوا بينما انزوى هو بمقعده يطالع الطريق وقد تبدل مزاجه للسيء من فرط قلقه على أروى

هل تسبب في إحراجها؟

وهيئته فرضت على فارس حين جاوره أن يسأله، وإجابته كانت سؤالا تمنى لو أن إجابة فارس نفته لكن ابن خالته أجاب ساخرا: أكيد طبعا واخدين بالهم، أصل اللي يحب يبان في عينيه، ومدام بتحب بتنكر ليه، تروح تقعد جنبها وابعتلكم اتنين ليمون

سخرية فرضت على إياد لكزه وقد آثر الصمت ولم يحاول حتى أن يسترق النظرات لأروى كما اعتاد، وكان اليوم ليمر اعتياديا لولا أن ريناد انسحبت من أصدقائها بالفسحة مقررة حسم الأمر بين أخيها وصديقتها على طريقتها، وقد اختارت مقطعا رومانسيا من أحد الروايات وكتبته في ورقة ووقعت باسم أخيها ودسته بأحد كتب أروى وقد شعرت أنها أخيرا استطاعت مساعدة أخوها المرتبك.

قررت الاتصال بلبنى كما العادة لتطمئن على فارس وفريدة، وما إن انتهت من معرفة أنه لا جديد حتى أمرت مساعدتها بإدخال الحالة التالية، وكان اليوم ليمر بشكل اعتيادي إلا أن صوته وهو يحييها قلب موازين اللحظة

والصدمة ارتسمت على ملامحها حين رأته بجوار زوجته وقد اختارها من دون كل الطبيبات لتتابع حملها، أيعقل أن يكون الأمر مصادفة حقا، لكن لماذا الآن؟

وكيف تسنى له معرفة أنها أتت لحفل توقيع ديوانه؟هل استشف أنها لاتزال تداوم مراقبة حساباته الشخصية بكافة أشكال مواقع التواصل الاجتماعي؟

"دكتورة ليلى"

استفاقت من شرودها حين ناداها وقد استشعرت أن صوته رغم مرور السنوات لايزال دافئا، ثم اتبع نداءه عبر الحديث بآلية تامة عن كونها طبيبة ممتازة تم ترشيحها من قبل أصدقائه لمتابعة حمل زوجته ، وبعد إيماءة من رأسها بتفهم وتعارف بارد بزوجته وإملاء لبياناتها وبياناته حان موعد الكشف

ساعد زوجته على الوقوف واتجه يجاور ليلى بشكل قريب يتظاهر أنه يريد رؤية شاشة جهاز السونار ثم سأل: هنعرف ولد ولا بنت دلوقتي؟
حركت الجهاز بيدها عدة مرات قبل أن تتوقف لدقيقة لتقول بثقة: إن شاء الله ولد
وعندها اندفع محمد يقبل زوجته بحرارة على وجنتها معقبا:مبروك يا حبي
بينما اعتدلت زوجته وعقبت: بجد يا دكتورة حضرتك وشك حلو علينا
وعندها هتف هو: كل اللي يجيبوا ربنا كويس المهم يا حبيبتي تقومي بالسلامة ولا إيه يا دكتورة
إيماءة أخرى منها وبعدها عادت لمكتبها وهي لا تتمنى إلا أن تنتهي تلك الدقائق ويرحل
ظل يساعد زوجته على هندمة ملابسها ثم عاد بها ليجلسا أمامها وعندها تطلع لحمرة الخجل التى كانت تكسو وجهها متنهدا
وكأن الزمن لم يمر عليك يا ليلى، لا زلتِ كما أنت ترتبكين كلما شعرتِ بالخجل وذلك الارتباك كان أكثر ما يثير بقلبي الشغف
"دكتورة ليلى"
قالها ثانية ولكن هذه المرة وهو ينظر مباشرة في عينيها
- كنت عايز اسألك عن حاجة بس محرج ممكن
- اتفضل
- بالنسبة لموضوع العلاقة
"أفندم"

تنحنح ثم قال بحسم: أقصد اسأل حضرتك عن ال ....، هو لو كل يوم فيها مشكلة، سوري لو أحرجتك
وكاد ينفجر وجهها من الخجل حين فهمت ما يريد أن يقوله، وكان من الممكن أن يسأل وحسب لكنه تعمد الوقاحة
- في مشكلة لو كل يوم؟
ومن سأل هذه المرة كان زوجته وعندها نظرت باتجاهها وكادت تنسى وقارها لتسأله صراحة
"أحقا نسيت كل ما جمعنا من الماضي"
لكنها تنفست وامتلكت رباطة جأشها وأجابت بحدة: لا
ثم نظرت للروشتة وأكملت كتابتها ثم سلمتها لزوجته وهي تحدد:
دي كل الأدوية يا مدام إنجي، تاخديها في مواعيدها وإن شاء الله أشوفك الشهر الجاي
دون أن تمنحهما فرصة لأسئلة أخرى نادت مساعدتها ففهما وهما بالرحيل وما إن خرجا حتى تنفست الصعداء وقد أرجأت كافة كشوفتها لميعاد آخر
ظلت بمكانها لدقيقة تستوعب أنه أتى وبعدها أراحت رأسها على ظهر المقعد قبل أن يصعقها سماع صوته وقد عاد وعلته أنه قد نسى هاتفه فوق مكتبها
أما الحقيقة فقد تعدت كل درجات الوقاحة حين وقف قبالتها وقال بوضوح وتحدٍ: كنت متأكد إنك لسة بتغيري
وجملته ووجوده وصدمتها فرضت عليها أن تنتفض لتهتف فيه: أنت ازاي تسمح لنفسك إنك تدخل من غير إذن وأزاي تسمح لنف ....
"وحشتيني"

قالها دون مقدمات أو رتوش فألجمها بينما فتح محيي باب غرفتها فجأة وهو يسأل: خلص ....
ولم يكمل كلمته كونه تفاجأ باضطرابها وتواجد ذلك الرجل ووقوفه على مقربة منها
"في حاجة؟"
قالها بتساؤل وهو يتطلع لمن ابتعد عنها عدة خطوات ثم التفت مصافحا له وهو يسأل: دكتور محيي؟
أومأ رأسه بالإيجاب فأكمل محمد: أهلا وسهلا، أنا كنت مع زوجتي ونسيت موبايلي فرجعت أخده
ولم يجب محيي، فقط أومأ برأسه بتفهم وانتظر خروجه لكنه أردف: فرصة سعيدة يا دكتور، أنا محمد حبيب، كاتب وشاعر، أعتقد أكيد حضرتك سمعت عني
والحقيقة كانت نعم، سمع وعرف حد بهتان وجهه وهو يطالع ليلى بغيظ، هو يعرف ذلك الاسم جيدا، يعرفه من حكايات تيسير عن خطاب ليلى الذين سبقوه، وكان هو واحدا منهم.

"كل واحد حر يعمل اللي هو عايزه"
جملة ليلى المفضلة دوما، الحرية التى حُرمت منها لن تملك أثمن منها لتمنحها لأولادها وزوجها، لكنها في خضم إغداقها عليهم بما حُرمت تناست أن بين اللامبالاة والحرية شعرة وهي تجاوزتها منذ زمن دون أن تدري

ولم يمر اليوم كما اعتادوا محيي بمكتبه وفارس بغرفته وفريدة بغرفتها وهي على حاسوبها، انقلب الروتين بزعيق محيي ما إن وصلا وأغلقا عليهما باب غرفة نومهما

"هما هيفضلوا يزعقوا كتير كده"

قالتها فريدة بقلق لم يعبأ فارس له ولا لزعيقهم، لكنه استرق السمع ليجد اسم محمد حبيب يتوسط الزعيق، أيعني هذا أن والده قد عرف؟

"قولتلك أنا اتفاجئت بوجوده، وجاي زيه زي أي راجل يتابع حمل مراته معاها، عايز تصدق صدق مش عايز براحتك"

- ومن بين كل الدكاترة مش لاقي غير ليلى المسيري

- يوووووووه، أنت مش هتبطل شكوكك دي أبدا

- دي مش شكوك يا هانم، حتى لو جاي بمراته، ده ميمنعش إنه حاول يستهبل

زفرت بشدة واستشعرت السأم وقبل أن تكمل أردف هو: تخلي حد من المستشفى يكلم مراته ويقولها دكتورة ليلى اعتذرت عن الحالة، تروح تتابع مع دكتورة تانية، ولو حاولت هي أو جوزها يتصلوا بيكِ أنا اللي هرد، سامعة

قال جملته بحدة وحزم فرض عليها تذكر طريقة تيسير، هل يريد أن يملي عليها ما ينبغي عليها فعله؟

"كفاية بقى يا محيي، هو حصل إيه يا أخي لكل ده"

ولأنه يعلم أن نقاشاتهما لن تثمر أبدا، قرر ألا يزيد على كلامه إلا تأكيد ما قاله وهو يعقب: هتنفذي اللي قلت عليه يا ليلى

بدا واضحا أنه جاد لأقصى درجة وعندها قررت تحديه فهتفت: لا يا محيي

ساد الصمت لثوانٍ ثم هتفت بعدها: مش من حقك تتدخل في شغلي، مش من حقك تقولي أعمل إيه مع الحالات اللي عندي، مش من حقك....

"يووووووووووه، هما مش هيبطلوا بقى"

قالتها فريدة وقد ضاقت بصوتهما فنظرت لفارس بضيق وقد ترقرقت الدموع في عينيها ثم قالت: والله يا ريتهم يتطلقوا ويريحونا

زفر فارس وعقب: هو احنا بنشوفهم وهما متجوزين عشان يتطلقوا

- يعني عاجبك الوضع ده

- كل المتجوزين كده

قالها ثم اتجه ناحية غرفته لكن لشدة ضيقه عاد أدراجه للصالة ثم قال لفريدة: هانزل أجيب حاجة، عايزة حاجة من تحت؟

"لا بقى دي كده مش عيشة"

جملة قالتها ليلى بزعيق لم تستوقف فارس ولا فريدة التى ردت: لا فأغلق باب الشقة بضيق بينما هتفت ليلى بزعيق أكبر: طلقني يا محيي

وما إن سمعتها فريدة حتى وقفت بمكانها وبعد ثوانٍ خرج والدها من الغرفة متجها ناحية مكتبه وقد صفع الباب خلفه، فاتجهت فريدة لترى والدتها التى ما إن رأتها حتى زعقت فيها هاتفة: سيبيني لوحدي يا فريدة واطلعي برة

فأومأت برأسها بالإيجاب واتجهت لغرفتها وما إن أغلقت بابها عليها حتى دفنت رأسها بوسادتها تبكى بدورها.

"خدي الغسيل ده واطلعي نشريه عالسطوح يا وردة"

"حاضر يا أمه"

وجملة زوجة البواب كانت كفيلة كي يتوقف في مكانه قبل أن يلتفت ليجد وردة قد استقلت المصعد لتفعل ما طُلب منها

"لوحدها"

تمتم بها في نفسه، ثم غادر البناية وبالطريق استرجع صورتها يوم تطلع لمفاتنها، نفض عنه الفكرة لدقيقة ثم عادت مخيلته تناوشه، فهتف مستنكرا باشمئزاز

"وردة"

مر بمحل البقالة المجاور واشترى منه شوكولاتة ثم عاد، وما إن استقل المصعد حتى فكر بالصعود لسطح البناية، وقف في هدوء يراقبها دون أن تشعر بوجوده وهي تنحني لتلتقط قطعة ملابس تقوم بنشرها وعندها استشعر أن تلك الحقيرة ليست كما ظن

"الله يخرب بيتك يا وردة"

قالها وعض على شفتيه وقد تنهد ثم تنحنح بصوت عالٍ فرض عليها الفزع وقد التفتت وشهقت وعندها عقب: شوفتي عفريت

ارتبكت وردت: لاء، بسس....، أنا بس اتخضيت

بدت نظرته جريئة ومتفحصة وقد نظر حوله لا يدري أي حجة سيقولها ليبرر وجوده، ثم تدارك الأمر وسألها: متعرفيش أي طبق دِش من دول بتاعنا

- اللي هناك على الشمال

قالتها وأشارت لمكانه فتركها واتجه ناحيته مقررا الوقوف على أحد المقاعد القديمة مدعيا إصلاحه

أكملت ما تفعل فقرر عندها إفلات قدمه عن عمد وعندها سقط أرضا

"آآآآآآه"
قالها بتوجع فرض عليها أن تهرول ناحيته وقد جثت على ركبتيها وسألت: جرالك حاجة
- شكل رجلي اتلوت
- طب حاول تقوم
- مش عارف أقوم لوحدي
- طب أنده حد يساعدك
- أنتِ لسة هتنادي يا وردة أنتِ عجزتي يعني، ما تتنيلي تقوميني
قالها بزعيق وقد تضايق منها، بحرج مدت يدها له ليقف وما إن التقطها حتى تشبث بها وقد حوط خصرها بذراعها الآخر ثم أسند رأسه على كتفها وعقب: تعرفي....
صمت يتطلع لوجهها الأحمر وقد غمرته السعادة من اقترابها ثم أكمل: تسنديني لحد الأسانسير بس
أومأت برأسها بالموافقة بينما قرر هو زيادة الاستغلال مما دفعها لتحرير خصرها وهي تقرر: أنا هعرف أسندك بس حاول تقف شوية
- مش قادر يا وردة، رجلي، ألم فظيع في رجلي
ولم تستطع دفعه بل والأسوأ كان لحظات انتظار المصعد حتى مجيئه ثم ركبا فيه وعندها اعتدل عنها بعض الشيء وقد أخرج من جيبه مغلف الشوكولاتة وأعطاه لها ثم عقب: أنا متشكر قوي يا وردة، خدي دي ليكِ
علا استغراب وجهها بينما وضعها هو بيدها فعلقت: أنا معملتش حاجة، أنا....

وقاطعها هو حين وضع يده فوق خدها وقال بامتنان: كفاية إنك ساعدتيني وأنا أساسا على طول كنت بضايقك
ولم تصدق أن ابن دكتور محيي يعاملها بلطف، بينما توقف المصعد فخرج هو منه وهو يحاول كتم ابتسامة ساخرة ناوشته وهو يتذكر ردود أفعالها.

كان صباح اليوم التالي حين استوقفتها إحدى زميلاتها وعقبت: ميس هاجر عاوزاكِ
والجملة فرضت على من وصلت لتوها لعملها القلق، فما الذي يدفع الأخصائية الاجتماعية للسؤال عنها إلا إذا كان هناك بالتأكيد مشكلة
اتجهت لغرفة المدرسين لتضع حقيبتها ثم اتجهت لغرفة زميلتها وقد طرقت بابها وحيتها ودخلت
"تعالي يا لبنى"
جلست أمام مكتبها فقررت هاجر رغم الحرج من زميلتها أن تدخل في الموضوع مباشرة فقالت: والدة أروى كانت عندي، ومش عايزة أقولك كانت قد إيه مستاءة ومتنرفزة
شعرت بالقلق مع ذكر اسم أروى وعقبت: خير، إيه اللي حصل
مدت هاجر يدها بورقة أعطتها لها، وحين قرأتها ارتسمت على وجهها صدمة وقد فهمت، فعقبت هاجر عندها: ابنك باعت الجواب ده لأروى
واستشعرت وكأن دلوا من ماء بارد سكب عليها،أبعد كل ما فعلت معه ظلت النتيجة كما هي، احتفظت بصمتها وعندها أكدت زميلتها: المشكلة إنه أنكر، موضوع الجواب، أعتقد إنه خايف من المواجهة

- أنتِ اتكلمتِ معاه
- أيوة، وهو مش بينكر إنه متعلق بالبنت وبيحبها
بدا واضحا أنها من فرط الصدمة لا تملك ردا، بل وطيف حفل الأم المثالية أتاها مسيطرا على ذكرياتها وكأنه التوقيت المثالي لتذكره
- أرجوكِ يا لبنى تخلي والده يتواصل معاه ويأكدله إن هو اللي بيكلمه
صدمة أخرى علقت معها بمرارة: مش فاهمة
فأجهزت هاجر على ما تبقى منها وقالت
"إياد شبة متيقن إن اللي بيتواصل معاه مش والده، هو بيقول لا دي طريقة كلامه ولا دي صفحته"

(8)

ولم تشعر بحالها إلا وهي تهوي بيدها فوق وجهه وهي تهتف بمرارة: كداب

صفعة أردته للخلف خطوة بينما نظارته سقطت عن وجهه، وعندها لم تملك ريناد إلا أن تشهق بينما شعر زياد بالخوف،هي المرة الأولى التى تبدو فيها لبنى هكذا أمامهم

تزعق وتصفع بل إنها لم تستوقفها دموعه حين خطت فوق وجهه بينما رد بثبات: أنا مش كداب يا ماما، وقلت لحضرتك أنا مكتبتش لأروى حاجة، ولا حطيت في شنطتها حاجة

- أمال مين اللي عمل كده، ولو حد غيرك فدي كارثة تانية المدرسة كلها عارفة إنك بتحبها وأنا آخر من يعلم، حكيت لسعد وعرفته وقلت لهاجر بمنتهى البجاحة - آه أنا بحبها - هي دي التربية اللي أنا ربيتهالك يا إياد، آخرها ابن ميس لبنى بقى بتاع بنات

- كفاية بقى يا ماما، عشان أنا مش كده، والمفروض إنى لما أحكي لأونكل سعد حاجة فدي أسرار أنا ائتمنته عليها، المفروض ميحكيهاش لحضرتك

- أسرار على أمك يا إياد، أنا ماما فاهم يعني إيه ماما؟

- تفتكري أنا لو حسيت للحظة إن حضرتك هتستوعبي الموضوع كنت هاتردد إني أحكيلك، وبعدين حضرتك مجرد ما اتناقشتي مع ميس هاجر رجعتي فرغتي كل غضبك فيا من غير ما تتأكدي إن كنت فعلا عملت كده ولا لا، كل ده عشان ابن ميس لبنى غلط، والطالب المثالي مينفعش يغلط، مش كده؟

وجملته فرضت عليها الصمت فتطلعت لوجهه وقد انقبضت ملامح وجهها بخوف، هل هو محق؟
ولم يمنحها فرصة للتعقيب وأردف: أنا قلت لأونكل سعد وميس هاجر إني بأحب أروى وأنا مش بانكر ده عشان دي مشاعري ناحيتها، بحبها ونفسي تعرف بس خايف
وتهدج صوته ببكائه وهو يكمل: خايف عليها هي، ممكن أصحابنا يفتكروها بنت مش كويسة ويضايقوها بالكلام أو نظرات ملهاش لازمة وأنا ساعتها مش هاسامح نفسي إن حد يسيء لها بسببي
وكلامه فرض على ريناد أن تبكي كونه لا يزال يبكي بل ويرتجف جسده وتتقطع كلماته من فرط خجل امتزج مع خوف وتردد، أو ربما هو خليط مشاعر هو عجز عن استيعابه فرض على قلبه أن يخفق بقوة، والدته تبكي بسببه وهو يبكي بدوره، هو مذنب بنظرها وبريء لا يدري إثمه
والصمت فرض نفسه فلم تملك لبنى ردا على ما قاله سوى أنها تريد تصديقه وتخشى أن تفعل، هل كبُر إلى هذا الحد؟
جلست على الأريكة المجاورة لها تحاول تنظيم أنفاسها كي تملك القدرة على التحدث بروية، عليها أن تنحي مشاعر الخوف التى أربكتها وتتحدث بعقلانية، لقد انتهت لبنى الأم من
تفريغ انفعالاتها وحان دور لبنى الأب ليتحدث فهل ستملك القدرة؟
والعجب أنها امتلكتها رغم هروب الكلمات منها، لكنها سعت لتتكلم وأول ما فعلت كان النظر لريناد وزياد مقررة: أنا محتاجة أتكلم مع إياد لوحده

فتوجها لغرفتيهما بينما نظرت لإياد وقد طلبت منه أن يجاورها، مسحت دموعه بيدها ثم طلبت في هدوء: ممكن تحكيلي اللي حصل سؤال تأخر كثيرا بل كان من المفترض أن تكون البداية به لكن خوفها شتتها، بدأ يسرد حتى وصل لمربط الفرس كونه ذكر أمر الحساب الشخصي لوالده وعندها هي من استوقفته تسأل: إيه اللي خلاك تتكلم عن بابا وصفحته وكلامه معاك

- هي سألتني بتتواصل مع بابا ولا لا، وأنا جاوبت بصراحة لأنك عودتينا منكدبش، آسف لو كلامي ضايقك

قالها ونكس رأسه وعندها عقبت بسؤال: وأنت ليه حاسس إنه مش بابا

- آخر مكالمة كلمهالنا تعمدت أعقب بحاجة كنت قولتهاله شات ولقيته مش واخد باله، ودي مش أول مرة، وعموما بابا مش عاطفي في أسلوبه معانا زي....

وصمت فتوترت وهي تكرر: زي؟

وبعد تردد حدد: زي أونكل سعد

وهنا أيقنت ما فهمه ابنها فسألته بوضوح وكان تعقيبه: حاسس إن حضرتك وأونكل سعد قررتوا تعملوا الأكونت ده عشان نحس إن بابا بقى مهتم بينا فمنزعلش منه

وصدمتها لم تكن بالهينة، أهذا ما ظنه ابنها، أن الحساب لسعد وأن سعد يساعدها ليجمل صورة والدهم، ولم تملك ردا سوى التأكيد أنه أبوهم وأنه ربما مازحه بإغفاله شيئا من محادثتهم السابقة أو انعدم تركيزه بسبب عمله، شددت وكررت لعل الكذبة تنطلي

"بابا بيحبكم قوي، أنتم أهم حاجة عنده، هو غير طريقته عشان يقرب منكم"
وعدة جمل أخرى عله يقتنع ومحاولة بائسة للملمة موقف بدا أبعد ما يكون عن ذلك وقد انتهى المطاف بها منزوية في غرفتها باكية، أنين فرض على ريناد أن تأتي منكسة الرأس تجاورها وقد قررت الاعتراف: أنا اللي عملت كده، أنا آسفة قوي يا ماما، أنا كنت متخيلة إني بساعده، بس اتضحلي إني اتصرفت غلط
ولم تملك أمام دموعها إلا التفهم رغم الخطأ، كل واحد من أبنائها يتصرف وفق اجتهاداته التى قد تجانب الصواب وهي عليها التوعية مع احترام المحاولة، ولا تملك إلا صبرها
بالمساء دثرتهم وعادت لغرفتها وما فكرت به كان حسم الأمر مع رياض نفسه فأرسلت رسالة مفادها: كلمني فون ضروري
رسالة ظنت أنها ستجد اهتماما ولكن ما إن رآها حتى استهزأ بها، أين سعد يا تُرى؟
كان يجمع أغراضه لأن موعد سفره قد تحدد، وكاد يغلق هاتفه لكن شيئا بداخله حثه أن يعرف ماذا تريد، وعبر برنامج الواتس آب كانت رسالته
"عايزة إيه"
"محتاجة اتكلم معاك ضروري"
"مش فاضي"
وكانت جملته القشة التى قصمت ظهرها، لامبالاة حادة وصريحة فرضت عليها أن ترد بحدة: لا فضي نفسك لما أعوزك، عشان

المفروض لما أحتاجك ألاقيك ولا أنت خلاص بقيت مبسوط بإن سعد شايل عنك، وطالما سعد موجود أكلم سعد

توقفت عن الكتابة عله يرد، لكنه اكتفى برؤية الرسالة دون رد، انتظرت قليلا لكن دون جدوى فأكملت: تمام يا رياض، أنا هكلم سعد، بس متنساش لما تنزل تعدل قسيمة جوازنا، نلغي اسمك ونخلي سعد بدالك

رأى الرسالة ولم يرد فتابعت: سعد مهتم، سعد هيتصرف، سعد هيعرف يقوم بالواجب وزيادة، خليك أنت في شغلك وآسفة إني عطلتك

كتبتها وأغلقت هاتفها لأنها أيقنت أنه لن يرد بينما هتف هو بكل ما يملك من غضب: حقيرة

قالها وألقى هاتفه الجديد جانبا

هل بات عليه فتح عينيه ليرى؟

هل بات على عقله إدراك أنه لا ثقة بين أي رجل غيره وزوجته؟

"الحمو الموت"

قالها له أحد المشايخ بالحرم حين استرسل معه بحوار حول زوجته وأولاده وأن من يرعى شؤونهم ابن عمه، لكنه استثنى سعد وحجته "أنا اللي مربيه وهو بالنسبالي أكتر من أخويا"

لكنه الآن فهم

(لقد استبصر الأعمى حد صورة جلية، عاشقة سعد تتغنى بتحمله للمسؤولية)

وهي جابت الغرفة وهي تفرك يديها بكل قهر وغيظ لا تدري ما ينبغي عليها فعله حتى اتخذت قرارها بفك حظر حساب سعد والتحدث إليه،

وما إن فتحت صندوق الرسائل حتى ظلت تطالعه بخوف، هل تكتب له بعد كل ما حدث؟
كتبت رسالة مفادها: إزيك يا سعد، محتاجاك في مشكلة
لكنها توقفت قبل الإرسال تفكر في تبعات تلك الخطوة وهي تسأل هل سيعود سعد كما كان كأخ أم أن قشرة الأخوة المهترئة تلك قد زالت يوم اعترافه بحبها، وبعد تردد لم تملك إلا مسح الرسالة وقد قامت عن حاسوبها تعد فنجانا من القهوة علها تحسن التصرف لو فكرت بتأنٍ، وما إن عادت حتى كان سعد قد استرسل برسائله
"فكيتِ الحظر أخيرا"
"لبنى ممكن تردي عليا"
"لبنى طمنيني بس على الولاد، أنتِ مش متخيلة أنا عامل أزاي من غيركم"
"لبنى عشان خاطري ننسى اللي حصل مش هضايقك تاني، وعد والله"
"لبنى"
وما إن قرأت حتى انهمرت دموعها شلالا، عاد سعد لقواعد حياتهم ولكنها على يقين أن كليهما لم يعد سالما.

صباح اليوم التالي استيقظت ليلى متكاسلة وقد نوت التغيب عن عملها كما فعلت بالأمس، التهرب حل سلمي، خاصة وأن محيي يبدل ملابسه ويخرج وقد تجنبها بالكلية، وكذلك رحل أبناؤها لمدرستهم، لتبقى بعدها وحيدة

أعدت لنفسها فنجانا من الشاي وجلست بهدوء تفكر، بزيارة محمد حبيب لها وما قاله
"وحشتيني"
كلمة زلزلت كيانها وأكدت لها أن الماضي لم يُمحَ، فقامت من مكانها لتجلب ديوان أشعاره وتقرأ الإهداء الذي كتبه لها وهي تتنهد، تلمس بيدها أوراقه وهي تتذكر كل أحلامهما معا
وهل نسيت يوما؟
عاد يفرض وجوده على حياتها مطالبا بحقه في حبيبته، وما لاح بخلدها كظن أكدته قصيدة كتبها أيقنت معها أنه لايزال على عهده؛ لم ينسها ولكن ماذا عن زوجته؟
زفرت بضيق ولم تدرِ لمَ تذكرت والدها
"مختار أخيرا هيختار اللي هو عايزه بعد ما كان طول عمره مرغم ومجبر"
ولكن ماذا عن ابنته؛ أليس من حقها أيضا أن تختار القادم من حياتها؟
"محتاجة اتكلم معاكِ يا لبنى"
إتصال فرض على لبنى بعد إلحاح أن تترك ما بيدها وتتوجه لأختها التى بين ليلة وضحاها تبدل حالها

بدا شاردا منذ مجيئه، يتابع عمله بفتور واضح للعيان وبما في ذلك تلك التى وضعته برأسها تراقب كل حركاته وسكناته وقد عقبت لزميلتها هامسة: تلاقي الدكتورة بوز الإخص عكننت عليه كالعادة

- هووووش، اتنيلي اخرسي يا بسمة حد يسمعك يوصلها تقطع عيشك
- يا اختي الارزاق على الله، بلا نيلة
قالتها بسمة وأمسكت بالصينية الفارغة لتتجه للمطبخ من أجل إعداد فنجان قهوة مخصوص للدكتور محيي ثم اتجهت إليه وقد وضعته أمامه قائلة: أحلى فنجان قهوة لأجل عيونك يا دكتور محيي، صباح الفل عليك
ولم يأتها رد فطرقت على مكتبه فالتفت ليجدها وعندها ابتسمت وسألت: أجيبلك فطار يا دكتور
- لا يا بسمة شكرا
قالها بضيق فقربت منه فنجان القهوة وعقبت: طب اشرب قهوتك ألا تبرد
حمل الفنجان وبدأ برشفه بينما هي ظلت بمكانها وعندها سأل: في حاجة يا بسمة
بتردد أجابت: الصراحة كنت عشمانة أطلب من حضرتك طلب كده يعني، بخصوص أخويا يعني هو لو....
- قولي على طول يا بسمة
وجملته حثتها وأكملت: هو بيدور على شغل يا دكتور، فلو في حاجة في المستشفى، هو معاه رخصة سواقة، وممكن يشتغل في الأمن، يعني....
- خليه يعدي عليا بكرة
قالها بفراغ صبر لأن عقله مشغول ولا يريد التحدث عن شيء، بينما جملته فرضت عليها الهتاف بفرحة: ربنا يخليك لينا يا دكتور ولا

يحرمنا أبدا من حنية قلبك، ويسعدك زي ما بتسعدنا يا رب، قول إن شاء الله
قالتها وحملت الفنجان الفارغ ففرضت عليه أن يبتسم وحين خرجت عادت لصديقتها فرحة، لقد اقتربت من بغيتها خطوة، وخطوة بعد خطوة قد تحظى بما تخطط، فلا صيد ثمين يضاهي رجلا الجميع يعلم حجم تعاسته ويعرف معاناته مع زوجته

دق الجرس معلنا عن بدء الفُسحة لكنها لم تتحرك من مكانها، ظلت تطالع الفراغ شاردة قبل أن تبدأ في البكاء، وأول ما تذكرته كانت أروى بالعام الماضي عندما تغيبت عدة أيام وكانت تنزوي وتبكي، وبعدها أخبرتهم أن والدها ووالدتها قد انفصلا لأنه تزوج بأخرى، ومنذ ذلك اليوم لا تذكر أبدا أنها تحدثت عن والدها، إن سئلت فإجابتها غير المبالية ظاهريا؛ لقد نسينا وبات أبا لغيري، كنا مرحلة وانتهت وأشك أنه يتذكرنا
وكلامها بجوار شك فارس في أنهما قد يريا أبويهما فرضت عليها الانفطار في البكاء خاصة حينما سألت ريناد بحكم أنها المثقفة إن كانت تعرف ما المنتظر إذا تزوجت والدة أروى ورفض زوج والدتها وجودها وكانت الإجابة: تعيش مع جدتها مامت مامتها أو مامت باباها أنا كنت قريت كده في رواية على فكرة
إذا المنتظر هو حياة في كنف "تيتة تيسير" لأن "بابا وماما" ستكون لديهما حياة أخرى، وما إن خطرت لها تلك الفكرة حتى زاد بكاؤها حد النحيب
هل تعرف تيسير أن أحفادها يكرهونها ويخافون منها؟

ولم لا وهي دائمة المقارنة بينهم جميعا، حد زرع الكراهية في جيل أحفادها
ريناد أشطر من فريدة
فريدة أرفع وأجمل
فارس مش مؤدب زي إياد
زياد شقى ومش بيسمع الكلام
جدة تستقبل أحفادها بالنقد فكيف ستكون الحياة إلى جوارها؟
كان "مستر مجدي" يمر بالرواق كونه المسؤول عن الإشراف بهذا اليوم حين استوقفه وجودها بفصلها فهتف فيها: ممنوع حد يقعد في الفصل في الفسحة
لكنها لم تحرك ساكنا فهتف أكثر: فريدة
بدا واضحا من صوتها أنها تبكي فاقترب يطالعها وهو يسأل: في حاجة حصلت؟
هزت رأسها تنفي دون توقف عن البكاء فرض عليه الجلوس بالمقعد المقابل لها وقد سأل بقلق: مالك طيب
زاد بكاؤها وقد ردت بصوت متقطع: مفيش
وما فكر به هو إخبار "ميس هاجر" لمساعدتها لكن فريدة أربكته حين أمسكت بيده ثم احتال الارتباك لصدمة حين دفنت رأسها بصدره تبكي، عجز عن إبعادها واحتار فيما يفعل فربت على كتفها بعد تردد وهو يعقب: طب تعالي معايا عند ميس هاجر تتكلمي معاها أفضل مني
لكن شهقة "ميس أسماء" استوقفتهما وقد احتدت وهي توجه كلامها لمجدي: ممكن أعرف إيه اللي بيحصل في الفصل بالظبط

وكلاهما وقف يتطلع لها وقد عجز مجدي عن تفسير الأمر فأردفت: أعتقد ميس إقبال لازم يبقي عندها علم باللي بيحصل في المدرسة، وأنا هبلغها دلوقتي

"طلاق"

هتفت بها لبنى وقد ضربت كفا بكف ثم قالت: والله يا ليلى أنا متأكدة إنك تاعبة اللي حواليكي أكتر بكتير من ما هما تاعبينك

- جايز، بس لو كده يبقي شيل ده من ده، يرتاح ده عن ده

قالتها بحدة وبدا أنها قد تضايقت من عتاب لبنى التي أردفت:الكلام ده لما يبقي مفيش أولاد، أو حتى صغيرين ممكن ميدركوش مشاكلكم، لكن فريدة وفارس في سن حرج وأكيد محتاجينكم، فكري كويس يا ليلى، الطلاق مش حاجة سهلة قوي كده، غير كده محيي فعلا شخص كويس وبيحبك

"يوووووووووووووه"

هتفت بها ليلى ثم جلست صامتة ثم تطلعت لها وقالت بأسى: مبقتش قادرة، مبقاش عندي طاقة أكمل، أنا تعبانة قوي يا لبنى، تعبانة وأرجوكِ حسي بيا

تنهدت بمرارة ثم بدأت في البكاء ثم سألتها: طيب أنتِ مبسوطة مع رياض، هي دي العيشة اللي كنتِ عايزة تعيشيها يا لبنى

ساد الصمت وعندها تطلعت لبنى للباكية وجاورتها تمسح بكف يدها دموعها وعندها أكملت ليلى من بين دموعها: أنا تعبت يا لبنى، أنا عمري ما عرفت أحب محيي، ممكن يكون راجل كويس بس أنا مش قادرة، صدقيني حاولت كتير أتقبل حياتي معاه ويمكن لو حياتنا كانت

مشيت من غير اللي بابا عمله كنا عرفنا نعدي الأيام واهي عيشة والسلام، لكن....
توقفت عن الكلام وقد سحبت محرمة ورقية تجفف بها دموعها ثم أكملت: لكن أنا خايفة ييجي يوم أضعف زي بابا من شدة احتياجي لحاجة أنا مفتقداها مع محيي، وأنا مش مفتقدة مع محيي شوية، مش كل حاجة ينفع أحكيها يا لبنى، بس أنا عمري ما كنت مبسوطة، أجمل سنين عمري بتنفرط من بين إيديا طيب هاعيش إمتى
بكاء أكثر فأكثر ثم تعقيب: ولادنا مسيرهم يكبروا وساعتها هينسونا وهتكون لهم حياتهم، بس إحنا هيكون عمرنا ضاع، أنتِ فاهماني؟
قالتها بترجٍ فرض على لبنى أن تربت على كتفها دون تعقيب، فرض على لبنى أَن تفهم بل هي استشعرت أن ليلى ربما كانت أكثر شجاعة منها كونها تواجه حياتها وتعترف بما آلت إليه.
دار المفتاح بالباب، كان محيي قد أتى مبكرا وما إن دخل حتى استوقفته هيئة ليلى الباكية، ألقى التحية على لبنى ثم اتجه لمكتبه
"طب على الأقل ردي السلام"
قالتها لبنى لأختها التى لم تولِه أي اهتمام وعندها نادى محيي لبنى وقد طلب منها المجيء إليه، اتجهت لغرفة مكتبه وقد تركت بابها مفتوحا ثم تقدمت لتجلس بالمقعد المقابل وعندها هو من سأل: ليلى لسة مصرة على الطلاق؟
امتلكتها الحيرة وقد بدا حزينا وهو يسأل فأجابت: والله يا محيي أنا شايفة إنكم محتاجيين تتكلموا سوا بهدوء وبدون حالة التحفز لأخطاء بعض
- دي مش أول مرة، بس يمكن المرة دي ليلى مش ناوية تتراجع

- يا محيي أنت ممكن تحتوي الموقف، وتحسس ليلى إنك باقي عليها
تنهد بأسى ثم عقب: والله يا لبنى وربنا شاهد عليا، أنا عرضت عليها نروح لدكتور نفسي، لمستشار أسري، أختك رافضة أي حلول، والله أنا اللي تعبت أكتر منها
جمع بعض أغراض له ثم وقف في مكانه وقبل خروجه قال: حاولى تتكلمي معاها، ولو في فرصة لمناقشة أو حلول، صدقيني أنا مستعد عشان خاطر البيت والولاد
أنهى كلامه وغادر بينما خرجت هي لتجاور ليلى وعندها علا رنين هاتفها باتصال من هاجر، ظنت أنها أمام إحدى مصائب أولادها لكن الصاعق هذه المرة أن الأزمة كانت من نصيب
"فريدة"

طوال اليوم كان يجاهد عقله للتركيز ونسيان أنها لم ترد على رسائله ولم تشاهدها
متى ستتوقفين يا لبنى عن المراوغة؟
لو ظلت على قرار حظر حسابه لتفهم لكن ما مغزى ما فعلت بالأمس، لا يدري!
وشروده استوقف غادة التى كانت تتابعه في صمت، كل يوم يمر لا تقترب فيه منه تستشعر ابتعادها عن بغيتها
"عمه"
لذلك هي في أمس الحاجة لاختلاق موقف علها تكسر أحد الحواجز بينهما

أمسكت برأسها تتظاهر بالدوار ومن ثم استندت فجأة إلى جواره
فهتف بقلق: أنتِ كويسة
قالها مضطربا لرؤيتها وقد بدا واضحا إعياؤها؛ لتدرك أن الفرصة سنحت وبات عليها أن تُحسن استغلالها فأحكمت قبضتها على مقدمة رأسها وهي تتألم بل وكادت تسقط فأسرع بجلب مقعد لها ثم عقب:
مالك يا غادة
بخفوت أجابت: والله ما عارفة مالي يا سعد، صداع جامد وزغللة، الظاهر ضغطي واطى هاروح الاستقبال أقيسه
- أناديلك أنا حد من الاستقبال
زادت تأوهها ثم أجابت: أنا هحاول أروح أحسن يا سعد، ربنا يستر بس وأعرف
"أنا هوصلك"
وهو المطلوب يا سعد، انزوت ابتسامة على وجهها ثم عقبت: لا يا سعد شكرا، مش حابة أتعبك معايا
وقبل أن يرد بادرت: آسفة إني قلت سعد من غير ألقاب أنا....
وقاطعها بابتسامة متفهمة وهو يرد: لا أبدا يا غادة، قولي سعد براحتك، وبعدين مفيش تعب ولا حاجة، إحنا زمايل، وأنا مقدرش أسيبك وأنتِ في الحالة دي تروحي لوحدك
وكادت ترقص فرحا، خرجت برفقته وأوصلها بسيارته وها هنا بدأت الخطة
"لازم تطلع يا سعد مش هينفع توصل معايا لحد البيت من غير فنجان شاي على الأقل"
وطلبها أشعره بالحرج، تردد لكن أمام إصرارها، رافقها

وما إن صعدت حتى تم استقباله بحفاوة من والدتها،والإصرار على أن يتناول الغداء معهم ثم الشاي ثم....
"يا خبر الساعة بقت ستة ونص"
ولولا اتصال إكرام التى استغربت تأخره ما كان لينظر لساعته ليكتشف أن الوقت قد مر سريعا
"إكرام دي خطيبتك"
والسؤال من والدة غادة أجابه هو : أختي
ثم أردف: بتجهز لخطوبتها ومدوخاني معاها
- ربنا يخليك ليها يا ابني، وميحرمكوش أبدا من بعض
"مبروك"
قالتها غادة وعندها لم يملك إلا طلب حضورها: حضرتك وطنط أكيد معزومين
ولمعت عيناها لعرضه ولم تملك إلا الموافقة، ومع نظرة أخرى لساعة يده أدرك أن عليه المغادرة وفور خروجه تبادلت ووالدتها النظرات ثم جلست وقد عقدت والدتها ذراعيها أمام صدرها وسألت: وآخرتها يا غادة
وبوجه خلا من تعبيراته أجابت: يمكن معرفش آخرتها إيه بس اللي متأكدة منه، إني داخلة بيت فاروق الدويري قريب
قالتها بتنهيدة مريرة ثم انزوت بغرفتها شاردة، تتلقفها أقسى الذكريات ذكرى تلو ذكرى

(9)

"محكمة"

"المتهم منصور زين محفوظ"

(أيوة)

قيلت خافتة مملوءة بخوفه من مجهول قادم لا يعرفه، وسقطت معها دمعة من عينه قابلتها دمعة من عين زوجته وأخرى من عين ابنته

"مؤبد"

قيلت حاسمة مملوءة بحدة صوته فرض على جسده ارتعاشة وشعور مفرط بقهره

(مظلوووووووووووم، والله العظيم مظلوووووم مقتلتوش والله العظيم ما قتلته)

ظل يهتف بها وقد سعى أن يشدد على قبضة يد زوجته التي هرولت لتمسك بيد زوجها رغم إحالة القضبان لهما، سحبه أحد العساكر من ذراعه فتعالت صرخاتها باسمه، بينما ألقى فاروق عليه نظرة تشفٍ قبل أن يلتفت ليغادر قاعة المحكمة مشيرا لمختار كي يتبعه

بدوره نظر مختار لمنصور وقد شعر بالأسى يجتاحه، لطالما منى نفسه لو استطاع مساعدة فاروق دون أن يوخزه ضميره، لكنه ما إن طالع نصيبه من المال حتى قرر التغافل عما مضى

جاور فاروق بالسيارة وعندها شرد في ذلك الذي قال "لا"، فاستوجب عليهم إخراسه.

ولا يدري فاروق لمَ شرد الآن فيما مضى، ربما شكه بغادة وشعوره بأنها ابنته، عاد لشروده يتذكر يوم ذهب لمختار الذي كان صديقا لمنصور ليساعده، كان بحاجة ماسة للخلاص منه ولكنه فكر أن

يضرب عصفورين بحجر، بل ثلاثة عصافير كونه لم يتخلص من منصور وحسب بل تخلص منه ومن أخيه وزوجته

ظل يجوب الشوارع بسيارته لا يريد العودة لمنزله، يسترجع أحداث يومه منذ أن غادره حتى استقبل اتصال لبنى وقد بدا صوتها حزينا ومضطربا، حديث لم يتوقعه عن ابنته

(فريدة تعاني من جراء أزماتهم حد اعتراف بالاحتياج تمثل في اللجوء لمدرسها عله يعوض ما تفتقده)

"ميس إقبال كانت ممكن تقلب الدنيا لو طلع مجدي اتحرش بيها، بس فريدة نفت إنه ضايقها ودافعت عنه"

"أنا اتكلمت معاك لإني مش ضامنة رد فعل ليلى، أرجوك يا محيي خلي بالك من فريدة لأن نفسيتها تعبانة قوي، ويا ريت بلاش تخلوا الولاد طرف في مشاكلكم"

كانت الثانية عشرة حين عاد، ليلى نامت بالتأكيد وفارس بغرفته وكذلك فريدة

طرق باب غرفة ابنته ثم نادى ولم تأته إجابة ففتح باب غرفتها ودخل، كانت نائمة وبدا واضحا على ملامح وجهها أنها مرت بيوم عصيب

جلس إلى جوارها ومسح على رأسها وقد شعر بالخوف حيالها، تجلت ذنوبه أمام عينيه فشعر وكأن تصرف ابنته تجاه مدرسها كان منطقيا وكأنه نتيجة لما يفعله.

فرك بيده جبهته ودثرها طابعا قبلة على جبينها وهو يتمتم في هدوء: أنا اللي آسف ليكِ يا فريدة

كان أسفه حقيقيا كونه يوم اختار شريكة حياته أساء اختيارها، ثم اتجه لغرفة فارس وعلى بابها وقف متأملا طفلا كُبر سريعا دون أن تستوقفه تلك الأيام فيحياها معه، ولكن لماذا لم يكن يوما أولادهما محور اهتماماتهما كما كان عملهما؟
تساءل في نفسه وهو يطالع الغرفة التى تتسم بالفوضى، ثم سحب بعض الكتب المتناثرة بجواره على السرير ليضعها على مكتبه وعدل وسادته ودثره، ثم غادر لغرفة مكتبه ليتناول واحدا من الأقراص المنومة التي اعتاد تناولها مؤخرا؛كي يتفادى الأرق ثم توجه ليبدل ملابسه ويجاور من اعتادت أن توليه ظهرها، زفر بشدة وهو يضع رأسه على الوسادة، يجاهد عينيه لكي لا تنظر لها بكراهية، ولكنها بجمودها ولامبالاتها من فرض عليه ذلك الشعور المميت.

باليوم التالي وتحديدا عند موعد خروجهم من المدرسة، والعنوان الرئيسي لتصرفاته سؤال فرض نفسه عليها
"متى سيتوقف عن مطاردتها"
"لميا"
ناداها فزفرت ما إن رأته وقد اتجهت ناحية سيارته ثم هتفت فيه بحدة
"إحنا اتفقنا إنك مش هتحاول تيجي لي عند المدرسة مرة تانية، ممكن أعرف إيه اللي جابك؟"
حدة قابلها هو ببالغ البرود ورد: اركبي يا لميا عايزك ضروري
- لا، ويا ريت تمشي، أنت بتصرفك ده بتعملي مشكلة، زمايلي يقولوا إيه

- خوافة قوي حضرتك، اركبي هما كلمتين وبعدها انزلي
زفرت بشدة وقد فتحت باب السيارة وجاورته، وعندها خالف توقعها كونه تحرك بالسيارة وقد انطلق مبتعدا بها عن المكان فلم تملك إلا الزعيق فيه كي يتوقف ولكنه لم يبال، حتى وقف قرب منزلها وعندها زاد زعيقها: ممكن أفهم أنت بتتصرف معايا كده ليه، ده مكنش سر ده، أقولك حاجة تعالى معايا عند ماما وقولها أنا أصلا مبقاش فارق معايا إنها تعرف
عقد ذراعيه أمام صدره ثم سألها بهدوء: عاملة إيه في المذاكرة والدروس
- زي الزفت
- طيب طمنتيني أنا كنت قلقان عليكِ
زفرت بشدة وعندها وجدته يتحدث بجدية دون أن تستوقفه طريقتها وقد قال: أنتِ شوفتِ شذى آخر مرة إمتى؟
شعرت أن وراء جديته أمر ما فردت بهدوء: أنا مشوفتهاش من يوم الخروجة، حتى بقالها مدة مجاتش المدرسة بس ليه؟
- شذى اترفدت من المدرسة، كل اللي عايز أقولهولك لازم تقطعي علاقتك بالبت دي، فهماني
- ليه؟
- من غير مقاوحة يا لميا، البت دي شمال وأخلاقها طين، اوعي تقابليها أو تعرفيها مرة تانية
ولم يمهلها وقتا للتعقيب مد يده بجوارها ليفتح باب سيارته وهو يقرر: أنا خلصت كلامي يا لميا، تقدري تنزلي، بيتك كمان شارع ممكن تتمشي لحد ما توصلي، سلام

ظلت تطالعه لثوانٍ مشدوهة بينما أردف هو: أي كلام أجليه لوقت تاني عشان أنا مش فاضي دلوقتي
لم تملك إلا مغادرة السيارة بينما انطلق هو مسرعا إلى منزله

لا يدري حقا هل تشعر بالسعادة حيال خطبتها بذلك الوغد شهاب أم أنها تتظاهر فقط لتفرض عليه الشعور بالضيق، كانت منهمكة في حديثها عبر الهاتف تهمس تارة وتضحك تارة أخرى، حين وصل وصف سيارته، عندها رأته فصمتت وقد أولته ظهرها كي لا تتلاقى أعينهما لكنه اقترب منها حتى وقف خلفها مباشرة يستمع لحوارها وحين التفتت طالعها بغيظ فرض عليها الدهشة والصمت لثوانٍ فرضت بدورها على شهاب أن يسألها عبر الهاتف: رحتِ فين يا إكرام؟
- أنا معاك
قالتها بحسم زاد من ضيق من وقف يطالعها بينما سأل شهاب بقلق: أنتِ حد جنبك؟
- طيب أنا هكلمك بعد شوية
شعور دفين بالخوف امتلك شهاب للحظة وقد تذكر مواجهته مع أيمن هذا الصباح ولكنه لا يملك إلا التظاهر بأن كل شيء على ما يرام، فأبدى تفهمه لإنهائها للمكالمة وعندها نظرت إكرام لأيمن وسألت بضيق: هنا من إمتى؟
ابتسم هازئا ورد: من ساعة ما طلع يهمك رأيه في فستان الخطوبة
استشعرت سخريته فقررت أن ترد ببرود: عندك مانع؟
- لا أبدا، بس ابقوا خدوا بالكم، إن مش كل الألوان بتليق عليكِ

بدا واضحا أنه يتعمد إهانتها فقررت أن تمتلك رباطة جأشها وترد بهدوء: على كل حال أنا باثق في رأي شهاب، كونه اختارني يبقى ذوقه حلو

ضحك هازئا ورد: احتمال، المهم تكوني أنتِ واثقة في ذوقك

صمتت وقد كُسرت لمحة السعادة بعينيها ولم ترد لأنها أيقنت أنها لن تستطيع مجابهته، وهيئتها فرضت عليه الضيق من نفسه فاعتذر

- آسف

- مش مستاهلة آسف، أنت من يوم ما حددنا ميعاد الخطوبة وأنت مش بتفوت موقف ممكن تكسر فيه فرحتي وتتأخر

- وأنتِ فعلا فرحانة؟

وهو من قالها بأسى فردت: مش من حقي أفرح؟

- كده يبقى محدش عارف مين فينا اللي بيكسر فرحة التاني يا إكرام، ربنا يسعدك

كانت كريمة تراقبهما حين قال جملته واتجه للداخل وعندها اتجهت هي لإكرام تربت على كتفيها وتتحدث معها لتخفف من حدة توترها ثم اتجهتا لتجلسا على إحدى الأرائك الموضوعة بالحديقة وعندها سألت: كلمتي لبنى؟

- يوووووووه أنا كنت فعلا هنسى، هكلمهت حالا

"هي مين؟"

والسؤال من القادم لتوه من عمله وقد قرر أن يشاركهما جلستهما لتخبره إكرام عندها: لبنى يا عم سعد

قالتها وجلبت هاتفها بينما تعلق بصره بها منذ أن بدأت المكالمة

"مفيش اعتذارات يا لبنى، أنتِ عارفة إني مليش غيرك، أنتِ أختي الوحيدة، ووجودك معايا مهم ثم أنا مش هينفع أنزل أنا وشهاب لوحدنا، وسي سعد مش فاضيلي، شكله ناوي يحصلني قريب"
جملة فرضت على سعد بهتان وجهه حين اتسعت ابتسامة كريمة بينما أتاها رد لبنى ببالغ الاستغراب وقد حرصت على سؤالها:
يحصلك أزاي مش فاهمة
- ما أنتِ مشغولة في امتحانات ولادك اللي قربت، بس في الخطوبة كل شيء هيوضح بالأدلة والبراهين، أصله عزمها يا ستي
"بس يا إكرام"
قالها بعصبية وهو يريد سحب الهاتف من يدها بينما هي ابتعدت لتؤكد: شفتِ اتنرفز أزاي
"لعلمك لبنى أول واحدة تفرحلك"
سمعتهما لبنى عبر الهاتف فتنحنحت لترد: خلاص يا إكرام، بلاش تحرجيه
- عشان خاطرك بس، وخاطر غادة
"إكرام"
وصوت سعد اخترق أذن لبنى، وعندها لم تملك إلا إنهاء المكالمة:
خلاص يا إكرام أنا معاكِ، شوفي عايزاني إمتى وننزل، هقفل دلوقتي عشان ورايا حاجات
انتهت المكالمة بينما كان هو ينتظر أن تتحدث إليه لتصدمه إكرام بتعقيب: قفلت خلاص
وزفرته وهو يغادر المكان من أمامها فرضت على كريمة التعقيب:
كده أحرجتيه يا إكرام

- والله يا طنط أنا نفسي أفرح بيه
بغرفته تلقفه الضيق فقذف حقيبته على السرير وزفر وهو يخرج هاتفه ليتصل بلبنى وما إن نظرت هي لاسم المتصل حتى قررت ألا ترد متعمدة عدم الاكتراث بما قالته إكرام وشغل نفسها بأي شيء لكنها بالنهاية عجزت
"معقول في واحدة تانية، بالسرعة دي يا سعد"
تمتم بها قلبها بضيق فتساءل عقلها؛ وما الذي يدفع للضيق؟ أليس من حقه أن يتزوج ليكون له أولاده هو، عائلة له تخصه وتنتمي له؟!
ورغم أن الإجابة نعم، هو يستحق بل وأكثر إلا أنها غضبت، لا ليس غضبا هو حزن، أو بالأحرى فقد أو....غيرة
"معقولة"
وارتباكها وخوفها فرضا عليها الاعتراف، هي في أمس الحاجة لوجوده ويا ليتها تملك شجاعة ليلى وتعترف بمشاعرها ولكنها جبانة لن تجرؤ، لن تفعلها
"بنت مختار لن تختار أبدا لأنها عاجزة"
سمعت صوت وصول رسالة لهاتفها فاستوقفتها وحين قامت بفتحها أدركت أن سعد المرسل
"ممكن تردي عليا؟"
وفتحت المحادثة المشتركة بينهما وقرأت ما كتبه
"طمنيني عليكِ وعلى الولاد طيب"
"بلاش العقاب ده يا لبنى، أنا حياتي من غيركم ملهاش معنى، اوعى تصدقي كلام إكرام دي كانت بتهزر والله العظيم"

"وحشتوني قوي، ردي بقى"
دمعت عيونها وعندها قررت الرد
"نفسي أرد بس، سعد أنا محتاجالك قوي، سعد أنا كمان بحبك"
كتبتها دون إرسال، ظلت تطالعها وقد خفق قلبها بقوة، فيض مشاعر فرض على جسدها أن يرتجف ويدها قد ارتعشت
"خائنة يا لبنى"
بل امرأة لا تبحث عن الكثير، فقط بعض تقدير ضنّ به رياض، وأغدقه سعد
تبرير كاد يدفعها للضغط إلا أن النداء من زياد بكلمة
"ماما"
دفعها لمسحها بسرعة وهي تجيب: أيوة
قالتها لتجده قد جاورها واحتضنها ثم قال ممكن أنام جنبك عشان خايف؟
فلم تملك إلا تنحية هاتفها جانبا وقد احتوته أكثر ونامت إلى جواره

صباح اليوم التالي
لم تملك إلا التظاهر بالانهماك بعملها حتى تشتت ذهنها عن التفكير في سعد ولكنها بالكاد استطاعت.
عند الظهيرة ظل هاتفها يرن برقم كانت تراه لأول مرة، وما إن ردت حتى تم تبليغها بأن أختها قد سقطت مغشيا عليها وأنها بحاجة إليها لإيصالها، لم تعد تدري بصدق ما الذي أصاب ليلى منذ آخر حديث دار بينهما وهي لاترد على هاتفها والآن يأتي للبنى اتصال من أحد فنادق القاهرة الكبرى لإخبارها بحالتها

- وإيه اللي جاب ليلى عندكم؟
سألت بقلق فأتتها الإجابة: كانت حاضرة سيمينار مقام في الفندق "عن الوسائل الحديثة في تنظيم الأسرة" وتعبت فجأة وادتني رقم حضرتك عشان تجيلها
ولم تملك إلا الاستئذان من عملها والمغادرة
وهي لا تدري أن سعد بطريقه لنفس المكان والسبب أن أحد النزلاء قد طلب من معمل المشفى الذي يعمل به مندوبا لسحب عيناته لإجراء بعض التحاليل
والشرك على ما يبدو شديد الإحكام لأنه لن يستثني الصيد الأثمن "رياض" فمن أرسل الرسالة السابقة يعي جيدا فطرة رجل شرقي أدرك خيانة زوجته، فكتالوج التصرفات محفوظ عن ظهر قلب والخيارات لم تكن يوما ذات سعة
"القتل الفضحية الطلاق"
ولكن هل علم المرسل أن رياض قد عاد بالفعل أم حالفه الحظ؟
"يااه لو كنت هنا، يمكن كنت عرفت واتأكدت بنفسك إنهم كل أربع بيتقابلوا في مكان مختلف"
واكتفى بصورتين واحدة لسعد وهو يدخل للفندق والثانية للبنى وهي تتبعه ولن ينسى من التقطهم أن يظهر اسم الفندق واضحا

- يعني إيه مفيش سيمينار في الفندق، طيب المكالمة اللي جاتلي دي من مين؟

- يا فندم ده رقم موبايل يعني تليفون شخصي مش من الفندق خالص ومع ذلك أنا بقول لحضرتك ارتاحي وأنا هشوف لو دكتورة ليلى المسيري موجودة في الفندق ولا لا

شعرت بالقلق ولكنها لم تملك إلا الانتظار علها تفهم سر تواجدها هنا، ولم يملك رياض إلا الإسراع عله يكشف أمرهما، أما سعد فقد أنهى مهمته واتجه للأسفل لتصدمه رؤية لبنى أمامه....

- لبنى!

- سعد!

تسمرت بمكانها وقد علا الاستغراب ملامحها، عقدت ذراعيها أمام صدرها وكأنها فهمت أنه السبب، نظرت شزرا ثم حملت حقيبتها وقررت الرحيل دون كلمة مقررة أن تذهب لمنزل ليلى وعندها ستفهم، ركض خلفها سعيا لاستوقافها هاتفا: لبنى استني

فوقفت واستدارت وهتفت بدورها: إيه شغل العيال ده يا سعد؟ ممكن افهم أنت ليه جبتني هنا، عشان تعتذر، ولا عشان أنا مش برد تقوم تجيبني على ملا وشي بالطريقة السخيفة دي؟

- أنا كنت هنا بالصدفة، كنت جاي هنا في شغل

قالها وقد زادت دهشته، فلم تملك لبنى إلا افتراض صدقه فأومأت برأسها وردت: خلاص يا سعد حصل خير

والتفتت خارجة من الفندق فإذا به يسرع خلفها وقد استوقفها ثانية بقوله: رب صدفة خير من ألف ميعاد

ورغم الابتسامة العريضة التي ملأت وجهه إلا أنها زادت من حدة ملامحها ولم تجب فباغتها قائلا: المرة دي مش هسمحلك تهربي وهتسمعيني مهما حصل

سعد

قالتها محتدة وقبل أن تكمل وضع سعد إصبعه فوق شفتيها، ليؤكد لها أنه ما عاد بينهما خطوط حمراء وأنه بتلك اللمسة الصريحة قد أزالها، ثم نظر لعينيها وسأل: أنتِ خايفة مني؟

أبعدت يده وردت بضعف: ربنا يهديك يا سعد

اصطنعت بعض الحدة ثم التفتت لترحل فأمسك بيدها ليديرها إليه معقبا بحزم: أنا مش مجنون، بالعكس أنا حد قرر ميضحكش على نفسه أكتر من كده، أنتِ اللي لسة مصرة تعيشي جوة كدبة، كدبة أنه ممكن يحس بيكِ أو يقدر مشاعرك

دفعت بيده وأصرت على الرحيل دون رد فعاود جذبها إليه أكثر وقد زادت عصبيته عليها: أنتِ بتعاقبيني وكأنه بإيدي، لا يا لبنى أنا مأجرمتش عشان بحبك ولو خايفة من رياض فأنا مستعد أواجهه، هقوله أنا ولبنى بنحب بعض واللي يحصل يحصل

قالها وسكت وقد ظل يتابع عينيها بعينين أفصحتا عن لهفتهما وهو لايزال ممسكا بيدها، جرأة في الصوت والنظرات والتصرف اقتحمتها والصادم أنها لم تعهدها فارتفع معها الأدرينالين بجسدها إلى سماواته السبع

ثم أتى صوته كموجة هادرة عصفت بالسكون وهوى معها ذات الهرمون إلى أراضيه السبع بذات الجسد رعبا

"وأنا مستعد للمواجهة وجاي أسمع، تحبوا في الشارع وتكون فضيحة عالكل ولا نشوف حتة تانية"

- رياض!

من بادر بالهتاف، من ارتعد ومن خاف، توقفت العقول للحظات ربما لأن الدماء انحصر ضخها بالقلب على إثر نبضات زلزلها الارتجاف، سعد لم يستشعر الخوف لكنه استشعر خوف لبنى حين نفضت يدها المرتعشة من يده وقد تصلبت بمكانها واستشعر رياض جمودها فقرر ألا يتيح لها التصرف

جذبها من ذراعها يحركها كدمية وهو يشير لسيارة أجرة استوقفها وفتح بابها ودفع لبنى بداخلها ثم أملى على سائقها العنوان وهو يهتف: وصلها

وانطلقت السيارة مبتعدة بها عن المكان ولم تمتلك الجرأة لتلتفت خلفها لتنظر إليهما، طالعت الفراغ بنظرات أشد تصلبا من جسدها وهي لاتزال غير قادرة على استيعاب الأمر بل ما الذي ستستوعبه بالأساس؟

عاد رياض من سفره!

متى؟ كيف؟

أتى إلى ذات الفندق؟

كيف؟ لماذا؟

رآها مع سعد!

فما الذي ظنه؟

فضيحة هل قال فضيحة أم كلمة أخرى؟

خيانة هل قال خيانة أم لم ينطق؟

هل عاد عقلها للعمل وبكامل كفاءته؟

بدت لها الإجابة "نعم" وإلا من أين أتت كل تلك الأسئلة، وبعد لحظة من الاستيعاب نظرت خلفها وكأنها أخيرا استوعبت "رياض يظن فيها الخيانة، ليست ظنونا؛ لقد رآها تغادر الفندق برفقة سعد"

حملقت عيناها في الفراغ ثم هتفت في سائق السيارة ببالغ الهلع:

وقف العربية دي فورا، وقفها ونزلني هنا

أذعن لصرختها وأوقف السيارة فنزلت منها تركض عائدة إلى حيث مكان الفندق لتشرح لرياض أن الأمر برمته محض مصادفة وأنه لا ينبغي عليه أن يسيء فهمها

ركضت وركضت ولكن حين وصلت لم تجد أحدا، لا رياض ولا سعد ولا سيارته، ودارت بعينيها في المكان كله ولكن لا أثر، أهي في حلم أم كابوس أم ما يحدث واقعا؟

وهاتفها كاد يقضي على ما تبقى منها برنينه المتواصل والمتصل ليلى لتسألها عن سبب اتصالها بها وبعصبية أتاها الرد: كل ده يا ليلى موبايلك مقفول كنتِ فين كل ده؟

- اهدي يا بنتي في إيه مالك؟

- أنا ذليت اتصال بيكِ وأنتِ مرديتيش

- ما أنتِ عارفة إن أنا مخصصة يوم الأربع للعمليات يا لبنى ولا نسيتِ؟

رد أتاها كصاعقة وسؤال لاح في الأفق؟

من وراء مجيئهما إلى هنا؟

(10)

هل سبق يوما واستوقفك عقلك لتتأمل الفارق بين معنى الصواب والخطأ فأجبت ببساطة أن الصواب هو ما ينبغي عليك فعله والخطأ هو ما ينبغي عليك تجنبه؟

محتمل ولكن؛ متى كانت الحياة بسلاسة أي اختبار مدرسي؟ أسئلته بالنهاية مهما بدت صعبة ليس لها إلا إجابة واحدة، باختبارات الحياة معضلات؛ لطالما تلقفنا العجز أمامها فتركنا أنفسنا في مهب الريح فيفرض القدر إجابته أو للدقة هي اختياراتنا الخاطئة.

"رياض لبنى سعد"

ذلك المثلث الأعوج، هل أخطأ رياض حين افترض استقامته؟

وهل أخطأ سعد حين اعتاد البذل ثم استفاق عاشقا؟

وهل أخطأت لبنى حين تركت زمام الأمور تنفلت حد لحظة انفرط فيها العقد فاستحالت لملمة حباته؟

وهل الإجابة؛ نعم أخطؤوا؟

أم أن الواقع أبعد ما يكون عن الإجابات المباشرة!

فثمة مساحة واسعة بين الصواب والخطأ، تلك الملبدة بالغيوم حد تشويش الرؤية على من يراها فيظن أن العلة بعينيه وكأنه المصاب باستجماتيزم

تلك الرمادية التى سُميت شبهات، وعلى إثرها كانت أغلب لحظات السقوط

وما ظنوه هينا قلب على جميعهم الطاولة وبلحظة فارقة كانت جملة سعد أمام جملة رياض

"بحبك يا لبنى"

"واللعنة على الخائنة"

وبينهما هي، كانت تقف حائرة؛ مصدومة من فرط التيه لا تعرف من هي؟!

عادت لمنزلها ترتجف، تبكي ولا تعرف السبب، انزوت بغرفتها وقد أغلقت هاتفها بل وهاتف المنزل أيضا ولن تبرر وما عادت تملك حججا

هي تغلي كمرجل من فرط خوفها ولكنها لا تريد معرفة ما الذي حدث، ما الذي سيفيدها لو علمت أنهما تشجارا أو....

وهي السبب، فرقت اللعينة بين زوجها وابن عمه

أحقا يظن أن هناك علاقة تجمعها بسعد لمجرد جملة سمعها منه وربما قيلت عن طريق الخطأ أو لم يقصدها

وبعد لحظة تفكر هدّأت من روعها، ستشرح لرياض الأمر وعندها سيتفهم، سيغضب لكنه سيتفهم، هي لم ترتكب خطأً، لم تخن

"سوء تفاهم"

وقع وهي بالتأكيد ستسعى لإصلاحه عندما....

ولكن متى عاد وأين....

كفكفت دموعها ثم قررت الصبر فهي لا تملك غيره، وتوجهت للمطبخ مقررة أن تشغل نفسها بأي شيء المهم أنها لن تفكر بهما حتى علا رنين جرس باب منزلها فانتفضت بهلع، وتجمدت بمكانها وقد استشعرت أن إياد قد توجه لفتحه

من يا تُرى؟

"بابا"

هتف بها إياد ففرض على أخَوَيه الانتفاض من أماكنهما ليتزاحموا أمام الباب، وبالرغم من الابتعاد واللامبالاة التي لطالما جمعته بأبنائه إلا أن العادة قد جرت أنه ما إن يراهم حتى يضمهم، ربما لأن هذا هو رد الفعل الطبيعي بين أبناء وأب عاد لتوه من السفر
ورغم تردد زياد ورهبته إلا أنه شارك أخَوَيه ما فعلاه دون كلمة واحدة، كان البواب قد صعد ببقية الحقائب فأدخلهم رياض ثم التفت يمنحه مبلغا نقديا مستمعا لدعائه المتواصل دون اكتراث وقد أغلق الباب خلفه
وحين التفت كانت لبنى أمامه بجوار أولاده وأول من عقب كانت ريناد: أنتم مش هتسلموا على بعض ولا أنتم محرجين مننا
بدت مضطربة بينما بدا هو هادئا رغم شدة إجهاده وحمرة عينيه وكأنه لم ينم لسنوات، اقترب منها خطوة ثم أمسك بذراعها وقد بادر: إزيك يا لبنى، وحشتيني
ضغط حروفها بطريقة فرضت على إياد أن يتطلع لكليهما بينما ابتسمت ريناد وهي تتنحنح ثم أشارت لأخويها وهي تعقب: الشنط دي تتفتح بكرة، ودلوقتي بقى على أوضنا ورانا امتحانات
ثم جذبت أخويها ليتبعاها لغرفهم بينما لايزال زياد وإياد يراقبان والديهما بريبة وقد ساد الصمت بينهما
"أنت رجعت"
هل هو سؤال أم إقرار؟
أغلق أولادها أبواب غرفهم بينما جذبها رياض من ذراعها متجها بها لغرفة نومهما وقد أغلق بابها بهدوء ثم عقب: من هنا لحد بكرة

الصبح هسكت، بس سكوتي مش معناه إننا مش هنتحاسب، بس أنا مش ناوي ولادنا يكونوا طرف

- إيه اللي حصل، أنا مش فاهمة حاجة

- الصباح رباح يا لبنى

قالها بحزم وقد قرر تبديل ملابسه والتظاهر بالنوم بينما ظلت هي تجاوره دون القدرة على السؤال أو التعقيب أو بالأحرى النطق

"والده يهتم"

بدا هذا واضحا لفارس فأثار حفيظته، تذكر محيي أنه أب وهذا بصدق يستحق السخرية كونه عاد مبكرا ولم ينزو بغرفة مكتبه ودخل غرفة فريدة وجلس يتحدث معها بهدوء وبالنهاية أتى لغرفة فارس ظنا منه أن الطقوس ذاتها قد تجدي نفعا مع من يعرفه حق المعرفة

تظاهر بانشغاله بالاستذكار وبدا لمحيي أن ردوده كلها تحمل التهكم والاستهزاء المبطن من وجوده بغرفته

- أخبار المذاكرة إيه؟

والإجابة من فارس كانت ضحكة عالية ثم أجاب بلامبالاة: بتسلم عليك

طريقة فرضت على محيي الضيق لكنه جلس إلى جواره وتطلع إلى مكتبه وكتبه ثم سأل: جاهز للامتحانات؟

- هتفرق؟

- أنت شهادة، تالتة إعدادي مهمة

- طيب ما حضرتك كده معطلني

بهت وجه محيي وعندها قام من مكانه، ربت على كتف ابنه ثم غادر غرفته وانزوى بغرفة مكتبه بينما انهمكت ليلى بحاسوبها وعندها أغلق فارس باب غرفته وفتح حاسوبه مقررا مراقبة أفعال والديه، كلاهما فتح صفحته الشخصية بموقع "فيس بوك" وكلاهما كان يتحدث عبر المحادثات بدأ بوالدته فوقعت عيناه على المرسل

"محمد حبيب"

"برضو مش عايزة تردي على رسايلي يا ليلى، لو فاكرة إنى ممكن أسمح لنفسي بتصرفات تضايقك تبقي غلطانة، صدقيني أنا مش بدور على حب قديم، أنا محتاجلك دلوقتي كصديقة، صديقة أفضفضلها واحكيلها وتحكيلي، وعمري ما أفكر في إني أحطك في وضع يسيء ليكِ"

فتحت ليلى الرسالة وبالتأكيد قرأتها ولكنها لم ترد، ربما تتدلل على حبيبها السابق

ضرب فارس يده المضمومة من فرط غيظه بمكتبه واتجه لصفحة والده وحديثه مع صديقه كان بشأن فريدة

"أخته ومدرسها"

"تحرش"

همس بها وقد شعر بالدماء تغلي في عروقه، سعى أن يفهم قدر المستطاع لكنه لم يستطع تجميع أطراف المشكلة ولكن تكفيه تلك الجملة ليثور ويصرخ في نفسه

"كفى"

"اللي قالقتني إن في همز ولمز حوالين البنت من زمايلها وميس إقبال متصرفتش صح، استدعاء ولي أمر ولما روحت كان محور الكلام ربوا عيالكم، أنا حاسس بالعجز، أنا دماغي هتقف من التفكير"
والكلام فرض على فارس المزيد من السأم والغيظ، ما عاد يملك القدرة على التظاهر بأنه لا يعبأ بشيء، خرج من غرفته واتجه لوالدته ثم وقف يزعق أمامها: بقالي ساعة بقول جعان، وطبعا الجعان هنا يموت من الجوع، ولا أنزل آكل مع البواب أصل محدش فاضي يعملنا أكل
ونبرة الصوت هادرة من فرط الغضب طريقة فرضت على ليلى أن تنحي حاسوبها جانبا لتزعق فيه بدورها: اللي عايز يطلب حاجة يطلبها بأدب يا قليل الأدب، كتك القرف فيك وفي تربيتك، جعان ما تقوم تعمل لنفسك حاجة تاكلها ولا أنا الخدامة اللي أبوك جايبهالك
- وأنا لو أعرف أعمل كنت طلبت، وبعدين هي التلاجة فيها حاجة تتاكل أصلا
- بعت وردة تجيبلنا طلبات، اهمد بقى
وما كان ليفعل بل الأمر زاد حين دق جرس الباب واتجه لفتحه ليجد وردة أمامه تمد يدها بطلبات والدته ثم تعقب: ملقتش التونة اللي دكتورة ليلى طلبتها فمجبتش....
ولم تكمل ولم يستوضح جذبها من ذراعيها وزعق فيها بحدة وكأنه أخيرا وجد من سيفرغ فيه غضبه: وأنتِ يا غبية مسألتيش من الديكتافون تجيبي بدلها إيه بدل ما تطلعي ومتجيبيش
ثم لكزها في كتفها بقوة وهو يعقب بغلظة: إنما أنتِ مبتفهميش، هتجيبي الفهم منين

وصفع الباب بوجهها وتوجه للمطبخ يضع الأغراض ورغم زعيقه بوردة ثورته لم تهدأ، سكب لنفسه كوب ماء وشربه دفعه واحدة وسمع رنين جرس باب شقتهم مرة أخرى لكنه لم يعبأ حين وجد والده يتحدث للبواب

وليحسم تشويشه اتجه لغرفة فريدة وما إن دخلها حتى وقف أمامها وسألها بحدة: إيه اللي حصل بينك وبين مستر مجدي؟

أجابت بحدة: مالكش دعوة

فجذبها من ذراعها بقسوة وهو يزعق: يعني إيه مليش دعوة، انطقي "فارس"

قالها محيي بحدة ثم جذبه من ذراعه ناحيته ثم زعق فيه: إياك أشوفك مرة تانية تشد أختك كده ولا تعلي صوتك عليها، فاهم طالعه فارس بحنق شعر معه محيي بالقلق؛ هل يكرهه ابنه؟

ترك ذراعه فالتفت فارس ليغادر الغرفة وعندها استوقفه قائلا: ومالكش دعوة بوردة يا فارس، وإياك تمد إيدك عليها مرة تانية

أكمل فارس طريقه لغرفته غير عابئ بكلام والده فخرج خلفه وتابع:عم فتحي قال إنك كل شوية تغلس على بنته، حذاري الشكوى دي تكرر تاني، مفهوم

التفت ينظر له نظرة بدت ساخرة ثم دخل لغرفته وصفع بابها بقوة وهو في نفسه يتوعدهم جميعا ولكن بطريقته.

صباح اليوم التالي

كان يمني نفسه بإجازة يرتب فيها أفكاره تلك التي لطالما تلاطمت برأسه خاصة بعد محاولات القرب من أبنائه التي أشعرته بمقدار

الهوة بينه وبينهم، لكن مع وقع رنين هاتفه النقال تبخرت كافة أحلامه، فصوت غادة الباكي وهي تحاول إخباره بما حدث فرض عليه إدراك أنه سيبدل ملابسه ويهرع إلى المشفى فقط ليفهم ما معنى تلك الكلمات

"سعد رصاص مضروب، بيموت يا دكتور محيي، أرجوك تعالى فورا"

وما إن تواجد هناك حتى بدأ يستجمع الأمر، إكرام منهارة وكريمة لا تنطق، وفاروق يتوعد بالنيل ممن فعلها وأيمن بقسم الشرطة، وغادة هناك تقف بجوار غرفته كل ما يعنيها هو خبر واحد يفيد باستفاقته

"إيه اللي حصل؟"

قالها محيي بقلق فالتفتت غادة ناحيته وردت بأسى: والله مش عارفة أقول لحضرتك إيه، أنا آسفة إني خضيت حضرتك أعتقد هو أحسن دلوقتي وقدامه شوية ويفوق

- طيب ومين اللي عمل فيه كده؟

- معرفش، هما بيقولوا لاقوه مضروب وعربيته متكسرة وغالبا اللي عمل كده حرامية بدافع السرقة

وبدا أن عليهم تصديق ذلك، كون أن كل ما كان معه قد تم سرقته بالفعل

وصل أيمن وبرفقته أحد الضباط وما إن رآه فاروق حتى اتجه ناحيته وتجاورا وتحدثا حتى وصلا أمام غرفة سعد وعندها سأل الضابط: يا ترى فاق ولا لسة؟

فردت غادة: أعتقد قدامه شوية ويفوق

قرر محيي عندها أن يتركهم ويتجه لغرفة دكتور عبدالراضي للاطمئنان على سعد وبطريقه استوقفه أن لبنى ليست هنا وهذا يعني أنهم انشغلوا ولم يخبرها أحد فقرر أن يتصل بها ولكنه استغرب حين وجد أن هاتفها الخلوي وهاتف منزلها كليهما مغلق فأرجأ إخبارها لوقت لاحق

عندها كان رياض بشرفة منزله يدخن سجائره بعصبية، لقد انتظر حتى غادر أبناؤه لمدرستهم ولكنه إلى الآن لا يدري من أين يبدأ

نادت هي باسمه فانزعج ومن بعدها أكملت: الفطار جاهز

وحين التفت ليراها كانت قد أولته ظهرها عائدة للمطبخ وقد قررت تشغيل هاتفها ومع التفاتتها وجدته فشهقت فكان تعقيبه بتوعد: خضيتك؟

تنفست بانتظام وردت: أبدا، بس....

لم تكمل فقط تطلعت لعينيه ثم سألت: في إيه يا رياض، من إمبارح وأنا مش فاهمة أي حاجة، رجعت فجأة وظهرت قدامي أنا وسعد فجأة، طول الليل منمتش زي ما تكون بتغلي، في حاجة عايز تقولها لكن....

وبعد لحظة صمت أعادت سؤالها: في إيه؟

وطريقتها فرضت عليه الغيظ، تدعي البراءة وأنها لا تعرف شيئا، جذبها من ذراعها وخرجا من المطبخ وعلى أقرب أريكة دفعها بقوة فهتفت بحدة: حصل إيه يا رياض لكل تصرفاتك دي؟

- لسة بتسألي، لسة بتسألي وكأنك مش فاهمة ولا عارفة

- أنا فعلا مش فاهمة حاجة، واعتقد مهما كان ممكن نتناقش بهدوء وعقل

ـ عقل، أنتِ خليتِ فيا عقل
وزعيقه كاد يصم أذنيها، بحياتها كلها لم ترَ زوجها على هذا الحال أبدا، هو دوما الرجل ذو الوجه الجليدي، هو دوما الشخص القادر على السيطرة على كافة تصرفاته ببالغ الهدوء والرزانة، هو العاقل بكل ما تحمله الكلمة من معنى ومضمون، لكنها الآن أمام شخص آخر لا تعرفه أو ربما هي بالأساس لا تعرفه
جذبها من كلتا ذراعيها وأوقفها أمامه، تطلع لها فكادت تموت رعبا من نظرة أطلت من عينين بياضهما أقرب للحمرة من فرط سهره ليالي دون نوم لكنها لم تبدُ لها كذلك، بدت نظرة تنبئ باقتراب النهاية ولكن أية نهاية؟
"من إمتى، من كام سنة، وكام مرة، وهنا ولا هناك، على سريره ولا على سريري، في أوضته ولا أوضتنا"
وهالها ما سمعت فجاهدت نفسها أن تفهم لكن عقلها حرفيا توقف، ماذا يعني بأسئلته؟
ومن المقصود؟
بل كيف له أن يفكر فيها بتلك الطريقة بعد كل ما عانته في غربته؟
عاد رياض؟
أحقا عاد من أجل اتهامها بالخيانة؟
من أجل إقرار أن كل تضحيتها كانت سُدى ودون جدوى؟
"انطقي"
"أنطق إيه أنت أكيد اتجننت، أنت مستحيل تكون طبيعي أبدا، أوضة إيه وسرير إيه يا رياض، أنت بتشك فيا، بعد كل السنين دي بتشك فيا، ومين ده أصلا"

كانت تزعق أو بالأحرى تهذي، ما هذا الجنون؟
- مش عارفة مين، اللي كنت معاه في الفندق، اللي نفسه الدنيا كلها وأولهم رياض يعرف إنكم بتحبوا بعض
- أنت أكيد اتجننت، أكيد اتجننت
- لما ألاقي مراتي وابن عمى مع بعض كده منتظرة مني عقل
زلزلتها حدة الصوت وما صدمها بحق كان ما فهمته
"سعد"
وانتفض جسدها وبكت بقهر، ارتجف صوتها وتهدج بنطق الاسم
"سعد"
أتلك هى مكافأة امرأة تحملت وصبرت من أجل بيته وأطفاله، وكانت ولا تزال الأم والأب
"دي آخرتها يا رياض، دي آخرتها، خاينة ومع سعد، أنت أزاي تسمح لنفسك تتهمني باتهام زي ده، أزاي تسمح لنفسك تظن فيا الظن ده"
وما قررته أنها لن تظهر الضعف بل بالغ كبريائها لأنها على يقين من أنها لم تخطئ ولن تسمح له أن يضعها بهكذا وضع
"وهو إيه المنتظر منك غير الإنكار، يا بجاحتك يا شيخة بعد ما شوفتكم بعيني وأنتم خارجين من الفندق، وبعد ما....
ولم يكمل ولن يضعف لدموع التماسيح التى لونت عينيها ولن يصدق تلك القوة الواهية، هو على يقين أنها ستتنكر لكن بالنهاية ستعترف بفجورها وسقوطها
"يمكن محتاجة تشوفي اللي شوفته، ولو عندك الشجاعة تدافعي عن نفسك دافعي"

أمسك هاتفه وفتح الفيديو الذي يخصها ووضعه أمام وجهها وزعق: شوفي
وما رأته فرض على عقلها فهم مجريات الأمور، بسذاجتها ظنت أن الفيديو سينتهي بصفعتها على وجه سعد لتتفاجأ بإنهائه بطريقة مشينة تفيد بأنها كانت على عتبات التجاوب لمجريات اللحظة
"كدب"
هتفت بها وهي تمسك بالهاتف وتعيد تشغيله وتدقق النظر وهي تهتف: الفيديو ده له باقي، صدقني صدقني له باقي
أعادت تشغيله وهي تهتف: كدب كدب
"حصل ولا محصلش"
زعيق قاسٍ تبعته جذبة لذراعها فرضت عليها الصراخ: دي مش الحقيقة
- حصل ولا محصلش
- مش دي الحقيقة والله العظيم ما دي الحقيقة
- طبعا مش دي الحقيقة، عارفة ليه، عشان الحقيقة محدش صورها
- كدب
- الحقيقة كملت في أوضة سعد
- لا
- الحقيقة أقذر من إني أشوفها، أقذر من إن حد يشوفها
- لا لا لا
قالتها وهي تمسك بذراعه تريد منه التوقف فدفعها لتسقط على الأريكة مرة أخرى وقد نظر لها باحتقار

ثم قذف هاتفه بجوارها وهتف: أنتم الاتنين تستحقوا القتل، بس الموت رحمة ماتستاهلوهاش

- لازم تديني فرصة أشرحلك....

تركها واتجه لغرفة نومه ليدوي هاتفها عندها وقبل أن تتجه للرد جلبه هو ونظر للمتصل ليجده محيي

فعقب في نفسه هازئا، يبدو أن المهتمين بزوجتك كُثر، أشار لها لترد ثم عقب: افتحي الاسبيكر

وجاورها ليسمع

- أيوة يا محيي

- فينك يا لبنى، اتصلت بيكِ كتير كان موبايلك مقفول، والأرضي مش بيرد، أنتِ والولاد كويسين

- أيوة، خير

- عرفتي اللي حصل لسعد، أعتقد حاولوا يكلموكِ ومعرفوش يوصلولك، عموما هو فاق الحمد لله والظابط عنده بياخد أقواله دلوقتي

وبصوت مرتعش أجابت: ماله سعد؟

- حرامية طلعوا عليه كسروا عربيته وأخد رصاصة في رجله، البلد بقى حالها صعب قوي

هل هذا هو رد فعل رياض تجاه سعد، رياض هو من فعل هذا بابن عمه؟

- ألو ألو

شردت دون رد في غير تصديق منها أن رياض الذي لطالما أحب سعد أكثر من نفسه سعى لإيذائه إلى هذا الحد، صُفع عندها باب

شقتها فانتفضت لتدرك بعدها أن رياض قد غادر المنزل ولكن إلى أين؟

لا تعلم ولم تعد تدري أي جنون هذا الذي فُرض عليها عنوة

كان يسرد ما حدث بينما الضابط يكتب خلفه: كانوا ملثمين، مشوفتش ملامح أي واحد فيهم

- فاكر عددهم؟

- تقريبا اتنين أو تلاتة، مش فاكر بالظبط

- في أي حاجة تانية تحب تضيفها؟

- لا

وعندها نظر الظابط لفاروق وسأل: في حد معين ممكن يكون ورا اللي حصل؟

والإجابة كانت من إكرام التى كانت تجاور أخاها: احتمال مش مستبعد، أصلا عمى اتعرض لحادثة في آخر شهر مارس اللي فات، وارد اللي حصل يكون مدبر

والتعقيب من أيمن تعارض مع كلماتها: مش شرط يكون في رابط بين حادثة بابا وحادثة سعد، حادثة سعد كان غرضها السرقة، بطلجية طلعوا عليه وأخدوا اللي معاه ولو مكانش قاوم مكانوش عملوله حاجة

- أنا متفق مع أيمن

قالها سعد بإعياء ثم أردف: أنا مش باتهم حد، هما فعلا بلطجية كان غرضهم السرقة

وجملته فرضت على إكرام الضيق وقد نظرت لأيمن ثم زفرت ثم لعمها الذي التزم الصمت ثم أشاحت بوجهها وعندها عقب فاروق:
احتمال إنها تكون مدبرة وارد، لكن حاليا مفيش حد معين ممكن نوجه له الاتهام
وأنهى الضابط المحضر وعندها قرر أيمن وفاروق أن يغادرا برفقته بينما ظلت إكرام وكريمة إلى جوار سعد والذي نظر لإكرام وعقب:
مالوش لزوم نوسع الموضوع يا إكرام
هتفت بحنق: وحياتك اللي كانت هتروح هدر دي يا سعد
- أنتِ مكبرة الموضوع وبعدين أنا خلاص بقيت كويس
ثم نظر لكريمة وأكمل: طنط كريمة، أرجوكِ خدي إكرام وروحوا، أنا أصلا محتاج أرتاح
ربتت على كتفه ثم مسحت على رأسه وردت: مينفعش نمشي ونسيبك وأنت في الحالة دي يا سعد
- لو بتدوروا على راحتى فعلا، يبقي خدي إكرام وروحوا
والتعقيب من إكرام التى زاد ضيقها: حتى لو كلهم مشيوا يا سعد أنا مش همشي
زفر بضيق فهتفت: يا سعد....
فقاطعتها كريمة: خلاص يا إكرام، طالما ده اللي هيريح سعد ونبقى نرجع بالليل
وما إن وقفت كريمة حتى أمسك بيدها وقال: طنط كريمة، اوعي تزعلي مني مهما حصل
- أنا عمري ما أزعل منك يا سعد، مهما حصل، ربنا وحده يعلم أنت غلاوتك من غلاوة رياض يا سعد ويمكن أكتر

وقالت جملتها وودعته وغادرت برفقة إكرام وعندها أراح رأسه إلى الخلف وشرد في زعيق رياض بالأمس وهو يصفعه
"أنت، أنت يا سعد"
قطعه من شروده طرق باب غرفته ومع إجابته دخلت واقتربت منه ثم سألت: عامل إيه دلوقتي يا سعد؟
- أحسن، الحمد لله
تبعتها إحدى العاملات بالطعام المخصص له وقد وضعته أمامه ثم استأذنتهما وخرجت وعندها عقبت غادة: مالكش حق تخلي إكرام وطنط كريمة يروحوا
ثم سحبت أحد المقاعد وجلست بجواره ثم أردفت: على فكرة إكرام قبل ما تمشي عدت عليا في المعمل وطلبت مني أخلي بالي منك لو احتاجت لحاجة، وماكانش هاين عليها تمشي وكانت متضايقة
- على الأقل طنط كريمة ترتاح، لأني متأكد إنها مش هتسيب إكرام لوحدها
- طيب هتعرف تاكل لوحدك ولا أساعدك
- مش للدرجة، أنا الجرح في رجلي
وقال جملته وقد استوقفه اهتمامها ففرض عليه الابتسام وعندها ابتسمت وردت: طيب أنا هرجع المعمل ولو احتجت لأي حاجة ابعتلي أي حد وأنا هجيلك على طول
وقامت من مكانها وكادت تخرج وعندها استوقفها نداؤه
- غادة
- أيوة يا سعد

- أنا محتاج أعمل مكالمة ضروري، ومش هينفع من الأوضة لأني هتكلم موبايل

وعادت ناحيته ومدت يدها بهاتفها وعقبت: اتفضل

- أنا مش قصدي أنا....

- مفيش فرق يا سعد، اتكلم وخد راحتك يا سيدي أنا معايا باقة

مد يده وأخذ هاتفها بامتنان وعندها اتجهت ناحية الباب وعقبت قبل خروجها: عايزة أرجع ألاقيك خلصت الأكل و........ والمكالمة

وما إن خرجت حتى زفرت وقد كادت من فرط غيظها أن تصفع الباب خلفها وهي تقسم

"والله لو مات كل فرد من عائلة الدويري ما كان هذا ليكفيها أبدا"

ومسحت وجهها وقررت الهدوء وقد اتجهت للمعمل وعندها كان السؤال من محيي لها: سعد أحسن دلوقتي؟

- آه الحمد لله

قالتها بضيق وقد شردت متسائلة، تُرى إلى من سيتحدث، لا يهم لأن المكالمة سيتم تسجيلها

ظلت تنظر لشاشة هاتفها تائهة، لا تدري صدقا هل عليها أن تجيب

وبعد تردد ضغطت ليأتيها صوته: لبنى

فلم تشعر إلا بالمزيد من الخوف وهي تتهجى اسمه: سعد

ولم تملك بعدها القدرة على النطق بدا له انهيارها من نبرة صوتها وأيقن أن ثورة رياض التى اجتاحته بالأمس بالتأكيد اجتاحتها ولم يملك إلا أن يسأل: أنتِ كويسة؟

والرد كان بكاء زاد من ألمه حتى استطاعت النطق فقالت: لا

- أنا آسف يا لبنى على اللي حصل
- وتفتكر الأسف دلوقتي هينفع، رياض فاكر إننا خوناه، لا رياض مش فاكر رياض متأكد
زاد بكاؤها حد النحيب ثم أردفت: محدش هيدفع تمن تهورك غيري أنا، رياض عمره ما هيصدق الحقيقة، وأنا لو مكانه أزاي هاصدق إن كل صورة شايفها بعينيه كدب وإن حقيقة مشوشة وتايهة
- آسف والله آآس .....
- ماعادش أسفك له قيمة يا سعد، كان نفسي زي ما نصحت إياد إنه في لحظة اندفاع مشاعره يفتكر ريناد إن أنت كمان تفتكر إكرام
- غصب عني والله غصب عني، اللي جوايا كان أقوى مني
صمتت ولم تجبه فكان على يقين بأن دموعها لن تجف بعد ما فعله وعندها أردف: أنا هشرح لرياض، هعرفه الحقيقة
- وإيه هي الحقيقة يا سعد، أنا نفسي مابقيتش عارفة إيه هي الحقيقة، كفاية بقى يا سعد، كفاية لحد كده
- لبنى....
ولم يأته أي رد ليدرك أنها قد أنهت المكالمة، فسعى للاتصال مرة أخرى ولكنها أغلقت هاتفها فزفر بشدة
طرقت إحدى الممرضات بابه ومع دخولها لإعطائه دواءه طلب منها أن تعيد لغادة هاتفها ثم شدد على كونه لا يريد أي زيارات لأنه بحاجة للراحة، وما إن خرجت شرد في كل ما آلت إليه الأمور من الأمس لليوم.

لا يدري ما الذي دفعه للمجيء للمشفى، بالتأكيد هو لا يريد أن يطمئن عليه، لكن كون أحدهم قد هاجمه بعد رحيله وأطلق عليه الرصاص فهذا يبدو لرياض غير منطقي، هل ثمة من كان يراقبهما؟ وصل عند غرفته وسأل الممرضة فأجابته بأنه لن يستطيع الدخول فلم يملك إلا الرحيل، اتجه ناحية المصعد وضغط زر استدعائه ووقف ينتظر مجيئه شاردا، لا ترى عيناه إلا صورة واحدة باتت هي المسيطرة على عقله، لبنى وهي تخرج من غرفتها بفيلا الدويري وتمشي على أطراف أصابعها حتى تصل إلى غرفة سعد الذي يفتح بابه ليجذبها من ذراعها ويغلق الباب بهدوء، وخلف الباب من هو ليقاوم؟

فستان أحمر قانٍ

والضحكة إغواء

والصوت إغراء

"هيت لك"

"تعالي.... إلى قلب يتوق لرؤياك"

"أحبك يا سعد"

"أحبك يا لبنى"

"رياض"

وصوت أيمن انتشله من شروده حين هتف عاليا في غير تصديق لوجوده وهو يكمل: أنت رجعت إمتى؟!

سعى أن يبدو بحالة أفضل وهو يرد: إمبارح

وعندها عقب أيمن باستياء: ومن قبل ما أي حد يعرف جيت جري تشوف سعد، سعد أهم مننا كلنا كالعادة

زفر بضيق فأردف أيمن عندها: خلاص ماتضايقش، أنا بس استغربت إنك حتى مابلغتناش في التليفون بوصولك، عموما حمدا لله على سلامتك

قالها وبدا أنه سيتجه لغرفة سعد وعندها استوقفه رياض معقبا: نايم ومفيش زيارات دلوقتي، نبقى نرجعله وقت تاني

قالها ثم دخل المصعد وقد سأل أخاه: جاي؟

جاوره أيمن وقد شعر بشيء غريب حيال رؤيته، مظهره ووجهه وملابسه وليقطع شكوكه قال: شكلك مرهق قوي، أنت كويس؟

أومأ برأسه إيجابا ولم يرد فسأله: جاي معايا فيلا الدويري؟

- ماشي

واتجها إلى سيارة أيمن وركباها، وطوال الطريق آثر رياض الصمت ولم يسأل أو يعقب أو حتى يحاول الاطمئنان على سعد، هل هو الحزن على رفيق العمر؟

ولم يسع أيمن لسؤاله ليقينه أن أخاه لن يخبره بخبايا نفسه فهو لم يحظ يوما بمكانة سعد عنده، لذا قرر أن يصمت بدوره حتى وصلا إلى منزلهما وما إن دخل برفقة أيمن حتى هتفت إكرام بفرحة: أبيه رياض

ثم نادت بأعلى صوتها لتسمع كريمة: أبيه رياض رجع يا طنط كريمة "رياض"

قالتها كريمة وقد خرجت من غرفتها راكضة حد أنها كادت تنكفئ على وجهها وهي تنزل الدرج، وما إن رأته حتى فتحت ذراعيها لتحتضنه بلهفة فرضت على أيمن أن يشيح بوجهه بعيدا عنهما، ثم أمطرت وجهه بقبلاتها وقد أبدت بالغ سعادتها بقدومه فلم يملك أيمن

إلا أن يغادر وهو على يقين أنها لن تلاحظ ذلك، وما إن عاد لسيارته حتى زفر بكل ما يملك من غضب

عاد رياض؟

وما الفارق بين وجوده وغيابه؟

الفارق كبير جدا

فأيمن على يقين من شيء واحد، لو أن رياض لم يختر السفر لكانت معاملة كريمة ستكون يوما ما دافعا كافيا لقتله أخاه كونه لم يكره بحياته شخصا بقدر ما كرهه

كان فاروق قد عاد لتوه حين وجد رياض وبدا واضحا أنه لم يتفاجأ بوجوده

"عايزك"

قالها واتجه لمكتبه وعندها شعر رياض بالقلق ولم تفهم كريمة السبب، منذ متى يطلب فاروق الحوار مع رياض؟

اتجه خلفه وعندها أمره: اقفل الباب وتعالى عايزك

اتجه ناحية المكتب الذي يتوسط الغرفة وجلس بالمقعد المقابل لفاروق وعندها كان السؤال من فاروق: رجعت مصر إمتى؟

- إمبارح

- وجيبت المسدس منين؟

هاله ما قاله فسأل: مسدس إيه؟

- اللي ضربت بيه سعد

ساد الصمت وعندها قام فاروق من مكانه ودار حول ابنه ثم اقترب منه هامسا: مش اللي ناوي يتخانق مع ابن عمه لدرجة إنه يضربه بالرصاص يراعي أنه مايسيبش وراه دليل يكشفه، تقدر تقولي التحقيقات ممكن تمشي أزاي بعد ما اسمك جه في القضية؟

- أنا مش فاهم حضرتك بتتكلم عن إيه
"رياض"
هتف بها فاروق بحدة وقد تطلع له بغضب وعندها أشاح رياض بوجهه فعقب فاروق مستفسرا: إيه اللي خلاك عملت في سعد كده، إيه اكتشفت إنه بيخونك مع لبنى؟
والصدمة فرضت على رياض الوقوف بمكانه لظنه أن فاروق على دراية بالأمر وعندها رد: أنت كنت عارف؟
- أنت متخيل حاجة تحصل جوه بيت فاروق الدويري ومعرفهاش؟
زفر رياض بشدة من فرط شعوره بالغيظ كونه على يقين من شماتة والده فيه وما زاد حنقه تلك الابتسامة اللي لونت وجه والده وهو يقول: إيه بقى اللي حصل بعد ما روحت الفندق ولاقيتهم خارجين مع بعض؟
تطلع له وقبل أن يسأل فهم تساؤله فأجابه: التحقيقات استعانت بالكاميرات الموجودة على مدخل الفندق وطبعا حضرتك وسعد ولبنى متصورين
وحين فهم رد بشكل قاطع: أنا معرفش مين اللي ضرب سعد بالرصاص، أنا مكنش معايا مسدس، أنا وسعد اتخانقنا لكن بعدها سيبته ومشيت ومعرفش إيه اللي حصل
"رياض"
- قولتلك معرفش حاجة عنه من بعد ما سيبته، ويا ريت بلاش نتكلم في الموضوع ده
- يعني إيه؟
ريبة تملكت ملامح فاروق فرضت على رياض الإيضاح:

أنا مش عايز حضرتك تدخل في الموضوع ده، ده موضوعي مع لبنى وسعد وأنا هنهيه بطريقتي
- ناوي تعمل إيه؟ أظن من حقي أعرف بدل ما تعمل مصيبة ومانعرفش نلمها، كله من تحت رأس بنت مختار، لكن أرجع وأقول أنا اللي غلطت يوم ما دخلت بنت الراجل ده بيتنا
علا الاستغراب ملامح رياض وعندها تطلع لوالده فعقب: مكنش المفروض استنى لما لبنى تدمر عيلتي
ثم التفت لابنه وقال بنبرة أبوية زادت من استغراب رياض: أنا متأكد إنها هي اللي غوت ابن عمك لحد ما حبها، سعد مستحيل يخونك يا رياض، سعد طول عمره أكتر من أخوك،أنا هعرف شغلي مع اللي اسمها لبنى أنا....
"بابا"
قالها بحدة ثم حدد: أنا قلت لحضرتك ده موضوعي وأنا اللي هحله بطريقتي
ثم قرر المغادرة وما إن وصل عند الباب حتى التفت لوالده وقال: يا ريت محدش يعرف حاجة عن الموضوع ده، أرجوك مش عايز حد يعرف أي حاجة
قالها وخرج وهو لا يدري هل سيستجيب والده لطلبه؟

هل مر الأمس وأقبل الصباح؟
تقلب في سريره بإعياء شاعرا بانقباض صدره وصعوبة أنفاسه بينما الصداع يكاد يفتك برأسه؛ فمن شدته عجز عن النوم، وكيف له

أن ينام وكلما أغمض عينيه كانت صورة الغانية تتجلى بالأفق وضحكاتها وهي ترافق الرجال الرجل تلو الرجل
فلم يملك إلا أن يمسك برأسه عله يخفف من حدة ألمه لكن على ما يبدو أن منبع آلامه أعمق من رأسه
فرك عنقه وصدره لعل أنفاسه تنتظم وحين اشتد عجزه نزل عن سريره مقررا تدخين سيجارة بالشرفة إذ من الممكن أن يمنحه الهواء بعض الراحة
كان يعلم أن أبناءه قد غادروا لمدرستهم لكنه لم يلمح لبنى ولا يعرف هل استغلت نومه وخرجت
كان لا يظن ذلك كونه لم يكن نائما إلى هذا الحد ولأنها لم تكن بالمطبخ أو أي مكان آخر قرر أن يتصل بهاتفها
ليفاجأ برنينه إلى جواره وعندها ظهرت أمامه وقد خرجت من غرفة أطفالها متجهة لهاتفها وحين وجدت رقمه التفتت لتسأله: كان في حاجة؟
- بحسبك خرجتي
قالها ثم أشعل سيجارة وبدأ ينفث دخانها بغيظ فعقبت: على الأقل افطر الأول
- من إيدك؟
قالها هازئا فقررت عندها أن تقف قبالته وتقول:إحنا محتاجين نتكلم بهدوء وأنا هشرحلك كل حاجة
- تفتكري في راجل ممكن يسمح لنفسه يقعد ويسمع مغامرات مراته ويتفهم أسباب خيانتها
- رياض

قالتها باستجداء عله يمنحها فرصة لكنه أكمل سيجارته ثم اتجه ناحية الأريكة المقابلة لها وجلس وبعد لحظات من الصمت جاهد نفسه ليتحدث بهدوء فقال: اسمعي يا لبنى، إحنا فعلا محتاجين نتكلم بهدوء بس مش في اللي فات، إحنا هنتكلم في اللي جاي
تطلعت لوجهه بقلق ثم جلست بالمقعد المقابل له ولشدة خوفها لم تملك ردا فأردف: بعد اللي حصل إحنا مش هينفع نكمل مع بعض، وطول ما أنتِ قدامي، أنا مش قادر أنسى اللي حصل، الوضع لو استمر كده وأنا أعصابي بتتحرق مش بعيد أرتكب جريمة بجد
دعس سيجارته الأولى ثم فرك وجهه وأشعل الثانية وعندها سألته وقد شحب وجهها: أنت فعلا ضربت سعد بالرصاص؟
تطلع لها بغضب هل تسأله هو عن عشيقها؟
وإن كانت تلك هي ظنونها به، فأهلا ومرحبا
عاد رياض من السعودية ومعه مسدس لقتل ابن عمه وزوجته!
- قصدي.... أنت عملت كده؟
زفر دخان سيجارته وسألها: خايفة؟
ولن تنكر ملامحها ما دار بخلدها، هي ما عادت تعرف من هو هذا الذي من المفترض أن تجمعها به أقدس رابطة على الأرض، لكن وفق الأوراق وحدها هو زوجها
ولأنها لم ترد قام من مكانه حتى وقف أمامها، جذبها من ذراعها لتستقيم أمامه وعندها عقب: لو كنت ناوي على قتلكم ماكنتش واجهتكم، كنت خططت لده من غير ما حد يعرف بوجودي، بس أنتم ماتستاهلوش أوسخ إيدي بدمكم، ثم إن الموت راحة، والراحة خسارة فيكم

ابتعد عنها وقد أولاها ظهره وعندها أكمل: أنا عارف إن سعد نفسه الطلاق يتم على أساس يتجوزك مش كده، وأنا مستعد
"رياض"
قالتها وقد سعت لأن تقترب منه لكنه أبعدها عنه وعقب: صدقيني أنتم أولى ببعض، أنتم الاتنين أحقر من بعض
"طيب اديني فرصة"
- أنتِ اخترتِ يا لبنى
- لا يا رياض أنت كده بتظلمني
- ما أنا طول عمري مظلوم مستحقش مرة من نفسي أكون ظالم؟
- حرام عليك يا رياض
قالتها بترجٍ وقد بكت وقد توسلته أن يمنحها فرصة واحدة كي تدافع عن نفسها لكن هيهات فقد فات أوان الفرص، وعندها تبادلا النظرات وقد خيم الصمت عليهما
أهي النهاية إذا وأنا الضحية وحدي؟
بل الضحايا كُثر
وعلى رأس القائمة ضمير مبني على الوهم في محل جر الجميع لهوة سيسقط فيها الكل رغما عنه
ضمير؟
عن أي ضمير تتكلم؟
عن ذلك النابض بالعجز كون الحقائق تلاشت واضمحلت
"رياض"
"لمي هدومك وامشي، عايز الولاد يرجعوا مايلاقوكيش"
- يعني إيه، أنت...أنت ناوي.... لا يا رياض، لا

- أنت متخيلة إني ممكن أسيبهوملك تربيهم، متخيلة إنى ممكن أئتمنك عليهم
- إلا ولادي يا رياض، أنت فاهم إلا ولادي
وظهرت الحدة بصوتها تريد أن تستأسد طالما الأمر سيطال أبناءها
- عايز تطلقني، أنا كمان مستعدة، لكن تاخد ولادي مني على جثتي، وعمري ما هسمحلك، تعرف إيه عنهم عشان تاخدهم وتبعدهم عني؟
- أعرف إني أبوهم وإن ده حقي
- لا يا سي رياض، مش بعد ما سيبت مسؤوليتهم جاي دلوقتي تفتكر إنهم ولادك، الولاد ولادي أنا وأنا الأولى بيهم، أنا اللي ربيتهم لحد ما كبروا، أنا اللي كنت الأم والأب وأنت غايب ولا بتسأل
- عايزاني أسيبهوملك عشان يبقوا زيك
"رياض"
صرخت فيه بحدة امتزجت بدموعها وعندها تملكه غضبه فصرخ فيها وقد توعد: عايزة تحتفظي بالولاد ماشي، بس في الحالة دي أنا هخليهم يعرفوا أمهم على حقيقتها، هخليهم يشوفوا أمهم وهي في حضن أونكل سعد، ومش هما بس، الكل يا لبنى، أهلي وأهلك، وتبقى فضيحة وبعدها برضو هطلقك وبرضو هخدهم، بالقانون والمحاكم وأنا مش هاحتاج أوكل محامي شاطر، شكلك نسيتٌ أنا أبقى مين
"أنا ابن فاروق الدويري"
هوت إلى أقرب مقعد وعندها اقترب ليهمس بأذنها: من حقك تختاري تحبي ننهي حياتنا أزاي، وزي ما هتختاري هنفذ
وفي خضم التيه أتراها تدرك اختيارها؟
اختيار!

أي اختيار وهي تختار بأي بطريقة تموت أسرع
"لبنى أخيرا هتختار بعد ما كانت طول عمرها مجبرة ومرغمة"
ويالها من لحظة استثنائية بحياتها، أخيرا ستختار ابنة مختار،ولكنها كما العادة عاجزة، هذه المرة عليها أن تخسر
إما أطفالها أو عِرضها؟
- ها، نويتي على إيه؟
ولم تملك إلا البكاء بنحيب وقد قررت التوسل بكل انهيار حل بها:
بلاش الولاد يكونوا طرف، طلق بس بلاش الولاد يكونوا طرف في مشاكلنا، أبوس إيدك يا رياض
أولاها ظهره وقد أشعل سيجارته الثالثة ثم نظر لها بضيق وأجاب:
أنتِ اللي عايزاهم طرف يا لبنى، أنا عايز الأمور تتم بهدوء وأنتِ اللي مصرة تحتفظي بحاجة ماعادش ليكِ حق فيها
- طب.... حتى....يعدوا....امتحاناتهم، حرام عليك يا رياض
أغمض عينه ثم زفر وأجاب بفراغ صبر: ماشي يا لبنى، بس بمجرد ما الشهر ده يعدي تلمي هدومك وتمشي، وأنا هشوف أي مكان أقعد فيه لأني مش ممكن أكون معاكٌ تحت سقف واحد بعد انهاردة
زاد نحيبها وعندها وقف أمامها لينهي كلامه قائلا: كده مبقاش فاضل غير حاجة واحدة
- هو لسة فاضل حاجة يا رياض بعد كل اللي عملته؟
وبثبات وبهدوء تنفس ثم نظر لها ثم عقب: أيوة....أنتِ طالق يا لبنى

(11)

تطلع لصورتها بقلق فملامح وجهها بريئة إلى حد كبير، والدته تقول أنها موافقة وليس لديها أي مانع من الزواج به، ولن ينكر أن موافقتها استوقفته، لطالما رأى نفسه رجل لا يملك ميزة واحدة تدفع امرأة لترضى به كزوج لها والآن ثمة فتاة جميلة تصغره بست سنوات موافقة وسعيدة وتنتظره؟

أتاه اتصال كريمة بنهاية يومه لتحكي له عن لبنى مرة أخرى مطالبة إياه أن يتصل بها ويتحدث إليها ليكسر بعض الحواجز بينهما وكانت أول مكالمة، ولن ينساها أبدا، كان يتلعثم ويصمت، ألح عليه سؤال؛

لماذا قبلتِ بي؟

ولكنه لم يسأله

ــ أزيك

ـ أزيك أنت يا باشمهندس رياض

ساد الصمت وهو يتأمل الصوت، ثم قطعه هو بقول: ممكن تقوليلي رياض عادي

لكنها لم تستطع وهو لم يعد طلبه، مرت الدقائق بين صمت وأسئلة رسمية وإجابات اعتيادية وانطباع بغربة هي وحدها ستكون العنوان لحياتهما.

تلقفته الذكريات وهو يطالع نفس الصورة وهو جالس بسيارته، تلك التي غادر بها الأمس من فيلا الدويري، ظل يجوب الشوارع بها منذ أن جمع ملابسه وقرر ترك المنزل لها حتى تنتهي فترة اختبارات أبنائه، ليجد نفسه بالنهاية يقف أمام المشفى الموجود به سعد يراقب

خروجه برفقة عائلته كما أخبرته كريمة وقد ركبوا سيارة فاروق متجهين بالتأكيد للمنزل.
أرخى رأسه للخلف وشرد وأول ما فكر به كان أبناءه؛ هل سيستطيع حقا أن يمر بهم تلك الأزمة دون خسارتهم، نظر لصورتها التى لا تزال في يده ثم مزقها ورماها عبر النافذة وهو يزفر ثم مسح وجهه بيده، مقررا التفكير بروية فيما عليه فعله الآن وأول سؤال طرق بعقله كان؛ هل عليه أن يبحث عن طبيب نفسي مرة أخرى؟؟
وذكرى تلك الخطوة تزيد من إيلامه؛ المزيد من المهدئات، بجوار سرد ما منى نفسه أن يُدفن في عقله حد المحو من ذاكرته وكأنه لم يكن ولكن إن لم يفعل كيف عندها سيتعامل مع أبنائه؟؟؟؟؟؟
فرك وجهه من فرط الحيرة ثم أشعل سيجارة وقد زفر دخانها بشدة، وصلته رسالة من "كرم"
زميله الوحيد الذي استطاع أن يكون معه صداقة عبر السنوات التي مرت في الغربة، ليخبره بعودته
ولن ينكر أن رسالته قد أشعرته ببعض راحة كونه عاد بوقته ولكن هل من الممكن أن يحكي لأي أحد عن فجيعته في زوجته وابن عمه؟

وصلوا للفيلا وصعدوا لغرفة سعد، بدا واضحا أن أيمن قد خرج وما إن اعتدل سعد بفراشه حتى وضعت إكرام وسادة خلف ظهره ليستريح في جلسته وعندها كان التعقيب من كريمة: تعرف يا سعد في حتة مفاجأة لو عرفتها هتخف على طول
وإكرام من تابعت: رياض رجع

بهت وجهه بينما كريمة تكمل: أنا هتصل بيه وأقوله أننا في البيت ده هيفرح قوي

"كريمة"

والنداء من فاروق بحدة فرض عليها التوقف فالتفتت له فكان تعليقه بهدوء: سيبي سعد يرتاح دلوقتي

زفرت بضيق دون رد بينما نظر فاروق لإكرام وأكمل: خدي أنتِ كريمة وروحوا المطبخ حضرولنا الغدا، شهاب يمكن يجي يتغدى معانا

وتبادلتا النظر وقد فهمت إكرام أنه يريد خروجهما من الغرفة فكان جوابها: حاضر

وما إن خرجتا حتى وقف فاروق يطالع سعد بغيظ ثم جلس على المقعد المجاور لسريره وقال بهدوء: أنا سامعك

ساد الصمت فتبادلا النظر، شحب وجه سعد وقد زاغ بصره وعندها عقد فاروق ذراعيه أمام صدره وأردف: عندك حاجة تقولها؟

رد بمراوغة: أنا مش..... فاهم.....حضرتك تقصد إيه

"سعد"

نداء محتد مصحوب بنظرة حادة فرض عليه أن ينكس رأسه، قابله هو بصمت لم يملك غيره وهو يطالع وجه عمه بقلق بانتظار صفعة أو لكمة لكن بعد عدة ثوان فاجأه بربتة على كتفه وتعقيب صدمه: يمكن متصدقنيش لو قلتلك إنى متفهم موقفك، بس دي الحقيقة، أي راجل مكانك كان هيضعف

ذُهل مما سمعه بينما فاروق أكمل: واحد بيساعد واحدة وبيروحلها بيتها وهي طبعا بتستقبله على سنجة عشرة، برفان ولبس ومكياج،

ما هي محرومة وعايزة اللي يعوضها، وأنت لو صدتها مرة واتنين أكيد هتضعف في الآخر، أنت في النهاية راجل حتى لو هي أكبر منك
طالعه مشدوها وقد ارتسمت على ملامح وجهه الصدمة وعندها تابع: مفيش راجل وست بيجتمعوا إلا والشيطان تالتهم فما بالك لو كانت الست هي الشيطان نفسه، تفتكر ساعتها هتكون في نتيجة تانية
وبدا أن سعد سيرد فاستوقفه بنظرة فرضت عليه التراجع ثم سأله محتد: تفتكر ينفع يكون في سيناريو تاني يا سعد؟
قالها وقد اقترب منه حتى أن الفاصل بين وجهيهما كان لا يتعدى سنتيميترات قليلة ثم بجوار أذنه قال: في مشاكل مينفعش نعمل فيها أبطال يا سعد، وفي مشكلة زي دي يا إما براءتك يا إما برائتها
ـ رياض لو عرف أنه سوء تفاهم يمكن يغير موقفه، يمكن....
ـ يمكن إيه يا سعد، أنت متخيل إن لو راجل حس بالشك في مراته هيقدر يعيش معاها
ـ يبقى يعرف أن لبنى بريئة وإن..........
ـ أنت مجنون!
وكليهما احتد لدرجة فرضت على فاروق نقطة نظام وقد حاول تنظيم أنفاسه ورد: تفتكر كلامك ده ممكن يصدقه رياض، أنت لما تدافع عنها هتأكد التهمة عليها، هيتأكد ساعتها أنك بتقول كده محبة وإن مش دي الحقيقة، وبدل ما رياض يخسر مراته وبس هيخسر كمان ابن عمه وعد بقى الفضايح
فرك سعد كفيه بقلق فربت فاروق على كتفه وأكمل: ممكن تعتبرني المحامي بتاعك وتسيبلي القضية دي

ودون انتظار لرد سعد تركه وخرج ليؤكد على نفسه أولا أن ما ينويه قد حُسم وحتى لا يتسنى لابن أخيه معارضته.

مر اليوم رغم بطئه

وحل الليل ولكن دون سكونه، ولا شيء يوازي داخلها المضطرب بضجيج كل ما حدث وسؤال واحد يئن بعقلها؛ ما هو الخطأ الذي اقترفته ليكون هذا هو المصير المنتظر؟؟

ولم تملك لتهون عليها إلا سجدة طويلة محملة بدموع قلبها، لو استمرت على هذا المنوال ستموت من فرط بكائها

أنهت صلاتها ولم تستطع القيام من مكانها فركنت إلى الحائط المجاور لها وقد أسندت رأسها إليه وخرجت التمتمة من بين شفتيها بمرارة متسائلة بتيه أقرب للجنون من شدة تفكيرها

"طيب أنا عملت إيه بس يا ربي، أنت شاهد عليا، أنا حتى لما حسيت إني هضعف اتراجعت"

"ماما"

صوت إياد انتشلها من حالتها بينما تلاشى ظلام الغرفة شيئا فشيئا كونه كان يفتح باب غرفتها ليطمئن عليها.

جثى على ركبتيه وجاورها وسأل: ماما في حاجة حصلت، هو أنتِ وبابا متخانقين

مسحت دموعها واعتدلت لترد: لا يا حبيبي مفيش حاجة

ـ هو أنا المفروض أشوف حضرتك كده وأصدق، يا ماما احنا مبقيناش صغيرين عشان تعملي معانا كده، في إيه

سؤال خرج برجاء ممزوج بقلق، هو يشعر بها ولن يكذب إحساسه، هو يعرفها أيضا بقدر ما تعرفه، نبرة صوتها حين تحاول التظاهر بأن كل شيء على ما يرام كعادتها بينما قلبها يخفي الكثير
"ماما عشان خاطري قولي مالك"
"طيب فين بابا"
"طيب إيه اللي حصل"
تنفست بهدوء رغم صعوبة التقاط أنفاسها وترجت من عقلها ترتيب جملة منظمة وبمشقة جاء ردها: مفيش حاجة يا إياد، أنا بس زعلت إن بابا طلع عنده شغل واضطر يمشي
ـ هو سافر تاني
ولسؤاله لم تكن تملك إجابة فهي لا تعرف ولا تريد لكذباتها المزيد من الفجاجة فلو عاد أو هاتفهم بمَ ستجيبه عندها؟؟
ربتت على كتفه في محاولة واضحة لتغير محور حوارهما وقالت: ممكن الفترة دي نركز في الامتحانات عشان نفضل محافظين على ترتيبنا على الفصل
وأمام إصرارها على الكتمان زفر بفراغ صبر ولم يملك إلا إيماءة رأسه وهو يرد: حاضر
والعودة محملا بخيبة الأمل إلى غرفته وقد انزوى في فراشه وظل يتقلب يمينا ويسارا وقد شعر باختناق، فند كل المواقف بعقله سريعا وعلى رأسها عودة والده دون سابق إنذار، تجنب والدته لسعد، وبكاء والدته المستمر
هل تشاجرا؟
هل قرر تركهم؟؟

وهل كان يوما إلى جوارهم؟؟؟
هل علم بأمر الحساب المزيف؟
ربما هذا هو سبب الشجار؟؟
بل ربما هو نفسه ومشكلته مع أروى كانت هي سبب الخلاف، بالتأكيد اتهم والدته بالتقصير
والفكرة وحدها فرضت عليه أن يزفر بشدة وعندها عقب زياد: لسه صاحي
التفت ناحية سرير أخيه الأصغر ورد: مش جايلي نوم
ـ ماما لسة بتعيط
ــ لسه
وعلى صوتهما جاءت ريناد وجاورت إياد بسريره وعندها ترك زياد سريره وجلس بجوارهما وقال بتوتر: أنا خايف من الراجل ده، هو هيجي تاني
لكزته ريناد في كتفه وردت: عيب لما تقول كده على بابا
ثم نظرت لإياد وسألت: قالتلك حاجة
زفر بشدة ورد: بتقول متضايقة عشان عنده شغل
ـ شغل أزاي يعني وهو أصلا شغال بره
ـ طيب هو هيمشي أمتى؟
وما بين تعقيب ريناد وسؤال زياد كانت إجابة إياد: أنا متأكد أنهم اتخانقوا ومتأكد كمان أنه أكيد بسببنا إحنا
ـ تفتكر؟؟
وحيرتهم فرضت عليها المزيد من الأسى، أبناءها لم يناموا بعد، شعرت بهم ولكنها لم تجرؤ على مشاركتهم

انزوت بغرفتها وظلت هكذا على حالها وعدة أيام مرت ليأتي اليوم الأول لامتحانات زياد لتستيقظ على رسالة من رياض مفادها
"أعتقد انهاردة أول يوم لزياد، يا ريت متنسيش اتفاقنا"
أرسلها وفرك بين عينيه وقد قرر القيام من مكانه والوقوف بالشرفة لمطالعة البحر، فلولا رسالة كرم ما كان ليحدد وجهته، عدة أيام بالاسكندرية حتى عودة كرم اليوم، متحججا لكريمة ببعض أعمال عليه إنهائها، متفاديا أيضا أي كلام مع سعد رغم شدة استغراب والدته لكافة تصرفاته بل وتصرفات زوجته!!!
رسالة فرضت على لبنى تنغيص يومها ورغم ذلك تجلدت بدأت في تحضير حقيبة زياد وما إن انتهت حتى اتجهت له لتساعده على الانتهاء من ارتداء ملابسه وقد تعمدت تفادي النظر لوجهه وعندها لم يملك زياد إلا الاقتراب منها ليضع قبلة على خدها وهو يسألها:
أنت زعلانة مني؟
ولو زاد كلمة واحدة ستنهار وتصرخ وتقتل رياض وسعد لو تمكنت منهما، لأنها وحدها من سيدفع الثمن وتحرم من أطفالها
حوطت وجه ابنها بكفيها وقالت بابتسامة ذابلة: لا يا حبيبي أنا بس تعبانة شوية
ثم مسحت وجهه وأردفت: فاكر الدعاء اللي قولتلك تقوله قبل الامتحان
ـ اه، إياد خلاني حفظته، اللهم لا سهلا إلا ما جعلته سهلا، أنا شاطر
زادت ابتسامتها وهي تجيبه: اه يا حبيبي أنت شاطر
ولم تملك إلا احتضانه وقد ودعته وهي تتابع عبر الشرفة ركوبه لحافلته المدرسية وما إن غاب عن بصرها حتى أدركت حقيقة

واحدة؛ هي لن تستطيع أبدا الاستمرار في اتفاقها مع رياض مهما كان الثمن، هي لن تتنازل عن أبنائها حتى لو كان الثمن فضيحة قالتها في نفسها واتجهت للهاتف بتردد، وفي نفسها يقين ـ هي لم تخطئ ـ هي بريئة و على أتم استعداد للمواجهة مهما كانت النتائج وعندها اتصلت بليلى لتطلب منها أن يتقابلا بمنزل والدتها لأمر بالغ الأهمية.

وما بين اللقاء والفراق.....حياة

لن يستشعرها إلا من اعتاد الغياب، وصل المطار مبكرا وظل بمكانه يطالع المودعين بدموع والعائدين بفرحة وشرد معهم فيما اعتاد دوما فقدانه

"المشاعر"

أحقا مر من عمره كل ما مر دون أن يجد من يحبهم ويبادلونه تلك المشاعر

ألم يكن سعد استثناءه ومنه أتت أشد طعنة، لكن بعيدا عن سعد ماذا عن البقية، والده والدته و............ وأبنائه

وعلى ذكرى أبنائه التفت ناحية طفل لفت انتباهه من فرط تحركه وما إن رآه حتى عرفه؛ إنه ابن كرم

بل ولمح إلى جواره من ظن أنها بالتأكيد زوجته وبدا واضحا أنها بدورها تنتظر بلهفة انعكست على طرقها المستمر بقدمها في الأرض والنظر باستمرار لساعة يدها، وما فعلته فرض عليه النظر في ساعته بدوره ليقول في نفسه أنه بالتأكيد قد حان موعد وصوله وما إن التفت حتى لمحه فنظر ناحية أسرته رغما عنه يراقب تصرفاتهم

وما إن رأته زوجته حتى ركضت وصغيرها بأقصى سرعة لتجد من ذراعيه الاحتواء والضم ومشهد استوقف الجميع لرجل وامرأة وصغيرهما وقد توحدوا

فلم يملك رياض إلا أن يشيح بوجهه وقد استشعر نغزة آلمت صدره عاد صديقه العاطفي وفعل ما كان يظنه مزاح حين قاله

"أنا بس ألمحهم وربنا لأخدهم كلهم حضن مطارات"

عاد المشاغب وبدأ شغبه بمجرد وصوله للمطار، وحرارة عودته فرضت على رجل الثلج الأسى، عليه أن يعترف بأن لبنى لم تحظ يوما بلحظة لهفة كتلك، بل ولا حتى صغاره، فما الذي كان يتوقعه، هو لم يمنح يوما، هو.......

"يا ابن الدويري"

وكان الهتاف من كرم الذي اقترب منه واحتضنه قائلا: وحشتني يا ابن الناس الأغنيا

ـ أنت كمان وحشتني يا كرم، حمد لله ع السلامة

قالها وهو يعانق صديقه دون حرارة رغم شعوره بالفرحة لكن بالنهاية كرم سيتفهمه

قرب والده ليعرفه عليه ويصافحه وقد ربت بذراعه على كتف والده كي يستند عليه ومن ثم والدته ليبدو لرياض أن ثمة معنى آخر لكلمة أسرة هنا

"محظوظ يا كرم"

"تلك النعمة التى قد لا يقدرها كُثر"

"عائلة تعرف الألفة وبينها مودة ورحمة"

تماسك كي لا تترقرق عيناه بدمعة، وابتسم بفتور ليجد كرم يجذبه من ذراعه مبتعدا عنهم قليلا ليسأله عن حاله، فقد بدا واضحا من ملامح وجهه أن هناك مشكلة

تنهد بشدة ثم عقب بعدها: بعدين يا كرم، أنا أكيد هقعد معاك لإني محتاج أتكلم مع حد، وفي نفس الوقت محتاج أسكت لأن الكلام بيتعب وأنا........

ولم يكمل وزفر فعقب كرم: للدرجة دي

ـ سيبك مني دلوقتي هنقعد وهنتكلم بس بعدين

سردت باكية بأنين مظلومة تحكي مرارة وجعها، كلمات كلمات كانت تخرج من شفتيها دون ترتيب، هي فقط تفرغ الثقل الجاثم على صدرها وما إن وصلت لكلمة

"طلقني"

حتى تلاشت كل العبرات وانتهت الكلمات لتجد أن الدعم المنتظر من والدتها صفعة هوت على وجهها عنوة فرضت على لمياء أن تشهق وعلى ليلى أن تهتف: ليه كده

ـ الله يخرب بيتك جبتلنا العار، أنا من يوم ما خلفتك وأنتِ حارقة دمي، يا شماتة الناس فينا، الناس هيقولوا إيه، تيسير معرفتش تربي وأخرتها بنتها تطلق وكمان بفضيحة

وجملتها الأخيرة قالتها وقد أمسكت بملابسها لتهز جسدها بقوة وهي تزعق فيها: سعد يا لبنى، سعد، يا دي الفضايح يا دي الفضايح، يا ريت كان ربنا خدك من وشي قبل يوم زي ده

"أنا مظلومة والله العظيم مظلومة"

صرخت بها ولكن لمن؟
فتيسير لا يعنيها إلا الشكل الاجتماعي لبيوت بناتها دون النظر لما فيها، لذا هي لن يشغلها تفاصيل القصة ولا أبعادها وكل ما يعنيها هو عودة الأمور لنصابها وكما كانت
هتفت بعصبية: أنا مش هسكت وليا كلام مع فاروق وكريمة، بنات الناس مش لعبة، ورياض لازم يرجعك ورجله فوق رقبته
تماسكت لتجيب محتدة: أنا مش عايزة أرجع أنا عايزة ولادي
ـ أنت تخرسي خالص، وسيبيني أنا هتصرف معاهم، وحسك عينك تنطقي بكلمة، فاهمة
كفكفت دموعها وردت: ماشي، المهم الولاد يفضلوا معايا
ولم تنتظر تيسير وتوجهت لغرفتها لتبدل ملابسها بينما نظرت ليلى للبنى وانهيارها وقد فرضت حالتها عليها الخوف من الطلاق فجأة!!
لم تفكر يوما بأنها قد تتعرض لموقف كهذا، أو ربما هي لا تظن أبدا أن محيي من الممكن أن يتصرف بتلك الطريقة
"محيي طيب"
تعقيب من كثرة ما قيل فرض عليها أن تظنه معدوم الشخصية، هو يشبة والدها ولهذا السبب تحديدا هي لم تستطع يوما أن تحبه
تركتهما لمياء واتجهت للمطبخ لتعد كوب من عصير الليمون لأختها وعادت به وقد جاورتها لتعطيها إياه، تناولته منها بيد مرتعشة ثم نظرت لها بقلق، هل تأثرت صورتها بعين أختها الصغرى؟
ـ أنا والله العظيم مظلومة
قالتها ثم نظرت لليلى وأردفت: صدقوني والله

وعندها خرجت تيسير من غرفتها ووجهت كلامها للبنى بحسم: روحي على بيتك، وأنا هتصرف

قالتها وخرجت باتجاه فيلا فاروق الدويري بينما رافقت ليلى لبنى لإيصالها إلى منزلها وما إن وقفت السيارة أمام منزل لبنى حتى سألتها: تحبي أطلع معاكِ

ـ لا

ربتت على كتفها وردت: طيب حاولي تهدي، وإن شاء الله الأمور تتصلح

أراحت رأسها للخلف وقد نظرت للفراغ ثم ردت: أنا مش صعبان عليا غير ولادي يا ليلى

ـ هيجرالهم إيه يعني، ما كل العيال بتتربى، بكرة يكبروا ويتلهوا في حياتهم ولا يسألوا، اجمدي أنتِ وكل ده هيعدي

ـ لو عدى اللي جاي من غيرهم يبقى ملوش قيمة، عارفة يعني إيه يكبروا بعيد عنك بدل ما يكبروا في حضنك، أنت مش هتحسي بيا عشان ولادك في حضنك

بكت رغما عنها ثم أردفت: إحساس صعب قوي والله، ربنا ما يكتبه على حد

مسحت دموعها بمحرمة ورقية ثم عقبت: روحي أنتِ لولادك يا ليلى، وادعيلي أرجوكِ ادعيلي

ـ ربنا معاكِ

غادرت السيارة لتكمل ليلى طريقها متجهة لبيتها وطيف صورة لبنى لا يفارق عقلها، وما إن وصلت حتى وجدت أبناءها كل واحد منهما منزويا بغرفته ومحيي لم يعد من العمل، اتجهت للمطبخ لتجده

مقلوبا رأسا على عقب فزفرت وعادت أدراجها لتبديل ملابسها والشروع في إعداد وجبة غداء وهي تجاهد نفسها ألا تستوقفها كلمات لبنى لكن رغما عنها كانت تفكر بكل ما قالته أختها

"أنت مش هتحسي بيا عشان ولادك في حضنك"

عاد محيي, بدل ملابسه ثم انزوى بغرفة مكتبه دون كلمة واحدة، وعندها استغربت من نفسها كونها شعرت بالضيق من تصرفه، زفرت وقد انتهت من إعداد الطعام فقررت التوجه لغرفة فارس وطرق الباب لإبلاغه، لكنها تفاجأت حين وجدت الغرفة فارغة فطرقت باب غرفة فريدة وسألتها عنه ليصدمها ردها بكونها لا تعرف، انتابها القلق ولكنها طمأنت نفسها أنه بالتأكيد خرج ليجلب شيء وسيعود، خرج محيي من مكتبه وحين نظر لهما استوقفه قلقهما فسأل، أخبرته فريدة

فتناول هاتفه ليتصل به، ليتفاجأ بالرنين؛ فهاتف ابنه بغرفته.

إلى متى ستستمر على فضولك يا ابن محيي؟

وبلحظة كتلك بالتأكيد بات فضول الفضولي أضعاف، فكلما فتح كتابا سعيا للمذاكرة تذكر "محمد حبيب" وما يفعله لينال والدته، فيزداد شعوره بالخوف من أن يستميلها بكلماته، بينما والده ....

هل عليه أن يخبره؟

عله يستفيق ويفتح عينيه ويرى ما يحدث ببقية الغرف عوضا عما يفعله بغرفة مكتبه.

جاهد نفسه أن يحفظ عدة أبيات شعرية ولكنه فشل، ظل يطالع حاسوبه المغلق وهو يقاوم وبشدة فتحه وبنهاية الأمر فعل، بحث

فوجد رسالة جديدة لوالدته، وبين القلق من انكشاف أمره والخوف مما بها غلب تردده وقرأها

"دي آخر رواية كتبتها هتنزل المعرض الجاي، أنت أول حد هيقراها، يهمني رأيك جدا يا ليلى، يا رب تعجبك "

قام بتحميلها وبدأ بقراءتها وقد خفق قلبه بوجل فقط لظنه أنه يحث والدته أن تصير هي نفسها بطلة روايته

فأحداث الرواية تساق في إطار زوجة تكره زوجها وتتذكر حبها الماضي ولكن صراعها يكمن في "تخلف مجتمعها" الذي لن يتفهم معنى "العشق"

وشغفه، ذلك الشعور الذي يستحق منك التضحية بكل ما تملك فقط كي تحياه، ولأن البطلة قوية حسمت أمرها وقابلت حبيبها بشقته ليجمعهما لقاء حميمي جارف وصفه الكاتب بدقة متناهية من البداية للنهاية وحين عادت لبيتها لم تشعر وهي تطالع زوجها وأولادها بأي وخز بضميرها أتدري لماذا؟

لأن للحب سمو سيجعل تلك العلاقة رغم أنف كافة الجميع مقدسة، بل وأقوى من أي رابط مقدس، ولقاء تلو اللقاء ووصف تلو الوصف مع بالغ الإشادة لكونها تحررت من قيود مجتمعها البائس ومع انتصار حبها، اختارت الطلاق من زوجها ورفضت عرض الزواج من حبيبها

لأن أيقنت أن رابطهما المقدس أنقى وأطهر من أعراف ومفاهيم يشوبها ضيق الأفق لذا ستختار بملء إرادتها الحرة أن تظل عشيقة إلى الأبد.

"يا ابن الـ ...."

وضع مكان النقاط ما شئت من سباب لاذع راح يصرخ به فارس وقد دفن وجهه بكفيه بكل انهيار وهذه المرة اختار أن يبكي من شدة اختناقه اتجه إلى سريره وارتمى عليه وظل يبكي حتى النحيب

خائف؟؟

نعم، أشعر ببالغ الخوف منها وعليها!!

تكرهها؟؟

نعم، أكرهها..........بل لا ....

وضع يده على فمه ليسكت صوته، لكن داخله لن يسكت لا أحد يختار عائلته، هي قدرك يا فارس

"قدر لن تستطيع الهروب منه ولا كراهيته، وستعجز أيضا عن محبته"

كفكف دموعه وهدأ وبدأ يفكر فيما يمكنه فعله؟ هل بإمكانه أن يفعل شيئا يفرض على أهل هذا المنزل الزلزلة؟

هم بحاجة إلى كارثة، تدفعهم دفعا لرؤية ما آل إليه حالهم" وردة "كارثة"

ولم يكن بحاجة لمشاهدة أفلامه لأن عقله استرجع مشاهد الرواية التي قرأها لتوه، وكانت وردة هي بطلته

ألا يستحق الأمر المجازفة؟

وحسم التردد كونه لن يعجز عن تدبير النقود لجلب هدية وإقناعها بذات الجملة الساحرة القادرة على الفتك بقلب أي فتاة "الحب"

سلسلة من الفضة عليها الحرف الأول من اسمها بالإنجليزية "w"

وقد وقف على مقربة من البناية التي يسكن بها ليراقب وردة، عدة ثوانٍ وخرجت لتجلب بعض طلبات السكان كعادتها فظل بمكانه حتى عادت وما إن دخلت إلى البناية حتى رافقها وركب معها المصعد، شعر بخوفها منه وعندها سألها بلطف: طالعة الدور الكام يا وردة أحست بالاستغراب من طريقته الودودة وردت: السادس ضغط الزر الخاص بالطابق الذي ستصعد إليه دون الطابق خاصته ثم سأل: ممكن أتكلم معاكِ كلمتين قبل ما تنزلي اضطربت من طلبه وقبل أن ترد توقف المصعد فأردف: وصلي الطلبات وأنا مستنيكِ
قالها وانتظر حتى عادت ففاجئها بالضغط على زر الطابق الأخير وهو يقول: هنتكلم بس على السطوح عشان محدش يشوفنا وبعدين انزلي
قالها وفتح الباب ليجدها بمكانها دون أن تتحرك فهتف: وردة
ـ أنا لازم أنزل..........مش هينفع ....
قالتها بتردد فأمسك يدها يجذبها منها لتخرج معه وقد تعمد إظهار بالغ المودة وأغلق باب المصعد خلفهما ونظر لها وعقب: خلينا نتكلم من غير ما نعلق الأسانسير، ممكن
زاد خوفها من ظنها أنه ينوي ضربها أو الزعيق بها لكنه حين فهم سألها: وردة أنتِ خايفة مني
بفراغ صبر ردت: عايز إيه يا فارس
بتودد رد: متخافيش مني، كلمتين وهننزل
ـ قولهم طيب
ـ مش هينفع هنا

قالها وتقدمها صاعدا للسطح وهو يدرك أنها بتأكيد ستصعد خلفه وفعلت

وما إن وقف أمامها حتى اقترب منها وقال: عارفة، ساعات الواحد ممكن يعامل حد وحش بس ده مش بيكون بسبب أنه بيكرهه

ـ مش فاهمة

اقترب أكثر ثم نظر لعينيها وردة: أنا مش عارف أنام من يوم ما زعلتك، وزعلان من نفسي قوي إن دايما بعاملك وحش، فقلت أقولك آسف، وأوعدك مش هزعلك تاني يا وردة

وكلامه أشعرها بسعادة من نوع خاص، ابن الدكتور محيي يعتذر لها، وأخيرا ارتقى أحدهم وشعر بها كإنسان وتعامل معها دون إشعارها بالدونية، فرحة فرضت عليها أن تبتسم وترد: خلاص محصلش حاجة

ابتسم وعقب: يعني صافية يا لبن

ـ حليب يا قشطة

وكلاهما ضحك وظنت أن الأمر انتهى وكادت تلتفت للنزول ولكنه استوقفها ممسكا يدها ليزيد قربها منه وهو يؤكد: بس مش ده اللي أنا كنت عايز اتكلم معاكِ فيه

ارتبكت واحمر وجهها لشدة اقترابه وعندها أخرج من جيبه علبة صغيرة من القطيفة حمراء وقال: ممكن تفتحيها

باستغراب وتردد أمسكت بها وفتحتها لتجد السلسلة الفضية وقبل النطق باغتها: يمكن متصدقيش اللي هاقوله، بس دي بجد مشاعري اللي نفسي تعرفيها

وحين قبضت بيدها على هديته أمسك بكلتا ذراعيها لتخرج من بين شفتيه جملته بحرارة
"وردة.........أنا بحبك"
ومن هي لتقاوم فيض مشاعر اجتاحها ورفعها لأعلى مراتب لحظات حياتها، تكريم حد نيل قلب ابن الطبيب المرموق وفي خضم ذهولها كان عليه إدماغ ملكية اللحظة، وفعل بقبلة وضعها على خدها الأيمن فما كان منها وهي تضع يدها فوقها مصدومة إلا الهروب من أمامه بسرعة وقد فرضت طريقتها عليه الضحك، المخبولة صدقت تمثيليته وهل يوجد فتاة لا تصدق تلك الكلمة؟
عاد للمنزل ليجد والده والدته وأخته في قمة توترهم ليسأل عندها محيي بزعيق: كنت فين يا أستاذ
ببرود أجابه: نزلت أجيب حاجة وجيت
فبادرت ليلى هاتفة: واللي يخرج ده مش يقول خارج
ضحك بتبجح ثم علق: ده على أساس إني لما باتصل بتردوا، مش أغلب الوقت الموبايلات بتكون مقفولة عشان الشغل
تبادلت ليلى مع محيي النظر، ففارس تحديدا يتعامل معهما بمنتهى البرود وأحيانا السخرية، تلك التى طالت ليلى الآن حين قالت: بعد كده عرفنا أنت فين على الأقل، ودلوقتي اغسل إيدك ويلا عشان نتغدى
ــ إيه ده إحنا عندنا غدا
طريقة فرضت على محيي الرد: أظن عيب لما تكلمني أنا وماما بالأسلوب ده
ـ سوري، وعامة أنا أكلت لإني متوقعتش يكون في أكل

ثم اتجه لغرفته صافعا بابها في وجوههم دون انتظار لردهم.

جلس بالغرفة التى بها شاشة التلفاز الكبيرة وقد وضع أمامه عدة أكياس تحوي مقرمشات وعدة علب تحوي مشروبات غازية وجلس يتابع إحدى مباريات فريقه المفضل

"ريـال مدريد"

وكعادته تناسى الجميع وكان في قمة انفعالاته وهو يهتف تارة

"شوط شوط شوط"

ويشتم الأخرى

"غبببببيييي"

وطريقته استفزت إكرام فتوجهت إليه وقد عقدت ذراعيها أمام صدرها وهتفت بضيق: أظن عيب قوي أما يبقى سعد تعبان وأنت مشغل التلفزيون عالي كده ولا في دماغك إنه محتاج يرتاح

سحب أحد أكياس المقرمشات وتناول منها غير عابئ بوجودها ثم رشف من علبة المشروب الغازي ولم يرد، زاد غيظها منه فقررت إثارة حفيظته فقالت ساخرة: اااااه، أنا نسيت إن رياض رجع، وأنك بتتلوي لما تشوفه

"إكرام"

قالها بنبرة محذرة ليفرض عليها الصمت ثم زفر وبدا بعدها ساخرا وهو يعقب: هو مش بقى كويس، وحبيبه رجع عشان يطمن عليه، ممكن أعرف إيه المطلوب مني في الليلة دي

ـ وهو مش سعد ابن عمك برضو

تبادلا عندها النظر وكأنه يريدها أن تجيب هي عن سؤالها ولأنها فهمت أشاحت وجهها وعندها عقب ساخرا: باصي بقى باصي يخرب بيتك

علا رنين جرس الفيلا فتركته وتوجهت لتفتح لتجدها تيسير وقبل أي كلمات سألت بشكل مباشر عن كريمة ثم توجهت للصالون، بدت على غير عادتها مضطربة تفرك يديها من فرط الغيظ، نادت إكرام كريمة فتوجهت لتقابلها ولم تنس بطريقها أن ترمق أيمن بغيظ، ليضحك هو هازئا على نظرتها فقط ليزيد شعورها بالغيظ

وما إن دخلت لتيسير حتى استقبلتها بثورة عارمة فرضت على أيمن الموجود بالغرفة المجاورة وإكرام الموجودة بالمطبخ أن يتوجها كليهما لذات الغرفة وقد استوقفهما ما سمعا

"طلاق"

كررها أيمن فبرقت عينا كريمة بغضب لوجوده وعندها هو من سأل: مين اللي طلق يا طنط تيسير ؟

ـ أخوك يا أيمن، رجع من السفر حامي قوي دخل في لبنى شمال وطلقها

ـ ليه ؟

هتفت بها إكرام وقد اضطربت ملامحها فترددت تيسير في قول السبب فردت: سوء تفاهم، بس كده مينفعش، أنا بنتي ميتعملش معاها كده يا كريمة

وجملتها استوقفت من أتى لتوه ليجدهم مجتمعين بغرفة الصالون وكأن على رؤوسهم الطير فسأل: حصل حاجة

وكاد أيمن يبادر بالرد ولكن نظرة كريمة النارية له فرضت عليه التراجع وعندها حدق بتيسير والتى قالت بحدة: ممكن نتكلم مع بعض يا فاروق
تنحنح ثم نظر باتجاه كريمة ثم رد: طيب تعالي نتكلم في المكتب
ثم أشار لإكرام مطالبا إياها بفنجان قهوته لتخلو الغرفة من الجميع عادا أيمن وكريمة وعندها أشاحت بوجهها عنه لا تريد أن ترى بعينيه نظرة شماتة
فاقترب هو منها وقد أسند ذراعه على ظهر المقعد الذي جلست عليه ثم همس بجوار أذنها: الخوف بقى إن يطلع سعد له دخل في اللي حصل ده، ويكون هو السبب في طلاق رياض ولبنى
ثم تابع جملته بابتسامة تشفي وهو يكمل: يا خسارة تربيتك يا كريمة، يا خسارة
قالها وخرج ليؤكد لها بجملته أنه شامت لا محالة

بينما بالغرفة التى جمعت فاروق وتيسير كان الهتاف
ـ دي أخرتها يا فاروق، هي دي أخرتها، عايز تبيع بنتي
ـ هوووووووووش، ممكن تسكتي وتسمعيني
ـ بعد ما طلقها، وأنا اللي ساعدتك للآخر تجنبا للفضايح تقوم تحطني أنا وبنتي فيها
زفر ببالغ غيظه ورد: تيسير اهدي وخلينا نعرف نتكلم بهدوء
ـ بعد إيه، اسمع يا ابن الدويري، أنا مش جايالك أترجاك، أنا جاية أعرفك، ابعد عيالنا عن أي تخليص حق، واللي بينك وبين مختار

انتهى، ولو فكرت للحظة أنك تخلي لبنى كبش فدا، فأنا ساعتها اللي هأقفلك

وكلماتها فرضت عليه النظر لها بغيظ وهو يرد: وإيه كمان يا تيسير ـ كفاية كده، عشان لو نويت الغدر أنا أول واحدة هتقلب في الدفاتر القديمة

قالتها واتجهت للخروج فاستوقفها بزعيق حاد مفاده: مش فاروق الدويري اللي يتهدد، ولو على الدفاتر القديمة وفتحها أنا مستعد، بس اعملي حسابك ساعتها، إن أول سؤال بأول صفحة هيبقى مختار مات قضاء وقدر ولا حادثة؟؟؟

ولو حادثة فيا ترى مين اللي دبرها؟؟؟

(12)

أحقا يسأل؟ وكأنه لا يعرف!!

وكأنه لم يكن هو من خطط ودبر حد التخلص من رجل اعتبره صديق عمره، وكل ذلك كان من أجل لحظة ندم طوقت مختار قال فيها صراحةً

"أنه يريد الموت على توبة"

المسكين ظن أن الأمر هينا، ظن أنه لو نوى أن يصلي ركعتين سيكون فاروق إمامه بل وسيدعو له راجيا أن يتقبل الله منه

"مغفل"

راح يطلب العون من الشيطان ليساعده فكانت نعم المساعدة، حين دفع بنشوى في طريقه حتى سقط تائها بين يديها، وجاءه يرجوه أن يستره من فضيحة قد تدمر ما بقى من سمعته فارتدى عندها ثوب البراءة وربت على كتفه قائلا: احنا أخوات وأنا مش ممكن أتخلى عن أخويا أبدا

ولو حادثة فيا ترى مين اللي دبرها؟؟؟

وكأنها كانت بحاجة لتذكيرها، حين هتف بها ليفرض عليها أن تتراجع عن أي شيء قد تفعله بتهور

"لبنى المذنبة"

وإن قالها فاروق فهي لا يملك بعدها أحد أقوالا أخرى وعلى المتضرر أن يلجأ لأقرب حائط ويضرب رأسه ولن يعبأ فاروق لجرحه أو ألمه

وها هي تبكي لظنها أنها باتت في مأزق، فلبنى ستخرج من بيت الدويري بطلاق وفضيحة وهي ستضع بفمها نعلا قديما بل هي لا تملك إلا أن تردد كلام فاروق وتهتف في ابنتها حينما جمعهم منزلها بقسوة وحدة: أنتِ السبب، أنتِ اللي فتحتي الباب لسعد وخلتيه يحس أنك سهلة، كنتِ منتظرة منه إيه ومن رياض ومننا، أنك تلاقي اللي يعذرك، أو يدافع عنك، تبقي بتحلمي ولازم تفوقي وتعرفي إن سعد أول واحد هيدور على اللي تصون اسمه.

كانت تصدح خطبتها العصماء بإباء، كانت تعلم أنها لو أظهرت موقفها بتردد سيعتري بناتها الشك، هن اعتدنها تعنف من يخطئ بتلك القسوة

ومن هنا تتحقق المعادلة لو أن لبنى على حق لكانت وجدت من يقف إلى جوارها

ساد الصمت، صمت أبدي، لم تعلق لا ليلى ولا لمياء، لم يعد هناك تعليق يليق بطعنات والدتها، ودون قصد التفتت خلفها للحظة ثم عادت بنظرها توجه كلامها لتيسير باستغراب امتزج بلوعة: أنا..أنتِ كنتِ بتكلميني أنا

ضحكت ساخرة وقد فرت من عينيها دمعة، حركت رأسها بتشويش ثم رفعت كلتا ذراعيها لتتساءل وهي تنظر لثلاثتهن: هو الكلام ده ليا أنا، يعني أنتم صدقتوهم

"لبنى اهدي"

قالتها ليلى وقد أمسكت بكتفيها فدفعتها هاتفة: أهدى إيه، دي بتقولك سهلة، أنا سهلة، أنا.........أنا

"أكيد ماما متقصدش"

هتفت بها لمياء فأكدت تيسير بكبر: أنا قاصدة كل كلمة قلتها يا بنات مختار
تبادلا بعدها النظر، نظرة مشوشة ما بين عتاب وتحدٍ ولكن من من؟ والدتي؟؟
- أنا عمري ما كنت خاينة أنا أتظلمت وأنتِ أول واحدة كان لازم تحسي بكده
ولم تنتظر لتسمع المزيد سحبت حقيبتها ورحلت فقررت ليلى اللحاق بها
بينما نظرت لمياء لوالدتها وقد شعرت بخيبة الأمل، فأشاحت تيسير وجهها بكبرياء وتوجهت لغرفتها وأغلقت بابها
بينما جلست لمياء بغرفتها تبكي، كانت تشعر بأن الأمر قد حسم ضد لبنى وكلمة السر
"فاروق يعلم بفضائح أبيها وربما ابتز والدتها فلم تملك إلا هذا الموقف حيال ابنتها المظلومة"

تلك اللحظة
التي تُغلق فيها كل الأبواب أمامك ليدخل الإحباط فيها إليك ويجتاحك، كل الطرق سدت، والخيار بات فرض عين
عليها التضحية بأبنائها
محت دموعها وقد اتخذت قرارها
"كفى يا ابن الدويري"

كان شاردا في البحر وقد اختار لنفسه مكان ابتعد فيه عن كرم وأسرته ليختلي بنفسه، جاهد عينيه قدر المستطاع ألا تكشف مراقبته المستمرة لتصرفات كرم مع ابنه وزوجته

تنهد بأسى وعندها فاجأه اتصالها لتقول بحدة وحسم ما ظنت أنه سيدعم موقفها، لن تخرج من بيتها، لن تترك أولادها ولن تخشى أحد بعد الآن، وإن استمروا ستختفي بأطفالها ولن يعلم أحد بمكانهم، لقد خسرت كل شيء فلم يعد هناك ما هو أكثر، ولم تنتظر ردا أغلقت الهاتف وأخذت نفسا عميقا ثم تمتمت بضعف وخوف: يا رب

بالكاد حاول تمالك أعصابه وهو يجمع ملابسه بعصبية، وهيئته حين غادر الشاطئ فرضت على كرم أن يلحق به، طرق باب غرفته بالفندق وحين فتح له الباب سأله؛ عما حدث، فصمت ولم يجيبه واتجه لأقرب مقعد وجلس، حاول أن يهدئ وعندها أردف كرم: التليفون اللي جالك ده فيه حاجة ضايقتك

ظل على صمته فهتف كرم بغيظ: يا رياض بطل طريقتك دي، يا أخي فضفض وبطل تشيل في نفسك عشان أنت اللي هتتعب لوحدك

لانت ملامحه ومع إصرار كرم قرر أن يحكي، على الأقل سيشعر أنه قد شارك أحدهم أوجاعه، لكنه لم يجرؤ أن يسرد الحقيقة كاملة

- أنت متأكد فعلا أنها خانتك، رياض النقطة دي بالذات......

قاطعه وأجاب بحسم: شوفتهم وهما نازلين من الفندق اللي اتقابلوا فيه، ده غير إن اللي بعت الرسالة قال أنهم متعودين يتقابلوا في أكتر من مكان

دار حوله ثم عقب: طيب وأنت واثق في اللي بيبعت ده، ما يمكن حد بيكرهك وقاصد يخرب بيتك
- باقولك شوفتهم بعيني وسمعتهم، كان بيقولها نفسي الدنيا كلها تعرف أننا بنحب بعض وأولهم رياض
ذهل كرم ما سمع وعندها عقب بحسم: أنت كنت قتلته وبعدين قتلتها
- وولادي يتفضحوا لا يا كرم تغور هي في ستين داهية، أنا اللي يهمني ولادي دلوقتي
ربت على كتفه وقد شعر ببالغ الألم الذي يحياه، وشعر بالدماء تغلى بعروقه من فرط غيظه من زوجته الحقيرة وعندها تابع رياض:
المشكلة إن الهانم بتتحداني، بعد ما طلقتها مصرة تفضل في الشقة وتأخد الولاد، واللي عندك اعمله
زاد غيظ كرم منها فعقب: النوع ده بجح، تلاقيها حست أنك مش عايز فضايح قالت تلوي دراعك، دي مينفعش معها الذوق والأدب، لازم معها تبقى بارد وتنح وقليل الأدب كمان
زاد استغراب رياض ولم يفهمه فوضع يده على كتفه وأردف: أنا هقولك تعمل إيه، وساعتها مش هتسيبلك الشقة والولاد دي يمكن تسيبلك الدنيا كلها.

صباح اليوم التالي
وقف يهندم حاله أمام المرآة كونه سيعود اليوم إلى عمله بعدما تعافى، شرد مفكرا في كلام فاروق له وعندها انزوت ابتسامة هازئة على شفتيه سرعان ما اختفت ما إن تذكر لبنى وخفق قلبه بصدق لأجلها، الحقيقة الوحيدة في خضم كل هذا التشويش أنه يحبها،

يحبها لدرجة أنه بات يفكر بسيناريو آخر مفاده الخلاص من رياض لو تمكن من ذلك؟
وما إن فكر حتى زاد شروده؛ هل بات يكره قدوته؟ من رباه وعلمه وكان معه بمثابة الأخ والصديق قبل أن يكون ابن عمه؟
والاجابة بدت نعم، يكرهه بقدر حبه لزوجته
غادر غرفته مقررا تفادي الجميع وعلى رأسهم بالتأكيد كريمة لكن فاروق لم يتركه ناده قبل خروجه فالتفت فأشار له أن يأتيه لغرفة مكتبه وما إن جمعتهما الغرفة حتى سأله
"نويت على إيه"
تنهد بأسى ثم طالع عمه بريبة ثم أخفض رأسه دون إجابة، ساد الصمت حتى قطعه فاروق فعقب: ها يا سعد
فجاءته الإجابة التى كان يرجوها بالضبط: اللي حضرتك شايفه صح يا عمي اعمله

أغلقت باب سيارتها بعصبية ثم اتجهت للمشفى، منذ الأمس وهي بالكاد تتماسك حتى لا تبكي، مشاعرها مضطربة بين مسؤولية تشعر بها اتجاه لبنى، وبين غصة تحرقها من رد فعل تيسير معها، قلق فرض عليها أن تسأل نفسها بخوف؛ هل من الممكن أن تتصرف كتيسير يوما ما مع أولادها؟
وصلت لمكتبها وجلست بانتظار الممرضة وبدء الكشوفات اليومية، جاهدت نفسها التركيز قدر استطاعتها في عملها، حتى دخلت مساعدتها وقد جلبت لها قهوتها الصباحية، كانت تظن أن الروتين اليومي سيكتمل بإدخال الحالة الأولى لكنها تفاجأت بأن نبيلة مترددة

في إخبارها بشيء، حثتها أن تتكلم وبعد تردد أخبرتها عن طريقة بسمة عاملة الكافتيريا مع زوجها، اضطربت ملامح ليلى وهي تسمع من مساعدتها أن هناك فتاة تراود زوجها عن نفسه

"اهتمامها المبالغ فيه بالدكتور، فطار وقهوة وعصير، صراحة الموضوع زاد عن حده قوي، ومن الآخر كده شكلها حاطة عينيها على دكتور محيي"

ولم يخطر ببالها ولو لحظة أنها من الممكن أن تهتم لو فكر بأخرى، لكن الصادم هو شعور اجتاحها وزلزل كيانها

"بسمة"

قالتها باشمئزاز وصدمة ، وتساؤل شتتها؛ هل باتت تشبه تيسير لدرجة أن زوجها سيكرر ما فعله والدها؟

نشوى أمام بسمة

ضربت بيدها مكتبها فشعرت نبيلة بعصبيتها فعقبت: أنا...أنا آسفة يا دكتورة بس...

- روحي دلوقتي يا نبيلة

وما إن خرجت حتى وجدت نفسها تدور بالغرفة وهي تتمتم

"معقول يا محيي توصل للمستوى ده"

شيء بداخلها حثها أن تتجه للمعمل ليتسنى لها رؤيته، وما إن وصلت حتى وجدت غادة بمفردها فسألت بشكل متعجل عنه فأجابتها بأنه استأذن ورحل بينما سعد توجه لسحب عينات القسم الداخلي

"هو سعد رجع"

بهت وجهها ما إن علمت برجوعه، ووقفت لثوانٍ تفكر برحيل زوجها، ثم غادرت دون كلمة متجه للمطبخ لتسألَ عن بسمة لتخبرها

صديقتها أنها بإجازة هي الأخرى، فلم تنتظر لتسمع المزيد عادت لمكتبها مقررة الاعتذار عن اليوم والرحيل وفي نفسها فكرت لولا ما قالته نبيلة اليوم لكان لها تصرف آخر مع سعد كونه قد عاد اليوم لعمله، كونه يستأنف حياته وكأن شيئا لم يكن.

ودعت إياد ليومه الأول من اختباراته، وقررت أن تشغل نفسها بالمطبخ، رصيد أجازاتها قارب على الانتهاء وعليها أن تعود لمدرستها لمراقبة امتحانات الشهادة الابتدائية بعد انتهاء اختبارات إياد مباشرة

كان قد مر ما يقرب من عشرة أيام من مهلة الشهر، وكل يوم يمر يزيد بداخلها الخوف، ولكن هل عليها أن تعول على مكالمتها له بالأمس؟

هل من الممكن أن يتراجع ويتركها وشأنها تربي أولادها في هدوء وسكينة، لقد تعلمت الدرس ولن تسمح لأحد بمساعدتها بعد الآن وآآآآه لو تعود أيامها كما كانت، قبل أن تعرف أن والدها خائن، وقبل أن يعترف سعد بمشاعره، لن تنكر أن حياتها كانت تعج بالإحباط والملل لكنها كانت راضية

دار المفتاح بالباب، شعرت بالخوف فاتجهت ناحيته لتتسمر بمكانها ما إن تجلى رياض أمامها يبتسم ببرود معقبا: متوقعة مين، ما أنتِ حبايبك كتير

وضع حقيبته بإهمال ثم أغلق الباب خلفه، تبادلا النظر وعندها قاطعهم صوت ريناد وقد تفاجأت بوجوده، كانت أهم نصيحة من كرم هي التودد لأبنائه

لكنه تردد قبل أن يحتضن ريناد واكتفى بربتة على كتفها وقبلة على خدها، فابتسمت ثم مازحته: شكلي صحيت في وقت مش مناسب، هتوضى وأصلي وأرجع على أوضتي فورا
توجهت للحمام بينما تركته لبنى وقررت أن تعود للمطبخ دون أن تعقب بكلمة، لحق بها ودون اكتراث بأولاده زعق فيها: لو خيالك صورلك إني طيب لدرجة إن ممكن أخاف من الفضايح تبقي مغفلة
سقط قلبها بأخمص قدميها، صوته كان حادا ونظراته نارية، جذبها من ذراعها ليبقيها أمامه وأكمل: انهاردة ولادنا هيعرفوا كل حاجة حتى الفيد.....
وضعت يدها على فمه تسكته بينما وقف زياد بجوار ريناد وقد استوقفهما الزعيق فسألا: إيه اللي حصل
- أنتم بتتخانقوا؟
وبين جملتهما وقفت حائرة لا تملك إلا تعليق مفاده كما العادة: مفيش حاجة يا ولاد، روحوا على أوضكم
نظرا لها بشك ثم عادا لغرفتهما بينما دفع رياض يدها عنه وجلب حقيبته واتجه لغرفة النوم تابعته وأغلقت الباب خلفها وقبل أن تنطق بكلمة وجدته يقذف بملابسه المتسخة في وجهها وهو يحدد: محتاجين ينضفوا
- خلصت
- لا لسة يا بنت مختار، أنا مهما عملت مش هيكفي أبدا، دايما كفة ميزان قرفك هتغلب
غلبتها الدموع حين أيقنت أنها عاجزة عن تحديه وعقبت بيأس: لا يا رياض، أنت اللي هتغلب

وقبل الخروج من الغرفة أردفت: مش صعب أبدا أننا ندخل ولادنا طرف وتقولهم وأكذبك وأقولهم إن كل ده تزييف، بس أنا مش هحطم ولادي وأحطهم في لحظة زي دي، مش هنصفي حسابتنا على حساب تدميرهم، عشان كده كفتك دايما هتغلب يا رياض طول ما ولادنا في النص

ورده كان جذبة أشد من سابقتها وهو يؤكد: طيب، كويس إنك حسبتيها بعقلك، ودلوقتي بقى عايزة تقعدي لحد امتحاناتهم ما تخلص اقعدي وأنتِ حاطة في بقك جزمة، ويوم ما يخلصوا تلمي هدومك وتغوري في أي داهية، ولو عقلك وزك تنفذي تهديدك وتختفي بالولاد يبقى أنتِ اللي فتحتي على نفسك طاقة من جهنم، ومش هقولك بقى أنا ساعتها هاعمل إيه

لم ترد فقط أومأت رأسها بإيجاب وعندها تابع: لو كلامي مش عاجبك ممكن تلمي هدومك وتمشي من دلوقتي، وأنا هعرف أتصرف مع ولادي كويس

وهو من ترك الغرفة وخرج مقررا أن يتصرف بكل أريحية بمنزله وعلى المتضرر العودة لذات الحائط وضرب رأسه حتى الموت منهكا.

اتصال هاتفي جاءهم عصرا، فارس رد عليه ليقول محيي بإيجاز أنه اضطر للسفر إلى بلدته بمحافظة البحيرة والسبب حالة وفاة

سبب لم يقتنع من أتت مبكرا ففرضت على أبنائها المزيد من الاستغراب، سافر فجأة ولم يبلغها أم أنه على علاقة بأخرى ويستغفلها

وبقدر شرودها في محيي شرد فارس فيها وقد تبدل حالها، باتت مهتمة؛ تطبخ بانتظام تهتم بالسؤال عن مذاكرتهم وهذه ليست والدتهم، هل تغيرت أم تتظاهر بالاهتمام لتواري أسرارا لا تريد لها أن تنكشف

ربما خانت فندمت!!!

فكرة سيطرت على عقل فارس فنفضها لكنها عادت حين دق هاتف والدته الخلوي برقم مجهول ولم ترد رغم تكرار الاتصال عدة مرات، فلم يملك فارس إلا تسجيل الرقم على هاتفه ليظهر عبر تطبيق (truecaller) مسجل باسم

"محمد حبيب"

زفر بشدة وفرك وجهه بكفيه ولم يعد قادر على التركيز بشيء، عاد لغرفته وجاهد نفسه للاستذكار، حتى يتسنى له الانشغال عن وردة قليلا بعدما قرر أن يتجاهلها لأنه قد تودد بما يكفي،

سياسة يعلم أنها ستؤتي ثمارها لاحقا، وقد تعلم أنه لابد وأن يصبر لينالها كما يتمنى.

حل المساء نام أولادها لكنها بقيت تتقلب في سريرها بعدما بلغ بها الغضب مبلغه، شعور دفين دفعها للتوجه لغرفة مكتب زوجها مقررة معرفة ما يخفيه، أغلقت الباب وجلست تبحث بأدراجه عن أي شيء يفيدها، وجدت أقراص منومة بدا واضحا أنه يداوم على تناولها، ولم تجد أي شيء آخر يثير شكوكها فقررت فتح حاسوبه، كانت تعلم كلمة السر الخاصة به، فبدأت تبحث وسط الملفات والصور فلم تجد أي شيء حتى انفتحت صفحة الإنترنت الرئيسية بشكل تلقائي وعلى

صفحة اليوتيوب وقد ظهر عندها الفيديوهات الأكثر مشاهدة، امتلكها ذهول تام أمام المقاطع لتدرك أنه يشاهد مقاطع إباحية؟
فعادت للبحث وسط ملفات حاسوبه وعندها بحثت بالملف الخاص برسالة الدكتوراة خاصته، فتحته لتكتمل الصورة أكثر
"مدمن"
لدرجة أن حاسوبه يكاد يستصرخ من كم الأفلام المحتفظ بها عليه، فلم تملك إلا إغلاقه وقد شعرت بدوار عنيف يكاد يفتك برأسها، ودقات قلبها تضرب بجسدها
لقد رأت الصورة جلية، إنه أشد لعنة من مختار يوم اختار تركهم.

فيلا فاروق الدويري ليلا
جمعتهم غرفة الصالون وقد قرر فاروق إخبارهم بأخبار مهمة كما ادعى أثناء تناولهم للعشاء
"خير"
سألت كريمة بضيق فأجاب فاروق ساخرا: هو أنا في ورايا غير الخير
أشاحت وجهها عنه وعندها قال دون اكتراث بها: سعد ناوي يخطب
بدت على ملامحهم كلهم الصدمة، بهذا التوقيت تحديدا غير مبالي بأزمة رياض أو طلاقه من لبنى
"غادة زميلتي في المعمل"
أردف سعد ليؤكد على ما قاله فاروق ثم صمت بانتظار ردود أفعالهم، تجمدت ملامح كريمة بينما تفاجأت إكرام ليضحك بعدها أيمن ويقف بمكانه يطالعهما وقد صفق

- برافووووووو
نظرا له بضيق فتابع: المحامي اللي محدش يقدر يغلبه أبدا، عرف أزاي يطلع ابن اخوه ملاك بجناحات، وفي عز ما إحنا شاكيين إن طلاق رياض ولبنى بسببه بيروح هو يخطب غادة ويقول يا جماعة أنا مليش دعوة باللي بيحصل، ومش ممكن أكون السبب والمفروض طبعا، إحنا سذج وهنصدق ولا ده مش فارق معاك أصلا
بدا على سعد التوتر، نظر لكريمة وإكرام وعندها أدرك وبشدة أنه بات بمأزق، نظراتهما تحمله السبب وراء ما حدث، ولن يصدقا بسهولة أية أسباب أخرى
لكنه قرر الحسم فنظر لأيمن بغيظ ثم قال: ممكن متخلونيش طرف بمشاكل رياض مع مراته، أنا مليش دعوة بطلاقهم أنا......
"أنا شوفتكم يوم ما كنتم بالجنينة، يوم ما حاولت تبوسها وضربتك بالقلم وهزأتك"
جملة فرضت الصمت والذهول على الجميع، شهقت كريمة خفق قلب إكرام بخوف بينما وقف سعد بمكانه مصدوم، ووقف أيمن قبالته ونظر بعينيه، لحظة صمت مرت كالدهر قبل أن يقرر سعد لكم أيمن بقوة وهو يهتف: أنت اللي بعت الفيديو لرياض
واللكمة جلبت لكمة حين قرر أيمن ردها وهو يجيبه: أنا مبعتش حاجة لحد
- امال مين
قالها وهو يجذبه من ملابسه فهتفت إكرام بزعيق: كفاية
التفت لها أيمن فنكست وجهها، شعر بصدمتها في أخوها لكنه أكد كلامه مستمرا على زعيقه: معرفش

وقبل أي كلام كان الحسم لكريمة وقد جذبته من ذراعه وهتفت: أنت تخرس خالص

نظر لها بذهول وقد تابعت: أنا من الأول قلت إن أكيد في شيطان خطط لكل ده عشان يخرب لرياض حياته

"أنا"

حلت الدهشة بملامح أيمن ثم أجابها هازئا: وأنتِ عايزة تصدقي إني خططت عشان كل ده يحصل، حابة قوي كالعادة دور الضحية، بس أحب أقولك حاجة، أنا معرفش موضوع الفيديو ومبعتش حاجة لحد، ولو نفسك تثبتي لنفسك أن اللي ربتيهم مخذلوكيش دوري على كبش فدا غيري

وقال جملته وخرج وطالعته كريمة بكراهية، منزل العائلة المسمومة قد حظى بمواجهة أو بالأحرى تعرية، الكل هنا كفاروق، ولكن كل شخص يملك طريقته.

صباح اليوم التالي

كان اليوم الأول بمراجعة مادة اللغة العربية بإحدى المراكز المخصصة للدروس الخصوصية، دخلت لمياء باتجاه القاعة المخصصة للحصة فوجدت شذى بوجهها، رمقتها بغيظ وما إن جلست حتى التفتت تعزز نظراتها لها بنظرة اشمئزاز فرضت على لمياء التوتر

"من يشمئز من من"

تساءلت لمياء في نفسها وهي تحاول ألا تنظر ناحيتها مرة أخرى، وما إن انتهت الحصة حتى خرجت لمياء مسرعة فأسرعت شذى

خلفها واستوقفتها لتقول بصوت منخفض: أزيك يا لميا، عاش من شافك

زاد توتر لمياء فكانت تبلل شفتيها بلسانها وتفرك يديها بينما أردفت شذى: مكونتيش متوقعة تشوفيني مش كده

ـ أنتِ لسة ليكِ عين بعد اللي حصل، كنت بتخططي يومها لإيه، هه ممكن تفهميني ليه عملتِ معايا كده

ـ عايزة تفهمي، أنا مستعدة بس يا ترى هتصدقيني

قالتها واتجهت للخروج من السنتر ، كانت خطواتها واسعة تُظهر أنها تريد مغادرة المكان بسرعة فرضت على لمياء اللحاق بها مسرعة حتى باتا بمكان بعيد قدر المستطاع عن مسامع من حولهما فهتفت لمياء: استني هنا......

وقبل أن تكمل لمياء التفتت لها فصمتت، ثم التفتت حولها وقد بدت متوترة ثم نظمت أنفاسها وقالت بحسم: بصي يا لميا، طول الفترة اللي عدت كان نفسك تعرفي أي تفاصيل عن علاقة أبوكِ بنشوى مش كده

خفق قلب لمياء بخوف وهي ترد: وأنتِ كنت بترفضي تقوليلي أي حاجة، إيه اللي جد دلوقتي

ـ اللي جد إن اللعب هيبقى ع المكشوف، وده سبب أني اترفدت من المدرسة، عشان أبعد عنك، ويقدر يكمل هو انتقامه منكم

التفتت حولها مرة أخرى وقد زاد ارتباكها وعندها هتفت فيها ليماء: مين هو

ـــ اللي خطط أنكم تتقابلوا في الnight club، اللي كان سبب في رفدي من المدرسة، واللي نشوى كانت حامل منه

- قصدك....

- أيمن

(13)

(زلزال زلزال زلزال)

وما إن بدأت بالرقص حتى تعلقت بها أعين الرجال

(أيووووه على رسمة شفايفها مليون أيووووه)

"أوبا"

قالها أيمن وهو يطالع شبيهة مريام فارس بشعرها الغجري وقوامها الممشوق ثم تابع وقد جاور إكرام: مين الصاروخ أرض جو دي

كان يدرك أن سؤاله سيفرض عليها الغيظ لكنها اصطنعت بعض اللامبالاه وردت: دي نشوى صاحبة لميا

تفحصها بإعجاب وتعجب من كونها صديقة لمياء لأنها تبدو أكبر وأجرأ وحين غلبه فضوله قرر التحري، نادى لمياء وبدأ يسألها وعندها بدأت تحكي عن أسطورة مدرستهم التي رسبت على مدار سنوات دراستها ثلاث مرات ولا ترافق أي فتاة لأنها هي من تختار من ستنعم عليه برفقتها.

كان هذا قبل ما يقارب العامين تحديدا عيد ميلاد لمياء السادس عشر

كانت نشوى هي من اختارت تلك الأغنية وقد وقفت على مقربة من الــ"D.J" ولن تنسى يومها كم كانت نشوى ملفتة للنظر حتى أنها ما إن انتهت من رقصها حتى تحدث إليها أيمن وظل تلك اللية يتودد لها حتى علمت من إكرام أنها قد غادرت برفقته

أعادت لمياء تشغيل فيديو الحفل مرة أخرى، ولكن بتدقيق أكبر لتجد فاروق ومختار بجوار فوزي يتباحثون شؤون العمل، أخواتها

وأولادهم يتصرفون بطريقة عادية، لا شيء يثير الدهشة يستدعى أن تقول شذى أن تلك الحفلة كانت البداية، وأي بداية تقصد؟
زفرت وكادت تتوقف إلا أن نشوى ظهرت فتابعت لتجدها وقفت عدة دقائق بجوار المنضدة التى وضعت عليها الهدايا، ثم التفتت ورائها وعادت تكمل الحفل
أوقفت لمياء الفيديو وحاولت تكبير الصورة قدر استطاعتها وعندها بدا واضحا أنها وضحت شيء بحقيبتها، أعادت مشاهدة ذلك المقطع عدة مرات ثم أوقفت الصورة في لقطة أخرى أظهرتها وهي تأخذ أحد العلب، ليتضح عندها شيء واحد
(نشوى سرقت)
ولكن لماذا أو..........
عصفت برأسها الاسئلة وباتت لا تدرك ما الذي عليها فعله وهل كون جنين نشوى قد ظهر والده الحقيقي، سيعني هذا أن هناك سبيل لتبرأة والدها؟
سؤال فرض عليها أن تجتمع بليلى، عصر اليوم التالي وقد قررت أن تحكي لها عما كانت تخفيه عنهم، ترددت كثيرا لكنها شعرت أن ليلى مختلفة، شعرت أنها هذه المرة قد تسمع منها دون حدتها وعصبيتها المعهودة وربما هدوءها وتعاطفها هو ما شجعها، وما إن انتهت حتى تنهدت ليلى بحسرة
"فجوة"
لم تتوقع ليلى يوما أبعادها، لكنها رأت مصير فريدة بين عينين أختها، رأت معنى أن تُحرم لمياء من ثقتها بنفسها فتجد في صداقة نشوى بالغ سعادتها فقط لأن الأسطورة كما كانوا يلقبوها بمدرستها

منحتها ذلك الشرف، أدركت معنى ألا تثق لمياء بأحد فتسنح لأيمن فرصة على طبق من ذهب ليتلاعب بها، واستدركت معنى وجود "صديق سوء" وكيف له أن يقلب حياتك رأسا على عقب
ولن تنكر شعورها بالشفقة على ما آل له حياة أختها لكن أقصى ما فكرت به كان ربتة على كتفها رغم أنها فكرت للحظة أن تمنحها ضمة كتلك التى يمنحها بعض الأمهات لبناتهن، كتلك التى لم تمنحها لفريدة قط، كتلك التى لا تعرف لها طعم لأنها لم تحصل عليها قط، كـــ.........
بكت بمرارة وبكت معها أختها وعندها أمسكت بيدها وقالت وهي تمسح دموعها: اوعديني تبعدي عنهم، دول مينفعوش يكونوا أصحابك يا لميا، وإذا حاول أيمن يضايقك مرة تانية، بلغيني فورا، اتفقنا
أومأت لمياء رأسها بإيجاب ثم سألت: طيب وبراءة بابا، مش هنواجهم باللي عرفناه
ــــ نواجه مين
سؤال فرض على لمياء الشرود وفرض على ليلى الأسى، فربتت على يدها وتابعت: أي مواجهة مع عيلة الدويري معناها أننا هنفضح بابا عند اللي مش عارف منهم، وبعد ما يعرفوا فكري معايا كده في موقف لبنى وشكلها قدامهم وهي أصلا مش عارفة تثبت براءتها من كلامهم عنها، يعني مش هنكسب غير فضيحة وموقف أسوأ للبنى وفي النهاية هتفضل خطيئة بابا، بابا مش بريء يا لميا، بابا معترف بعلاقته بنشوى حتى لو مكنتش حامل منه.

كانت تتحدث بانكسار وهي ترى انعكاس كلماتها على ملامح أختها التى تشبعت ببالغ الإحباط، وبدورها كانت تشعر بطعنة تتوسط صدرها لعلمها أن محيي بات صورة أخرى لوالدها.

عدة أيام أخرى حتى أنه لم يبقَ على انتهاء اختبارات ريناد إلا ثلاثة أيام مر منهم اليوم وبقى فقط الغد وبعده، وعندها سيحين موعد الرحيل.

كانت صامتة طوال الوقت بينما رياض يجتهد قدر استطاعته الاقتراب من أطفاله، خرج يوم برفقة زياد الصغير لكنه عاد من نصف المسافة لأنه خاف منه وبكى، سعى لفتح حوار مع إياد لكن ابنه تخوف من المصارحة فتكتم مشاكله حتى أنه خشى أن يسأله عن الحساب الذي كان يحدثهم منه، خشية أن يكون بالفعل من إعداد والدته وبالأخير ريناد مشغولة باستذكار دروسها، لكن الطامة تكمن في تفاصيل لم يخطئها أولادهم كونهما يتجنبان الجلوس بغرفة واحدة، لا يتحدثان لبعضهما ورياض يحرص على طبخ طعامه بيده وصنع كل وجباته لنفسه حتى كوب الشاي لا يسمح لها بصنعه، والملاحظات فرضت على إياد سؤالها: هو حضرتك وبابا متخاصمين ولم يعد بها قدرة حتى على الكذب، أومأت رأسها نافية ثم قالت: مفيش حاجة

إجابة فرضت عليه الإحباط وقد عاد أدراجه ليجلس بجوار زياد على الأريكة المقابلة للتلفاز شاردا، لم يعد يفهم ما الذي أصابها منذ مجيئ والده، جوارهما رياض يحتسي فنجان من القهوة ويتابع ما يشاهده

أبناؤه حتى استوقفه تعليق إياد: أنا أونكل سعد وحشني قوي ونفسي أشوفه

- وأنا كمان هو وأونكل أيمن وتيتة، تعالى نسأل ماما ينفع نروح إمتى

لكن يد رياض عرقلته فتوقف يطالعه بخوف فعقب إياد: هو في حاجة

- إحنا مش هنروح عند حد

- ليه

- عشان أنا قلت كده

أزاح زياد يده ثم ركض نحو غرفته ثم تابعه إياد دون تعقيب وقد أغلق الباب خلفه فهتف زياد عندها: الراجل ده غلس قوي

- هووووش عيب

رد زياد غاضبا: ده مش بابانا، إحنا بابانا يبقى أونكل سعد

قالها ببراءة غير محسوبة ووجد عندها عيون والده تتطلع فيه وقد فتح الباب فجأة، فانكمش الصغير بسريره وقد خاف من اقتراب والده منه حتى سأله محتد: مين بقى اللي قالك أن باباكم يبقى أونكل سعد، ماما؟؟

ونداء لبنى عليهم هو من أنقذ الصغير من نظرات والده النارية، جهزت الطعام فجلس زياد بجوارها لتطعمه، وقد نأى رياض بنفسه عنهم حتى فرغوا، وعندها أعدت لنفسها فنجانا من الشاي وجلست بغرفة نومها وأمسكت بهاتفها تتابع حسابها على "الفيس بوك" دون اهتمام حتى مر بعض الوقت

على غير العادة وجدته يدخل للغرفة ويغلق بابها عليهما وقد تمدد على طرف السرير المقابل، أشعل سيجارة وبدأ بيدخنها وقد أرخى رأسه متابعا ما تفعل ثم سأل: بتكلمي حد
نظرت له باستغراب لتجده يسحب هاتفها من يدها عنوة وقد ابتعد عنها مقررا فتح الرسائل الخاصة وتحديدا ما كانت بينها وبين سعد
"هات الموبايل"
قالتها وقد اتجهت ناحيته تريد جذبه من يده لكنه دفعها فعادت لهتافها لكنه تجاهلها مقررا القراءة
استغرب رسائل سعد الأخيرة، ولكن قبل أي سؤال استوقفه اسمه بجوار حساب يجهله ففتحه وبدأ يقرأ رسائله وهو يرمقها بغضب ثم هتف: يا بجاحتك، أنت معمولة من إيه، من إيه
جذبت هاتفها ووضعته على الكومود المجاور للسرير دون رد ثم جلست كي تهدأ، لكنه لم يصمت جذبها من ذراعها ليوقفها أمامه وسأل: ده سعد ولا حد تاني
دفعت يده وأجابت: ده شيء ميخصكش، إحنا اللي بينا خلص وكلها يومين وأمشي، ولحد ما يعدوا ملكش دعوة بحياتي
- مستعجلة قوي ع الصياعة، طبعا مش طايقة وجودي، مش عارفة يا عيني تقابلي اللي كنتي بتقابليهم، رخيصة
دعس سيجارته الأولى وأشعل الثانية وظل ينفث دخانها بغيظ وهو يطالعها بينما هي جلست بكل برود أمام المرآة تصفف شعرها، شرد في تفاصيلها رغم أنفه؛ جميلة ووحيدة، كانت صيد ثمين، لكنه لم يلحظه

قامت من مكانها وأخرجت من خزانتها ملابس لتبدلها فعقب ساخرا: أنت متخيلة الحركات دي ممكن تفرق معايا
ضحكت ساخرة وردت: طول السنين اللي عدت أكدتلي إن مهما عملت مفيش حاجة ممكن تلفت نظرك ولا هيبقى في، فأكيد حركاتي الرخيصة ملهاش أي رد فعل عندك
أجفله ما قالت فسأل: قصدك إيه
- متاخدش في بالك، أنت خلاص ارتحت مني، بس يا ريت لو تتعلم من اللي حصل وتحاول مع ولادنا، يمكن يجي يوم وزياد يبطل يخاف منك وإياد يثق فيك وريناد تلجألك لو وقعت في مشكلة، مدام معرفتش تكون زوج يا ريت تعرف تكون أب
وأغلقت الخزانة لتظهر المنشفة بجوار ملابسها وقد خرجت من الغرفة متوجهة للحمام بينما دعس هو سيجارته وظل يطالع هاتفها حتى سمع النغمة المخصصة للرسائل فغلبه فضوله وقرر فتحها وقراءتها.

في نفس الأثناء
جمع منزل غادة آل الدويري وفق الموعد المتفق عليه ليكلل فاروق موافقتها على الارتباط بابن أخوه، بقراءة الفاتحة وتقديم خاتم، ألبسه سعد لغادة فتعالت زغاريد والدتها فجاهدت كريمة وإكرام ملامحهما لتظهر ابتسامة مصطنعة بينما أيمن لم يأتِ.
أما العريس نفسه فقد بدا عليه الحزن، الاستثناء الوحيد كان فاروق الذي شعر بالراحة لأن غادة، ستدخل قريبا بيته لتكون تحت ناظريه طول الوقت

طالعها بنظرة بدت ذات مغزى خاص وقد انزوت ابتسامة على شفتيه، فهمتها غادة فابتسمت بدورها حين قال: مبروك يا غادة
- الله يبارك فيك يا .... عمي
ثم رافقت والدتها من أجل إعداد العشاء فتابعتها إكرام وكريمة لتخلو الغرفة لدقائق من الجميع عدا سعد وفاروق الذي عقب وهو ينظر لوجهه: افرد وشك شوية، عايز أمها تقول إيه
زفر ولم يرد ثم قرر الاتجاه للشرفة، التفت حوله فتأكد أن الجميع منشغل فأمسك بهاتفه وقرر أن يرسل رسالة
"أنا سعد ده رقمي الجديد، أرجوكِ ردي عليا، محتاج أشوفك ضروري، أرجوكِ يا لبنى أنا محتاج أشرحلك موقفي، ردي عليا"
أرسلها وظل منتظر علها تجيبه، لكن مرت الدقائق دون رد
"العشا جاهز"
قالتها غادة من خلفه فانتفض ثم أومأ رأسه بإيجاب وتابعها لكن صوت وصول رسالة بهاتفه أجفله، ولم يستطع الصبر فاستأذنها عائدا للشرفة ليفتحها ويقرأ
"بكرة الصبح البيت هيكون فاضي، هستناك"

وأخيرا عاد، ودون أن يتفوه بكلمة اغتسل وبدل ثيابه واتجه للنوم بينما جفى النوم عينيها هي من فرط قلقها فقامت واتجهت لحقيبته وفتشتها، فلم تجد فيها إلا ملابسه المتسخة وفاتورة باسم الفندق الذي أقام فيه أسبوعه الماضي.
أيعني هذا أنه لم يسافر؛ تزوج دون علمها من بسمة عاملة الكافيتريا التى تصغره بكثير من السنوات، وكان يقضى هذا الأسبوع برفقتها؟

كلاكيت مرة أخرى

"محيي أخيرا هيختار بعد ما كان طول عمره مرغم ومجبر"

بكت بحرقة لم تتوقعها، دارت بعقلها كل السيناريوهات من زعيق لشجار لمواجهة ورأت معها محيي وهو يضعها أمام صورتها الحقيقية

"تيسير"

عندها شعرت بما لم تشعر به من قبل، فاتجهت للحمام وغمرت وجهها بالماء والزمت نفسها بالصمت

ومع الصباح أعدت الفطور لزوجها وفارس بينما اتجهت فريدة لمدرستها باليوم قبل الأخير للاختبارات.

استيقظ ليتفاجئ بالفطور بل وفنجان قهوته معد، لم يعقب ولكن هيئتها فرضت على فارس سؤالها: مالك

- مفيش

ولم تضف فقط رفعت الأطباق واتجهت للتبديل ملابسها كي تذهب للمشفى وفعل محيي الفعل نفسه ليبقى فارس بالمنزل بمفرده فهل حانت اللحظة؟

اتصل بوردة مطالبا إياها بالصعود لشراء بعض الطلبات وما إن وصلها الاتصال حتى خفق قلبها بسعادة، صعدت وهي تمني نفسها ألا يعاملها بنفس وتيرة الجفاء التى لاحظتها بالأيام السابقة، وما إن طرقت باب شقته حتى فتح لها وعلى وجهه ابتسامة، ثم جذبها من يدها لتدخل بسرعة وأغلق الباب خلفها، وأمسك بوجهها بين يديه ثم قال بحرارة: وحشتيني

شعرت بفرحة غامرة،لأنه لايزال على عهوده معها، وعندها سألت بلهفة: بجد ولا بتضحك عليا؟

- أنا برضو طيب والله وحشتيني قوي وكنت هموت وأشوفك

- بعد الشر عنك، امال كان مالك مكنتش بتكلمني خالص زي ما تكون مخاصمني، أنا كنت خايفة تكون زعلان مني

- امممم هو مش زعل يا وردة بس أنا كنت مشغول من ناحية ومن ناحية تانية أنت طول الوقت بتصديني، أقولك بحبك تقوليلي عيب، أقرب منك تبعدي، حسيت أنك مش بتحبيني

- أنا؟

- طيب قوليها، نفسي أسمعها منك يا وردة

ورغم الخوف والتردد خرجت

"بحبك يا فارس"

وحين قالتها قرر هو تتويج اللحظة بقبلة انعدمت مقاومتها معها فأدرك أن الطريق قد فُتح لما هو أكثر فجذبها نحو غرفته لكنها منعته وقالت: مش هينفع يا فارس أنا لازم أنزل، أمي لو نادت عليا ومرديتش هتبهدلني

تبدل وجهه للامتعاض وقد تجهم ثم أبعد يده وقال بحدة: خلاص يا وردة

- فارس متزعلش مني، أنت عارف......

- يوووووه قولتلك انزلي

وهو من فتح باب الشقة ومنحها المال مقابل شراء زجاجة مياة غازية ثم أغلق الباب، ليفرض عليها الخوف من كونها ضايقته فلم

تملك إلا الإسراع لجلب طلبات البناية وبالتأكيد طلبه وهي تقول في نفسها

"فارس بيحبك يا وردة، واللي بيحبوا بيتصرفوا كده"

وذكرت نفسها بكل مشهد رأته بفيلم رومانسي أو حتى فيلم كرتون وهي تؤكد لنفسها ألم تُقبل سندريلا الأمير؟

ألم تحصل سنووايت على قبلة النجاة من حبيبها؟

كل ما رأينا بصغرنا صب ويصب بإناء واحد

"هذا هو الحب"

فرش أسنانه ووضع بعض العطر وانتظر اللحظة التى ستدق فيها جرس الباب

أتت

فتح الباب فدخلت هي لتضع الزجاجة أمامه وقالت بابتسامة: مش عايز حاجة تانية

رد بضيق: لا

- طيب أنا آسفة وأوعدك مش هزعلك تاني

تدلل ورد: يا سلام

ابتسمت وردت: والله

ابتسم وهو يلف ذراعيه حول خصرها ونظر إليها بلهفة فبادلته النظرة بشوق أدرك عندها أن ما خطط له قد نجح فتعانقا، وجذبها ناحية غرفته ولم تمانع أو تقاوم أو تعترض

وكيف تفعل وهو يحبها؟

بل ويؤكد على مسامعها مع كل لمسة وقبلة يحصل عليها دون اعتراض

"بحبك يا وردة"
وتماسك قدر المتسطاع حتى لا تنفلت زمام الأمور من يده، سيطر على مشاعر اجتاحته حتى لا يكتمل الأمر لنهايته، تكفيه تلك المقدمة، عدة قبلات ولمسات لم تعد ممنوعة
وفتاة لا تعترض خشية أن تخسره، أبعدها عنه وقال: لازم تنزلي دلوقتي
انصاعت لأمره ثم اتجهت ناحية الباب فأكد عليها: بعد كده بدل ما نتقابل ع السطوح وحد يشوفنا خلينا نتقابل هنا، وأنا هبقى أكلمك
أومأت رأسها بإيجاب وابتسمت ورحلت بينما زفر هو وعاد لغرفته ولم يقاوم مشاهدة أفلام والده لكن ثمة اختلاف دار بعقله، فاللذة الحقيقية باتت على مقربة.

يقولون أن وقوع البلاء أفضل من انتظاره فما بالك بجلبه
وهو قالها حين أرسل الرسالة بنفسه
"بيدي لا بيد عمرو"
بيدي سأمنحك فرصة المجئ لبيتي ومقابلة زوجتي لأعرف ما ينتوي كل منكما فعله
بدت ذابلة عندما تطلع لوجهها، تقاوم دموعها كونها راحلة بالغد عن حياته.
تناول فطوره وأمر إياد وزياد بالتجهز لمرافقته وتركها ورحل منتظرا بالأسفل مجيء ابن عمه والذي جاء بعد دقائق، طرق الباب فاتجهت لبنى لتفتح وما إن رأته حتى صدمت، دخل عنوة وأغلق

الباب خلفه فزعقت: جاي ليه يا سعد، عايز إيه تاني بعد ما خربت البيت ده

أمسك يدها متوسلا وترجاها: أرجوكِ اديني فرصة يا لبنى، أنا عارف إنك اتظلمتِ في كل اللي حصل بس أنا كنت مضطر أجاري فاروق للآخر

- اطلع برة

- طيب بس اسمعيني، أرجوكِ، يا لبنى أنا بحبك وعمري ما هتخلى عنك

- بدليل أنك خليت الكل فاكر إني كنت بجري وغويتك وأنت يا مسكين معرفتش تقاوم مش كده

تقابلت أعينهما، نظرة احتقار أمام نظرة انكسار، رد بعدها: أنا آسف على كل اللي حصل، بس مش آسف على حبي ومش هسيب حقي بعد انهاردة

- حقك؟!!!

قالتها باستنكار فأكمل بعدها: أيوة حقي يا لبنى، طول السنين اللي عدت أنا اللي كنت جنبك، أنا اللي ربيت وكبرت وكنت معاكم، أنتم حقي، حقي اللي مش هسيبه لرياض يأخده ع الجهاز

وأذهلها ما سمعته ومن فرط اضطرابها لم تملك رد فاتجهت ناحية باب شقتها وفتحته وأكدت: اطلع برة، والبيت ده إياك تعتبه تاني، وكفاية اللي حصلنا بسببك، لما أنت عايز تمن للي قدمته يا سعد مقولتش ليه من الأول كنت طردتك من حياتي، ليه شيلت شيلة مش بتاعتك، ليه وافقت تاخد مكان رياض

- مكنتش متصور إن مشاعرنا هتتغير

- اتكلم عن نفسك وبس
زعقت بها وهي لاتزال بمكانها منتظرة خروجه، لكنه اقترب منها ليغلق الباب ثم جذبها من يدها ونظر لعينيها وقال: أنت كمان حبتيني بس جبانة، خايفة منهم، خايفة تواجهي نفسك بالحقيقة حتى بينك وبين نفسك، اتفكري كويس إحنا كنا أزاي، افتكري
دفعت يده عنها ثم سألت بفراغ صبر: أنت جاي عايز إيه دلوقتي
- اديني فرصة، آخر فرصة، أرجع كل حقوقي منهم، أنا عمري ما كرهت في حياتي حد قد كرهي ليهم، فاروق اللي سرق فلوس أبويا وعمل نفسه بيربينا بيها، كريمة اللي حاولت تعمل أم بالعافية، حتى رياض كان بيدور على مصلحته، دول ميستهلوش يا لبنى نضحي بسعادتنا عشانهم
كانت مذهولة مما تسمع، من هذا؟
وكادت تصرخ بها ولكن من فرط ذهولها أُخرست
ظل يكمل حديثه حتى توقفت الدنيا بها على إثر جملة زلزلة كيانها
"نخلص من رياض، قلتِ إيه"
ولم تعد تملك أي إجابات، هوت لأقرب مقعد بينما جثى هو على ركبتيه ممسكا بيدها ليدس بها زجاجة صغيرة وهو يكمل: ضيفي منها على أي عصير مش هيحس بطعمها، المادة دي بالتركيز ده هتموته فورا، هما لازم هيجيبوه المستشفى عندنا وهناك سيبي التقارير عليا
نظرت باتجاهه فأكمل: فكري كويس، محدش هيحرمنا من بعض، ولادنا وسطينا وفاروق أول واحد هيسكت، وموت رياض هيبقى قضاء وقدر

وأعادها وظل يكرر: فكري كويس في كلامي، فكري
ثم وقف مقررا الرحيل وعندها تقابلت أعينهما، نظرة تمني منه أن تقبل ما يطلبه مقابل نظرة شرود منها وكأنها عقلها قرر استرسال كل ما مضى بينهما الآن
"من أنت"
أنا .... سعد!!!!!!

جرت العادة أن تأتي إلى عيادته امرأة تسرد ما فعله زوجها وعلاقاته وخياناته ثم ترحل لتأتي غيرها، لتتبلور جُل استشاراته الأسرية في حكايات الخيانة، حتى أتى ذلك الرجل ليفرض عليه بعض الأمل، ليؤكد عليه مفهوم جديد كاد يجزم أنه انعدم وأخيرا رجل إيجابي يبحث عن حل لمشاكله مع زوجته ويضع أولاده في اعتباره والقصة بدأت منذ أسبوع حين جاء إليه في قمة إحباطه ويئسه وجلس أمامه وسأل
هل من الممكن لاثنين قد تهدم بينهما كل شيء أن يظل بينهما أمل؟
ومن سؤاله بدا أنه رغم كل شيء لا يزال يريد فرصة بينه وبين زوجته، لكن الإجابة رغم طيف الأمل أحبطته، فقط لأنه قال له، أن الأمر سيتوقف عليهما معا، ولأن يدرك أن ليلى لا تريد أي محاولة تبلورت الزيارة لسؤال آخر
(لو أنا ومراتي قررنا الانفصال، أزاي ولادي يعدوا الأزمة دي)
ثم بدأ يسرد ما بينه وبين ليلى ومع نهاية حكايته بدأ مشتت جدا تجاه ما ينوي فكانت أول نصيحة أن يبتعد أسبوع عن منزله، كتجربة

لتفعيل تلك الخطوة فيما بعد إن نفذ الطلاق وفرصة ليختلي بنفسه ويعيد تقييم حياته
"دكتور أنور مندور"
طالع الكارت بيده ثم اتصل بعيادته ليؤكد موعد استشارة اليوم،ومع نهاية يومه بالعمل قرر الاتجاه لعيادته وهو لا يدري أن ليلى قررت أن تتبعه لتعرف، إلى أين سيذهب

منذ عودته وهي صامتة لكنه أدرك سر صمتها، قام بتسجيل حوارها مع سعد واختلى بنفسه في الشرفة وسمع، الأخ الذي لطالما تظاهر بالبر يحمل بقلبه خسة الدنيا ويريد التخلص من آل الدويري ليحظى بالمال وزوجة ابن عمه وأولاده، والوضيعة لم تعترض، خبأت السم بحثا عن فرصة مناسبة لقتله، أي خسة وندالة ووضاعة تجعل أعز الناس إلى قلبك تتصرف كهذا
دخل من الشرفة وبحث عنها، كانت بغرفة ريناد تساعدها بيومها الأخير في المراجعة، فقرر أن يبحث عن الزجاجة التي أعطاها لها سعد وتعجب لأنه لم تخبئها بل وضعتها بحقيبتها الشخصية وهي تدرك أنها أول مكان سيبحث فيه، وعندها دسها بجيبه مقررا هو من سيعد العشاء الأخير بيديه

"أستاذ محيي السلموني"
والنداء من السكرتيرة انتشله من الشرود وعندها طرق باب غرفة دكتور أنور وما إن دخل هو لغرفته حتى دخلت هي للعيادة، وقد تفاجأت بلافتة الطبيب النفسي والمستشار الأسري، لتدرك أنه اتخذ

الخطوة بمفرده ودون انتظار لموافقتها، جلست بغرفة الانتظار فاستوقفتها السكرتيرة سائلة: أي خدمة يا فندم
بدت مشتتة وهي لا تدرك بما تجيبها حتى أخذت نفسا عميقا وردت: أنا ...... منتظرة .... جوزي

كانت بالمطبخ حين همس بأذنها: دي آخر ليلة ليكِ في البيت ده ازدردت لعابها بخوف ونظرت لعينيه بوجل، زادت ابتسامته وأردف: آخر عشا لينا سوا، بذمتك مش لحظة تستحق تبقى مميزة
تماسكت كي لا تبكي وقررت مغادرة المطبخ، فاعترض طريقها حين وضع ذراعه ليحتجزها وهو يكمل: أنا اللي هحضر العشا بنفسي، ومش بس كده أحلى كوباية عصير تستاهل بقك الحلو ده، إيه رأيك كانت على يقين بأنه يعرف كل شيء، بل ربما هي خطة محكمة للخلاص منها، وكل الخطايا باتت مباحة ما دام هناك محامي استثنائي قادر دوما على إخراج الجاني كالشعرة من العجين، ولأنها كانت في أشد لحظات يأسها قررت الاستسلام لما ستؤول له الأمور دون إبداء أي اعتراض
جمع أولاده، أعد العشاء وبدا ودودا بل قال أمام أولاده صراحة، أنهم سيحظون بإجازة مميزة، فقد تصالح مع والدتهم، وأنهم سيسافرون لقضاء الأجازة بمكان مميز، وهناك هدايا عند ظهور النتيجة لو نجحوا بتفوق.
والسعادة غمرتهم وقاموا بمساعدته وهو يرفع الأطباق وقد قرر أن يعد العصير بنفسه، أعد أكواب أطفاله وشربوا، ثم توجهوا لغرفهم مع هتاف

"ليلة سعيدة"
ونظرته لها بغِل أكدت أنها ستكون كذلك
تركته واتجهت لغرفة النوم وجلست على السرير بهدوء شاردة تطالع الفراغ وذكرى جملة لم تكن عابرة
"مختار أخيرا هيختار بعد ...."
دخل يحمل بيده الصينية التي تحوي أكواب العصير ثم أغلق الباب خلفه وقبل أن يضعها من يده وقفت واقتربت وسألت: أي كوباية منهم
ـ اليمين
حملتها وعادت للجلوس بمكانها دون تعقيب فتقابلت أعينهما، نظرات بدا من المستحيل تفسيرها
وكأن كليهما سبر أغوار الآخر
رشف رشفة من كوبه وعقب: اشربي
نظرت له بهدوء ثم ابتسمت ثم رشفت رشفة من كوبها وسألت: أنت اللي رديت على سعد امبارح
هل سنتصارح الآن؟؟
رشفة أخرى وسألت: كنت عايز توصل لفين، اسأل وأوعدك إني هجاوبك
وضع كوبه جانبا ووقف أمامها واضعا كلتا ذراعيه أمام صدره وسأل: هما ولادي فعلا
انتفضت خوفا من ظنه ثم رشفت من العصير وعادت لتظاهرها بالهدوء وأجابت: أكيد ولادك أنت

تقابلت أعينـهما، نظرة خوف مقابل نظرة زائغة من عينيها فرضت عليه أن يسأل بأسى: ليه يا لبنى، ليه خنتيني

ـ ليه أنت سيبت الباب موارب بيني وبينـه، ليه خليته مكانك، ليه وثقت فيه وهو مش أهل للثقة

وتقابلت أعينـهما، دمعة ترقرقت من عينـه مقابل دمعة انـهمرت من عينـها فسألت: ليه اتجوزتني وأنت بتكرهني، ليه محاولتش تعاملني بطريقة أحسن من طريقة فاروق مع كريمة

ـ أنا، أنا عمري ما كنت زي فاروق

ـ بص في المراية كويس، أنت طول عمرك زيه

تطلع إليها بصدمة وكأن جملتها صفعته وعندها أردفت: الإهانة مش بس شتيمة وضرب، أنك تعيش مع حد مش شايفك ده شيء مهين جدا، أنك تكون والعدم سواء عند شريك حياتك ده بيوجع قوي، وبيفرض عليك تضعف وتغلط

ثم رشفت من كوبها وعقبت: أنا عارفة أنك لقيت الأزازة وعارفة أنك حطيت لي منها في العصير

زادت صدمته فقرر سحب الكوب من يدها وهو يهتف: هاتي الكوباية

ـ لا

وابتعدت عنه وهتفت: كمل حياتك بضمير هيعذبك ليل نـهار لأنك كنت أعمى، سعد هو اللي خطط لكل ده، كان كل هدفه واحد فينا يخلص ع التاني، واهو نجح في اللي كان عايز يوصله

ـ هاتي الكوباية دي

ـ لا

ودفعته وهرولت للحمام وأغلقت بابه عليها، نظرة أخيرة للكوب ثم رشفته دفعة واحدة

"افتحي الباب"

طرقه بقوة وظل يزعق: افتحي الباب يا لبنى، لبنى افتحي

ولكنها لم تفعل ولن تفعل فصوت تهشم كوبها جاور صوت ارتطام جسدها بالأرض ليؤكد لرياض شيء واحد، لقد انتصر

لقد تخلص من العاهرة حد رحيل أبدي بلا عودة

والآن هل انتهت اللعبة أم بدأت؟؟؟

"لبببببببنننننى"

تصحيح إبصار

(14)

هل تذكُر أول صفعة هوت على وجهك بصغرك؟

تلك المشاعر بكل تعقيداتها، خيبة الأمل لأن والداك عنفاك، لقد أخطأت فاستحققت الألم

تلك اللحظة التى انزويت فيها بغرفتك

لقد كسرت دميتك

وشيء ما كُسر بداخلك

وهو أن أقرب الناس إليك يملكون القدرة على إيذائك بدعوة تربيتك.

هذا إن كنت بمنزل سوي فما بالك بآباء وأمهات سقطوا من علياء قدسية أدوارهم لترتطم صورهم بالأرض

وهنا الإيذاء سيختلف.

لمسة مشينة، صفعة من دون سبب، وقناعات خاطئة لا حصر لها

"غبي"

"دميمة"

"منبوذ"

"عاق"

وصفات كُثر ستختصر بكلمة حادة واضحة ساخطة:

- أنت وحش.

- ليه أنا وحش؟

- عشان مش بتسمع الكلام، وامشي من هنا.

قالتها حادة لأيمن وضمت رياض الباكي لصدرها، بالتأكيد حزام فاروق الجلدي حين هوى على ظهره كان يألمه ومن هو صاحب الوشاية دائما، ذلك الوضيع أيمن.

يعود فاروق من عمله ينادي أيمن وقد جلب له الحلوى ثم يجلسه على قدمه ويسأله عما حدث في غيابه، فيشي الصغير بأخطاء الكبير فيُضرب رياض وتزعق كريمة بابنها الملعون فيردعها فاروق.

أيمن خط أحمر

المدلل لن يضرب

والمنبوذ يتألم

والألم مشاعر حدة، الألم لا يتجزأ، حين تُضرب، حين تُهان، حين تُمتهن، حين تُجرح!!

المشاعر المريرة واحدة يستدعيها العقل اللاواعي كما هي في كل مرة فتتناثر ذكريات الماضي لتمتزج مع أوجاع الحاضر

الصرخة، الدمعة، الخوف، الحرمان، التيه، الفقد.

بالتوازي أم على التوالي.

"لبنننننننى"

واختبار المشاعر عاد بالماضي ليطفو، وفرض على دموعه المتحجرة أن تهطل، وصرخات أبنائه فرضت على جسده ارتعاشه، تماما كتلك التي كانت تنتابه حين تضرب كريمة فيصرخ في والده.

"افتح الباب"

صرخة عاجز يريد انتشال والدته من يد أبيه البغيض، لكن البغيض مستمتع، فانتهاكها يثير النشوة.

دفعه مرة واحدة عنها فشعر فاروق بالإهانة فحبسه بغرفته، ثم فعل ذلك مرات عدة، ليختبر مشاعر العجز بشتى الطرق

عاجز عن إيقاف فاروق.

عاجز عن حماية كريمة.

عاجز عن حماية نفسه.

"افتحي الباب يا لبنى"

"مااااااااما"

عاجز عن حماية زوجته

"ماما مش بتفتح ليه يا بابا"

وعاجز عن طمأنة أولاده وقد تعالت صرخاتهم، صوت ارتطام جسدها وصرخته أفزعتهم، يسعى لكسر الباب لكن جسدها يعيقه

"لبنى افتحي"

قالها مترجي معجزة تحدث فينفتح الباب وتخرج، فكل محاولات كسره فشلت وبات الحل الأخير تكسير زجاجه وإخراجها بأي ثمن

"ريناد هاتي إسدالها"

"إياد طلع مفتاح عربيتي"

وتحركا بينما صغيره أمسك ببنطاله خائف

- هي ماتت؟!

تعلقت عينيه بعيني صغيره، ولم يكن يملك إجابة، إلا أنه أمسك مطرقة وظل يضرب بالزجاج حتى فتح الباب فركضوا بينما ابتعد زياد وانزوى بزواية الردهة ليبتعد عن طريق والده بينما ريناد ساعدته كي ترتدي إسدالها ليقول عندها موجها كلامه لإياد: خالي بالك من أخواتك، ماما هتبقى كويسة.

ثم أنطلق لأقرب مشفى، لا يدري هل احتالت خدعته لحقيقة، ظن أنها ستقذف الكوب أو تتشاجر وعندها سيحظى باعترف منها بما كان بينها وبين سعد، لكنها صدمته بكافة تصرفاتها حتى أنها شربت

العصير ببالغ استسلامها، أفعلت لظنها أنه قد يملك الشجاعة على قتل أحد، أم ما الذي دار برأسك عندها يا لبنى؟!

(أسوأ لحظة ممكن تعدي عليك، هي اللي بتكون متأكد فيها إن مفيش فايدة، إحساسك الكامل بالعجز، ومش هقلك كام مرة حسيت بيه، كل مرة كانت ليلى بتصرخ فيا كان جوايا شعور بيكبر أنها عمرها ما حبتني ولا عمرها هتحبني)

قالها محيي بحسرة وكسرة وتابع كلماته حتى انتهى، نظر له أنور بعدها وسأل: طيب مفيش مرة حاولت تحتوي حالة الغضب اللي أنتم الاتنين بتكونوا فيها

تطلع إليه دون فهم وهو يكررها: احتوي.......

ثم فكر بالكلمة ورد: أعتقد لا

- ليه

صمت وكأن السؤال صدمه، بدا سؤالا بديهيا ولكن الحقيقة أنه ما إن كان يصدح صوتها عاليا حتى كان يشعر بالتحفز، شيء ما كان يشعره بأن الأمر تحدي، وفي النزال لا ينبغي أن يخسر الرجل

(طيب لو تخيلنا آخر خناقة مثلا وقررنا نسترجعها ونشوف أزاي كان ممكن يتم احتوائها، ايه رأيك؟)

بدت فكرة جيدة، استرجع الأمر وبالتأكيد بتذكره استعاد عقله المشاعر ذاتها، مما كان حانقا؟

منها أم أن وجود ذلك الرجل فرض عليه مشاعر أكثر إيلاما، سرد بضيق ثم توقف فجأة تنفس ثم أكد: وكالعادة طلبت الطلاق

أومأ أنور برأسه ثم سأل: المشاعر اللي كنت بتحسها لما ليلى تطلب الطلاق سبق وحسيتها قبل كده في طفولتك؟
بدا سؤالا صعبا كون محيي شرد فأردف: طيب احكيلي عن والدك ووالدتك
- والدي اتوفى وأنا صغير، والدتي كانت جميلة واتقدملها ناس كتير بس رفضتهم، ربتني وكانت حياة هادية، هي بتشوف طلباتنا وعايشين، واتوفت من فترة قريبة
- فاكر جمل أو كلمات كانت بتقولها وتضايقك
- كلام الأمهات العادي، أنا ضحيت بشبابي علشانك، اوعى تخذلني يا محيي، اوعى تحسسني إن عمري ضاع هدر، كده.
- كنت بتخاف أنها تتجوز ويكون لها حياتها.
- أكيد.
- وده اللي خلاك تتفوق في دراستك وتنجح.
- أكيد عشان تحس إن تعبها مراحش على الأرض.
- ولا لأنك كنت خايف تفقدها، خايف لو فشلت تسيبك وتتجوز.
تبادلا النظرات، بدا محيي قلقا وسأل: حضرتك بتحاول تربط بين أمي وليلى، في مشاعري ناحيتهم؟!
- مش بالظبط، أنا بأحاول أوصل معاك لجراح الطفولة اللي كانت سبب في الندية والعصبية المفرطة بينكم، كلمة السر في فشل العلاقات هي الخوف، بس من إيه دي بتختلف من شخص للتاني
رشف رشفة من فنجان قهوته ثم تابع: لما كنت صغير كنت دايما فاقد مشاعر الأمان في علاقتك بوالدتك، كنت حاسس أنه في أي لحظة ممكن والدتك تسيبك وتفقدها، ولما اتجوزت ليلى كانت جواك

أمنية أن جروحك طفولتك تلاقي اللي يداويها، بس اللي كان بيحصل أنه مع كل خناقة كنت بتستعيد نفس مشاعرك بعدم الأمان اتجه والدتك، وكنت بتسقط رد فعلك على والدتك على مراتك، الزعيق اللي خوفت يخرج منك لوالدتك واتحوش جواك لقى فرصة وبديل، ومش معنى كده أنك اتحررت من خوفك، بالعكس، الخوف فضل محرك خلاك تختار سكة آمنة للخيانة، بدون خوض في علاقات أو تعدد أو مطالبة بحقوقك، لأن كل ده كان هيبقى أسباب حاسمة للفراق، وأنت ببساطة خايف.

تنهيدة طويلة ثم نظرت في ساعة يدها؛ متى سيخرج؟
فركت يديها وفكرت أن ترحل ثم ظلت بمكانها، تلقفها سؤال آلمها، هل وجوده هنا يعني أنه جاء لأجل بيتهما وحياتهما، ماذا لو جاء لأخذ المشورة كي يحيا سعيد بحياة جديدة يخطط لها، أو ربما قد حظى بها فعلا
احفظي كرامتك يا ليلى وارحلي
بل انتظري لعله..........
استوقفها صوت اقترابهما من الباب، فحدقت به حتى انفتح وخط هو خطوة واحدة فقط ونظر ليجدها أمامه
"ليلى"
وحين رآها توقع أن ثمة شجار ينتظره، فهل سيرى أنور مشهد عملي من حياتهما هنا في عيادته، لكنها وقفت عاجزة وكل ما فعلته أنها استبقته مغادرة العيادة بينما تبادل هو النظر وأنور ثم خرج خلفها دون تعقيب بكلمة واحدة.

- أستاذ رياض ممكن تتفضل معايا.

قالها أحد الأطباء فتوجها إلى إحدى الغرف ثم جلسا وعندها طالع رياض وجه الطبيب بقلق وسأل: هي فاقت ولا لسه، مالها يا دكتور؟

ربت على كتفه وسأل: خير إن شاء الله، أنا بس محتاج أسألك عن مدام لبنى والظروف اللي مرت بيها الفترة الأخيرة، يا ترى كان في مشاكل أو وفاة شخص عزيز عليها؟

زاد القلق بداخله وأجاب: والدها اتوفى من فترة، و.......، وأنا وهي...........انفصلنا

- طلاق؟

أومأ رأسه بإيجاب فتابع الطبيب: فهمت

- هي عندها إيه بالظبط

"conversion disorder "

- مش فاهم

عاد لمكتبه وتوسطه ثم شرح: بص يا أستاذ رياض، إحنا عمرنا ما بنفكر إن الضغط النفسي والعصبي ممكن يبقى مؤذي أكتر بكتير جدا من أي مرض عضوي، لكن الحقيقة أوقات كتير الحالة النفسية بتكون هي الأساس، ومدام لبنى من كلامك اتعرضت لضغوط حست معاها بالعجز وده انعكس على حالتها الجسدية وبقى عندها اضطرابات التحويل، ودي حالة المريض معها ممكن يجيله (شلل أو خرس أو عمى) من غير ما يكون عنده أي أسباب عضوية لكده، لأن ده بيكون رد فعل للشيء المكبوت جواه، فبينعكس على حالته ساعتها

هم واقفا وهتف: لبنى جرالها إيه بالظبط؟
- مدام لبنى مش هتقدر تمشي.
"اتشلت!!"
تهجاها متقطعة بصوت مبحوح وقلب مضطرب فتابع الطبيب: دي حالة مؤقتة،المهم دلوقتي نفكر في العلاج؟
هوى على المقعد المجاور وطاف بعقله كل ما مضى، حتى فرضت جملة الطبيب عليه صفعة زلزلته: حضرتك طليقها، أعتقد هتحتاج تكلم أهلها مش كده؟
تذكر موقف تيسير والذي عرفه بالتأكيد من كريمة، وزاد شعوره بالأسى.
- جوايا سؤال مش هطلب من حضرتك إجابته دلوقتي، بس حاول تفكر فيه.
ساد الصمت فتابع: هل حضرتك تقدر تحط خلافاتكم على جنب وتتعامل من منظور إنساني، أنا معرفش شكل خلافاتكم لكن أعتقد اللحظة دي لحظة ضمير، أنك تملك القدرة أنك تساعد شخص رغم خلافك معاه أو كرهك له.
نكس رياض رأسه ثم سأل: أقدر أشوفها؟
- أكيد، بس هي مش هتفوق قبل الصبح.
لملم شتاته من الغرفة وخرج، هاتف أولاده وجاهد صوته أن يبدو طبيعيا ليطمئنوا.
مر بغرفتها فوجدها نائمة، طالعها بنظرة حزينة وقلب مرتجف، ولم يدرِ بأي شخص يتصل، وامتلكته الحيرة فأولاده وحدهم

ولا سخرية تضاهي شعور الوحدة رغم صلات الرحم، ولم يملك إلا أن يغادر ويعود مبكرا.
جلس أمام المقود متجمد دون حركة، كانت ليلة قاسية جدا وأقسى ما فيها ذلك الخليط من المشاعر الذي اجتاح صدره
" أنت شبة فاروق الدويري"
" الإهانة مش بس ضرب وشتيمة"
أسند رأسه للخلف وترك العنان لدموع عجز أرادت التحرر
لازلت على عجزك، كما أنت.
وما إن تمتم بها في نفسه حتى نظر للساعة وأدرك أنها على عتبات منتصف الليل، أدار سيارته بسرعة وصورة واحدة تتردد أمام عينيه "سعد"
الملعون سيدفع الثمن.

ما استشعره عندما رآها كان مزيج من مشاعر لم يسبق له أن اختبرها، فوضى بحاجة لنقطة نظام لكنه تائه.
تجاورا بسيارته دون كلام، وهيئتهما ما إن دخلا إلى منزلهما فرضت على فارس وفريدة الاستغراب.
تطلع فارس لوجه والدته بقلق بينما انزوى محيي بغرفة مكتبه متفاديا المواجهة معها.
سألتها فريدة إن كان هناك شيء فأومأت رأسها نافية، وتلاعبت الظنون برأس فارس حد الظن بأن والده اكتشف خيانة والدته أو ربما العكس وقبل أي أسئلة انزوت هي بغرفة نومها.
ساد القلق حد استغراب فريدة وسؤالها لأخوها.

- هما اطلقوا ولا ايه؟
- يا شيخة يبقوا ريحوا نفسهم وريحونا.
ثم تركها واتجه لغرفته، امتحانات الشهادة الإعدادية بعد يومين، لذا عليه أن يترك مراقبتهما ويستذكر عله يضمن مروره دون رسوب.
مرت ساعة، توجهت ليلى لإعداد فنجان من القهوة،فتفاجأت بوجوده خلفها يأخذ زجاجة مياه ويشرب، التفتت فنظرا لبعضهما وعندها سألته: أحضرلك العشا؟
- لا، هشرب معاكِ قهوة.
تجاورا أمام التلفاز، يحتسيان القهوة دون كلام، حتى قرر محيي قطع الصمت وعقب: ساكتة ليه؟
نظرت نحوه ولم ترد فتابع: توقعت إنك هتتخانقي معايا عشان موضوع دكتور أنور، أو............
زفر بشدة ثم تابع: مش عايزة تقولي حاجة؟
فكرت لحظة فيما قالته نبيلة عن بسمة، ثم فكرت فيما وجدته بحاسوبه ثم فكرت بأمر طلاقهما ثم............
- لا أبدا
- مش هتسأليني حتى أنا روحت للدكتور ليه؟
ولأنها تخشى إجابته ردت: لا
خالجه شعور بأنها لا تبالي، شعور دفين فرض عليه بالغ الضيق وعندها نظر لعينيها وسأل بحدة: للدرجة دي مش فارق معاكِ أي حاجة بعملها
هم من مكانه مقررا الخروج من الغرفة فعقبت بخفوت: أبدا

ترقرقت بعينيها الدموع فالتفت يطالع وجهها ثم جاورها وسأل: أنتِ متضايقة عشان شكلنا قدام الناس
بكت بشدة حد تشويشه لرؤيتها بهذا الضعف، استشعر أن خلف بكائها كلام فقال بحسم: اسمعيني يا ليلى، أنا عارف أنك مش عايزانا نكمل، وفاكرة إني رحت عشان أفرض عليكِ نستمر مش كده، بس أنا مرحتش عشانا، أنا عارف أن موضوع طلاقنا محسوم عندك، أنا بس فكرت أزاي نخلي فارس وفريدة يتقبلوا ده من غير ما يأثر على حياتهم.
وجملته كانت كصفعة حادة ذات كلمات محددة وواضحة، لقد استعان بدكتور أنور من أجل أولاده ولكي يتمم الطلاق الذي يظن أنه لايزال رغبتها.

كان كل واحد منهم بغرفته إلا كريمة بالمطبخ، لم يستطع سعد النوم، كان يريد وبشدة أن يتصل بلبنى ليعرف ما فعلته ممنيا نفسه التخلص من غريمه.
علا زامور سيارة رياض كي تنفتح البوابة فهرول سعد للشرفة وما إن نزل رياض من سيارته حتى رفع رأسه لأعلى، تبادلا النظرات؛ رياض يتوعد وسعد مصدوم.
ركض رياض للداخل حتى أنه أبعد كريمة عن طريقه ولم يستوقفه نداءها
صعد الدرج بخطوات واسعة ثم ضرب باب سعد بقدمه ليفتحه عنوة، ثم سحبه من ملابسه وجره لأسفل فلم يملك سعد إلا دفعه ليسقط.
وتعالى صراخ كريمة من حولهما لكن ما كان أيا منهما ليسمع.

هذه المرة لن يستسلم سعد لضربات رياض بل سيرد اللكمة باللكمة والصفعة بالصفعة بل وسيسعى ألا يترك فرصة لإجهازه عليه أبدا.
عدة لكمات أسفرت عن ارتطام سعد بالأرض فأمسك بقدم رياض وسحبه فسقط، فقام واقفا مقررا وضع حذائه فوق عنق رياض كي يضمن شل حركته وعندها هتف: حقوقي مش هتنازل عنها عشان أرضي منكم حد بعد النهاردة، وأول ما تخلص شهور العدة هتجوزها، ومش هسمحلك تفرق بيني وبينها، هتجوزها يا رياض والولاد غصب عنك هيكونوا معانا، فاهم.
دفع قدمه عنه وقام يرد: نجوم السما أقربلك منهم يا سعد،هردها.
- مش هتلحق.
قالها سعد وارتمى بجسده فوقه ليعيد لكماته وضربه بينما اندفع أيمن يبعدهما فدفعه سعد ليبعده.
"كفاية"
قالها فاروق بحدة لكن لم يسمعه أحد، رد رياض اللكمات حتى تمالك نفسه فوقف مقررا سحب سعد ليخرجا إلى حديقة الفيلا، تطلعا بغيظ لبعضهما وقد وقف سعد، تبادلا النظرات ثم حاولا التقاط أنفاسهما فكليهما قد أنهك ثم كانت جذبة رياض لسعد من ملابسه وهو يزعق: ده جزاتي، أستأمنك على مراتي وولادي فتطمع فيهم.
رد بغيظ وهو يدفعه: أنت متستحقهومش، أنا اللي ربيت وكبرت، أنا اللي أديت لبنى الأمان والاهتمام، أنت رضيت تكون لهم بنك، بس أنا كنت زوج وأب.
ــ ساااااااااااااافل
ولكمة أخرى وما كانت لتنطفئ ناره

- مكانك سيبته وهربت يبقى متلومش إلا نفسك.
- استغليت ضعفها بكل قذارة، عشان توصلها.
- العلاقات مش سرير وبس، اللي بيني وبين لبنى مشاعر مش القذارة اللي في دماغك، لبنى أشرف من الكل، وعمرها ما سمحتلي بأي تجاوز، أنا بحبها وهي بتحبني، سامع بتحبني أنا، الولاد بيحبوني أنا، أنا أبوهم الحقيقي، مش بالشهادات ولا البطاقة.
- خسيس وندل وطماع.
قالها ثم عاودا النزال.
- بحبها وهتجوزها سامع
- اخرس
- بحبها
- قولتلك اخرس
- بحبهاا
- اخرررررس
ولأنه لم يصمت أجبره على السكوت، ضربة محتدة فوق رأسه أفقدته الوعي، فترنح جسده أمامهم ثم سقط فركضت إكرام تسنده وهي تصرخ باسمه: قوم يا سعد، قوم أبوس رجلك، قوم يا سعد أنا مليش غيرك، قوووم
بكت بحرقة ودفنت رأسها في صدره، ثم وقفت قبالة رياض وهتفت: ليه عملت كده يا رياض، ليه؟!
- قبل ما تلوموني كلكم أسألوه هو راح للبنى وطلب منها إيه، سعد عايز يقتلني، اساليه أنتِ ليه يا إكرام، ليه الغدر ده كله وأنا اللي اعتبرته أخويا، اعتبرته أقرب حد ليا.

" كل ده عشان لبنى"
صرخت بها كريمة بحرقة ثم أردفت
"بنت أقذر راجل عرفناه في حياتنا تعمل فيكم كده"
"بنت الراجل اللي كان السبب في........
"كريمة، اسكتي"
"لا مش هسكت يا فاروق مش هسكت ولازم سعد يعرف الحقيقة
جذبها بحدة من ذراعها وصرخ فيها: قولتلك اسكتي
- لحد امتى هفضل ساكتة، مختار المسيري ده..
هوى بصفعة على وجهها فرضت عليها الصمت بطريقته ثم هتف
محتد: الظاهر حنيتِ لضرب زمان يا بنت بيومي
فتح سعد عينيه ببطئ ثم نظر لرياض، نظرة أكدت أن الأيام بينهما
وأنه لن يتنازل أبدا
وعندها هتف فيه فاروق: حقوق إيه اللي بتدور عليها يا ابن أخويا،
أنت عشت واتربيت في البيت ده عشان تبقى تحت طوع فاروق،
عايز تمشي بدماغك، ماشي بس تسيب البيت ده وتمشي وملكش
عندي حاجة وكله بالقانون والأوراق الرسمية
ثم نظر لرياض وتابع بغلظة: قصة لبنى دي تخلص بقى، أنت طلقتها
سيبها تغور، تتجوز، تصيع، تضيع هي حرة، وولادك هيتربوا هنا
في بيت جدهم، عايز تسافر أنت كمان سافر، المهم عندي أخلص من
الصداع ده مفهوم.
تركهم وصعد للأعلى وقد جذب كريمة من ذراعها لتلحق به عنوة
بينما اتجهت إكرام لتحضر كوب ماء لأخيها، فالتفت رياض وقرر أن
يرحل، استوقفه صوت أيمن وهو يسأل: هتقدر تسوق؟

صمت فتبادلا النظر وعندها أردف: أنا هوصلك.
أوقفه بيده وقال بحسم: مش عايز منكم حاجة.
واتجه لسيارته ركبها ورحل
فالتفت أيمن لسعد يتبادلا النظر، فلم يعد هناك تعقيب على ما حدث.

عاد إلى المنزل وارتمى على الأريكة يلتقط أنفاسه، لكنه فزع حين سأله إياد فجأة عما حدث: فين ماما؟
- جرالها حاجة ولا إيه؟
سألت ريناد وقد بدا واضحا أن ثالثهما نام، تطلع للخوف البادي على وجههما، بالكاد توقفا عن البكاء، وبدورهما تطلعا لهيئته كانت ضربات سعد واضحة، بدا واضحا أنه تشاجر مع أحدهم، امتلكهما الخوف وعجزا عن ربط الأحداث ببعضها وخشيا أن يسألا، اليوم اختبرا الخوف بكل تفاصيله، وعرفا الفقدان والأسى، ربت على كتفهما وقال: ماما هتبقى كويسة
- طيب مروحتش معاك ليه؟
- الدكتور قال لازم تفضل في المستشفى لحد ما تخف
- هترجع بكرة يعني؟
بفارغ صبر أجاب : بكرة هنعرف، دلوقتي ناموا والصبح هنروح المستشفى، وإن شاء الله تروح معانا
ظلا بمكانهما دون حراك حتى أشارت ريناد لكدمات وجهه وسألت: بابا هو حضرتك كويس؟
رد بحسم: أنا كويس، وهبقى كويس أكتر لو سمعتوا الكلام ودخلتوا نمتوا

قالها واتجه للحمام المقلوب رأسا على عقب مقررا تنظيف بقايا الزجاج ثم غمر وجهه بالماء عدة مرات قبل أن يتجه لغرفة نومه ليتفاجأ بزياد وقد تكوم على نفسه دافنا رأسه أسفل الوسادة، وقف لثواني يراقبه ليتأكد عندها ظنه، أنه مستيقظ، أنه يبكي.

جاوره وعندها ومضت بعقله جملته.

" سعد هو اللي بابانا"

بجوار كل جملة قالها سعد وصفت تقصيره، فقرر سحب ذراعه لكنه أبى وظل على حاله

- مالك؟

- عايز ماما

- بطل عياط وأنا هوديك عندها بكرة.

- بس هي ماتت

- مين اللي قالك كده ؟

- أنا شوفتها

سحبه من ذراعه، وهذه المرة استجاب، لكن رأسه ظلت منكسة، شعر بخوف حيال صغيره، ما الذي ينبغي عليه أن يفعله، هل عليه أن يكون أب، ولكن ذلك الأمر يخيفه

الأب هو فاروق، المستحيل أن يكون فاروق!!

بل هو فاروق بشهادة لبنى.

رفع رأس ابنه ثم نظر لعينيه وقال بحزم: ماما عايشة وهتبقى كويسة، روح دلوقتي نام في أوضتك

- بس أنا خايف

- متخافش

قالها ببساطة وكأن على زياد الضغط على زر سيعيد له الأمان فأجاب الصغير ببراءة: أنا لما كنت بأخاف كانت ماما بتحضني عشان مخافش

أيعني هذا أنه يريد نفس الشيء منه؟

ولن يصدق أحد أن يداه ارتعشت لأنها ستلمس جسد ابنه، دفن رأس زياد بصدره، أتعني حقا تلك الضمة؛ الأمان؟

واللعنة عليك أبي، حين بدلت بعقلي كل المفاهيم السوية، هو بأمس الحاجة لأن يحتضن أبناءه قبل حتى أن يكون هذا احتياجهم منه.

بدا له أنه قد سكت، ظن أنه نام إلا أنه حرك رأسه لينظر له وأعاد سؤاله: ماما بجد كويسة؟

- أيوة، أنت مش مصدقني

- لا مصدقك

ساد الصمت لدقائق سأله رياض بعدها: لسة خايف؟

- شوية صغيرين

ضمه إليه أكثر حتى استشعر أنه نام ففكر أن يبعده لكن ذراعين الصغير قد حوطا عنق رياض، لتفرض عليه البقاء كما هو، فلم يملك إلا أن ينظر له ويشرد في تفاصيله

حين يجتاح الجميع فوضى لا متناهية من المشاعر تظل هي دوما كعادتها الاستثناء.

فهي الآن لا تشعر بأي شيء على الإطلاق ولو أقسم كل أطباء العالم أنها لازلت على قيد الحياة فلن يزعزع ذلك يقينها بأنها ماتت وتحديدا عندما اختار مختار دون أن يضعهن في اعتباره.

فتحت عينيها ببطئ تستوعب وجودها بالمشفى، ترى المحاليل المعلقة بجوارها، وترى الشروق يطل حثيثا على غرفتها، أيعني هذا أن الأمس قد مضى يا لبنى.
طرقت الممرضة الباب ودخلت وما إن رأتها حتى ابتسمت، استفاقت المريضة بغرفة 306، جملة فرضت على الطبيب أن يأتي.

استيقظ وأسرع بتجهيز حاله وأولاده وهاتف ليلى ليخبرها، مكالمة كانت ولا أسوأ فليلى صاحت بمن أقرت أنه السبب مقررة التوعد.
وما إن أغلقت الهاتف حتى استشعرت أن غضب الدنيا قد تملكها، أمسكت هاتفها وهاتفت تيسير، طالعها محيي وقد استوقفه زعيقها بوالدتها وقد حملتها المسوؤلية ثم اتجهت لتبدل ملابسها وما إن انتهت حتى وجدته بجوار باب الشقة مقررا أنه سيذهب معها.

لم تتمالك لمياء نفسها حين عرفت، كانت تيسير قد هوت لأقرب مقعد لصدمتها، هل هي المسؤولة عن ما آلت له حياة ابنتها.
(أنتم لو بتسمعوا كلامي مكنش كل ده حصل)
قالتها متلجلجة بينما لمياء تطالعها بغيظ، فسألت: بتبصيلي كده ليه، أنا لو كنت قاسية عليكم زي ما أنتِ فاكرة فده خوف عليكم وعلى مصلحتكم، القطة لما بتحس بالخطر ممكن تأكل عيالها....
ولأنها على يقين تام بأفكار والدتها تركتها دون رد وقد قررت الذهاب للاطمئنان على لبنى.

كان يبحث عن مكان يصف فيه سيارته بعدما نزلت ليلى، فأتاه إتصال من سعد يريد إجازة من عمله اليوم، وعندها أخبره بأنه بدوره قد يتعذر عليه الذهاب، ليعرف عندها سعد أن السبب هو نقل لبنى للمشفى،فلم يملك إلا الإسراع كي يطمئن عليها وقد قرر بطريقه أن يرسل رسالة لغادة دون مقدمات وبكل حسم
(أنا آسف على اللي هقوله، بس كل شيء قسمة ونصيب)

رسالة استوقفتها وهي تتجه للمشفى وبينما ثمة من كادت تصدم بها وقد دخلت تسأل: لبنى مختار المسيري غرفة كام من فضلك
- مفيش حد في المستشفى بالاسم ده.
انتظرت وعندها تأكد الأمر إلا أنها أقرت أنها أتت بالأمس، فطُلب منها أن تسأل بقسم الطوارئ، فتوجهت مسرعة حيث أُشير لها وعندها وقفت أمام أحد الأطباء لتسأل فبحث عن الاسم وعندها أكد لها أنها لم تأت، لكنها لم تكن تسمعه كانت تحدق بمعطفه الطبي وتحديدا المشبك المعلق بجيبه وقد كُتب عليه اسمه
"مازن عبد الراضي"
تطلعت إليه بذهول حد أن نظراتها استوقفته فنظر لها فخفضت بصرها كادت تخرج لكنه صدمها حين اقترب منها وسأل: إحنا اتقابلنا قبل كده؟
تطلعت لوجهه وأجابت: معتقدش
- في عيد ميلادك، أنا كنت ضيف مع بابا دكتور عبد الراضي، مدير المستشفى دي وصاحب باباكِ
شعرت ببالغ القلق فتابع: مش لميا المسيري برضو

ايوة، بس أنا أول مرة أعرف إن باباك وبابايا كانوا أصحاب
- مش أصحاب وبس، وشركا كمان، هما وأونكل فاروق وأونكل فوزي، الأربعة شركا في المستشفى دي
شعرت ببالغ التشتت وفي نفسها، هل ستنتهي أسرار أبيها يوما؟
- أنتِ كنتِ بتدوري على مين؟
جملة انتشلتها من شرودها تابعها رنين هاتفها حيث ليلى قلقة كونها لم تأت بعد، لتدرك عندها أن رياض بالتأكيد قد نقلها لمشفى آخر وعندما لم تمنح مازن إجابة على سؤاله وتركته واتجهت للمشفى التى بها لبنى.

خرجت ليلى من غرفة الطبيب بعدما أطلعها على حالة أختها لتجد رياض قد وصل وجلس بجاور أولاده أمام غرفة لبنى يطعمهم بعض المخبوزات التي اشتراها لفطورهم، بانتظار استفاقتها
فاجتاحته بإعصارها وقد وقفت أمامه وزعقت: عملت إيه في أختي يا ابن الدويري؟
زعيق فرض على رياض أن يهب واقفا لا يدري بما يجيبها بينما نظر أولاده لخالتهم التي رد عليها برجاء أن تهدأ، لكنها لم تفعل وتابعت: ظلمتها وطلقتها، عايز منها إيه تاني
- يا ليلى كفاية بقى، الولاد واقفين حرام عليكِ.
(أنت وماما اتطلقتوا)
(هي ماما في المستشفى عشان أنت زعلتها)
وما بين كلمات إياد وريناد تطلع زياد بأسى ثم قال بحزن: أنا مش فاهم يعني إيه اللي حصل

قالها زياد بخوف فأجابته ريناد بضيق: يعني بابا خلاص هسيبنا ويمشي
وكاد يرد بأن هذا هو ما يفعله دوما إلا أن رؤية سعد فرضت إجابات أخرى
ركض الثلاثة نحوه بينما جثى هو على ركبتيه فاتحا ذراعيه ليحتويهم، وقد نظر لرياض بتحدي
وكأنه يقر بأنه لن يعوضهم مهما تواجد
(سعد يكسب)
لأن من بذل يستحق المكافأة
(ماما تعبانة قوي يا أونكل سعد)
قالها زياد وبكى فضمه لصدره وأكد: ماما هتقوم بالسلامة وهتبقى كويسة
ثم أمسك بأيديهم في يده ونظر لأعينهم وقال: بابا سعد دايما كان بيقولكم إيه
(طول ما إحنا مع بعض مفيش حد ممكن يفرقنا)
ولن يعد للنظرات قيمة حينما تشتعل المشاعر حد ضجيج وتشوش وخسارة..
ورهان بين أب مزيف وأب حقيقي

(15)

لم يملك إلا الإتيان خلفه لإدراكه أن ركضه بتلك الطريقة وخروجه بتلك السرعة لا يعني إلا أن هناك كارثة

وصل أيمن للمشفى وما إن رأى سعد وهو يفتح ذراعيه ليحتضن أبناء رياض حتى تأكد من أن الكارثة ستأتي

"مش هترتاح يا سعد إلا لما جريمة تحصل"

تمتم بها ثم التفت على هتاف لمياء باسمه وقد جاورها محيي وعندها استوقفته نظرة احتقار صارمة أطلت من عين لمياء وصرخة؛ كانت من أبناء رياض حينما أمسك والدهم بعنق سعد وبدأ يضغط عليه بينما انقلب المشفى، فلم يعد يعني رياض الآن إلا قتل ذلك الدنيء بل هي خطوة متأخرة كان عليه أن يفعلها منذ عودته

"اهدا"

قالها أيمن وقد سحبه هو ومحيي ليبعدوه عنه بمعجزة، فلم يكن رياض يسمع أي أصوات من حوله

دفعه أيمن ليجلس على أقرب مقعد وجلب له زجاجة ماء ليشرب بينما ساعد محيي سعد على الجلوس وناوله الماء، وأولاد لبنى انكمشوا بلمياء خائفين باستثناء إياد الذي طالع والده وسعد بنظرات تحوي الريبة، كيف لذلك أن يحدث ووالدهم يحب سعد ربما أكثر منهم

التفت مبتعدا فنادته لمياء ليقف إلى جوارها فبرر أنه يريد السؤال عن والدته، لكنها الزمته بالوقوف إلى جوارها

فأسند جسده على الحائط فجاورته ريناد وسألت: أنت فاهم حاجة

أجاب هامسا: يمكن حكاية الأكونت هي السبب، أنا هحاول أشرح لبابا

- أكونت إيه مش فاهمة

وقبل أن يكمل كان هتاف ليلى لسعد بحدة: من فضلك يا سعد كفاية لحد كده وامشي

نظر لها بغيظ فسحبه أيمن من ذراعه ليخرج به فدفع يده عنه وقام وحده، وقد نظر لرياض بتوعد ثم غادر

ونظرته فرضت على أيمن القلق فقرر اللحاق به، ولم تعد لمياء قادرة على السيطرة على فضول اجتاحها فأسرعت خلف من رحل مقررة أن تستوقفه على عتبات المشفى، وما رأته عندها أن أيمن يريد التحدث لسعد بينما سعد يبعده وقد ركب سيارته ورحل

فهتف أيمن بصوت مسموع: غبي

ثم توجه لسيارته وقبل أن يتحرك وجدها تقف أمام السيارة، ووقوفها فرض عليه النزول من سيارته وسؤالها بقلق: في حاجة حصلت؟

عقدت ذراعيها أمام صدرها وأجابت: ممكن أسألك عن حاجة

حدق فيها باستغراب فأردفت: سؤال وبعدها همشي

- خير؟!

- إيه اللي تعرفه عن شذى بالظبط وليه اترفدت؟

طالعها بضيق، أتظن أنه ينقصها الآن، لكنه قرر ألا يراوغ وسأل: أنت مش مصدقة كلامي عنها؟

- أنا مش مصدقة إن أنت فجأة بقيت واعظ، بتنصحني أخلي بالي من شذى وبتبعدها عني وبتحذرني منها

زفر ثم هتف بحدة: وأنا أيمن الشمال،مش كده ؟
بدا هازئا لكنه كان يدرك أنها محقة في استغرابها وعندها أكمل:
أيمن الشمال مش الشيطان، أيمن اللي حياته غلط في غلط، بس جايز مش عايز حد يكون زيه، وعشان كده قالك أصحابك دول كانوا غلط
- قصدك شذى ونشوى؟
بدا مرتبكا ورنين هاتفه يلاحقه، نظر للمتصل وأغلق الهاتف دون رد ثم استشعر القلق كونها ذكرت اسم نشوى لكنه أجاب بحسم: أنا مضطر أمشي دلوقتي، وإجابتي على سؤالك؛ أيوة، فياريت تبعدي عنهم
ولم يمهلها الفرصة لكلمة أخرى وركب سيارته وغادر

هل يظن الجميع أنه الأبله؟
نظم أنفاسه وأخرج الكتاب الذي اشترته غادة هدية من أحد أدراج سيارته، طالع الإهداء المكتوب بخط يدها وابتسم هازئا، من تظن نفسها لتتلاعب بسعد الدويري، أوقف السيارة أمام المشفى التي يعمل بها، ثم أمسك هاتفه مقررا تبديل رقمه برقم آخر ثم أرسل رسالة
(معرفتش أرد عليكِ الصبح، أنا مستنيكِ في العربية، أيمن)
أرسلها ثم قرر أن يبدأ العد التنازلي بانتظار مجيئها
خمسة
ما إن قرأت الرسالة حتى بدأت في جمع أغراضها والتوجه للمصعد
أربعة

رن هاتفها وكان الاتصال من أيمن بالفعل ولكن من رقمه الشخصي

ثلاثة

أجابته وقالت: قدامي خمس دقايق وأكون عندك

اثنين

توقف المصعد ولكنها لم تخرج منه بل طالعت شاشة هاتفها بهدوء وقد لاحظت اختلاف الأرقام فأغلقت المصعد وعادت أدراجها للمعمل وما إن وصلت حتى هاتفت أيمن وسألت: أنت بعت أي رسايل من تليفون غير تليفونك؟

واحد

- أنا اللي بعت

قالها سعد فاستدارت فجأة فسحب الهاتف من يديها وقرر أن يسمع

- غادة بلاش مكالمات الفترة دي، واوعي تتصلي أنت أنا اللي هتصل بيكِ، فاهمة

بهت وجهها وهي تتابع وجه سعد وقد قام بتشغيل مكبر الصوت ثم أشار لها لترد فقالت: فاهمة يا أيمن، سلام دلوقتي

وتعمدت أن تنتهي المكالمة دون إطالة، بينما التفت سعد يغلق الباب ثم استدار وخطا نحوها واضعا الكتاب بيدها وهو يهتف: برافو

دار حولها وأردف: بنت بريئة تظهر لسعد أنها معجبة بيه، هدية بيحبها وإهداء مكتوب بعناية، برافو، أعترف أنها اتلعبت صح، وكان ممكن تكمل للآخر لو عملتوا حساب لذكاء الطرف اللي قدامكم

ثم همس في أذنها بتأكيد: ولا أنتِ نسيتِ إن أنا كمان تربية فاروق؟؟

سيطرت على انفعالاتها وأجابت: أنا مش فاهمة أنت بتتكلم عن إيه بالظبط

ابتسم باستهزاء وأجاب: لا عارفة، أنا متأكد أنك عارفة
جذبها بقوة من ذراعها وزعق: الفيديو اللي وصل لرياض مين اللي بعته؟، ولا أقولك السؤال الأهم، مين اللي دبر إني أنا ولبنى نروح نفس الفندق ورياض يكون هناك، سؤال سألته لنفسي وأنا بين الحياة والموت، والإجابة كان لازم يبقى فيها اسمك، محدش غيرك كان يعرف أنا رايح فين، صح ولا لا
دفعت يده بقوة وقد نظرت له بغيظ فأردف: وده اللي خلاني آخد موبايلك، وشكوكي أتاكدت لما لقيت رقم أيمن، ورسالة بميعاد ومقابلة، ساعتها سيبتلك مكالمة بيني وبين لبنى، تتلهي فيها وقررت أشوف آخرك....
- وشوفته؟
قالتها هازئة ثم عقدت ذراعيها أمام صدرها وعندها تبادلا النظر فقررت أن يسألها بحسم: إيه اللي أنتِ عايزاه بالظبط يا بنت منصور، حق قديم ولا تصفية حسابات
وبكل ما تملك من هدوء أجابته: الاتنين يا سعد

استفاقت
وما إن أخبروهم حتى هرول أبناؤها لغرفتها وقفزوا فوق السرير وضموها، تابعتهم ليلى ولمياء بينما رياض تأخر عنهم ليفرض جلوسه على محيي مجاورته وهو يعقب: ألف سلامة على لبنى، أنا سألت الدكتور على حالتها وقال أنها لازم تبدأ في العلاج على طول صمت ولم يرد، كان على يقين بأن مواجهة حتمية بانتظاره مع لبنى، كان مشوش للحد الذي لا يدري به ما الذي ينبغي عليه فعله

" والدها متوفى وزوجها طلقها"
قطعه محيي من شروده وهو يمد يده بالكارت مؤكدا: دكتور كويس واسمه أنور مندور
طالع الكارت ثم نظر له وعقب: كل الدكاترة النفسيين مبقاش عندهم ضمير، مهدئات وجلسات كهربا وخلاص
- في ناس كويسة، ده كويس بشهادة ناس كتير أعرفهم، وربنا يطمنك عليها
قالها ثم قرر الدخول لغرفة لبنى للاطمئنان عليها بينما ظل رياض يحدق بالكارت
مرت ساعة استأذن بعدها محيي ورحل، وخرجت لمياء برفقة أبناء أختها لتحضر لهم عصير بينما بدأت ليلى حوارها مع لبنى بإخبارها أنها لم تخبر تيسير باسم المشفى كي لا تأتي، وكم شعرت لبنى بالراحة لذلك، هي لا تريد رؤية والدتها، لأنها على يقين من أنها في كل الأحوال ستحملها نتيجة ما آلت له حياتها وهي ليست في حالة تسمح لها بسماع المزيد، وعندها أكدت ليلى: أنت هتقعدي معايا لحد ما تخفي، أنا هشرح لمحيي الظروف وهو مش هيعارض
قاطعتها لبنى بحسم: متقلقيش يا ليلى، أنا عارفة أنا هروح فين
- أوعي تكوني ناوية ترجعي تاني لابن الدويري
- أكيد لا، احنا خلاص طلاقنا تم، ومفيش حاجة تخليني أرجع، أنا من دلوقتي بيت أبويا أولى بيا
- هتعيشي مع ماما

قالتها برهبة فانزوت على شفتي لبنى ابتسامة ساخرة وأجابت: بيتنا القديم يا ليلى، شقتنا القديمة اللي كنا فيها قبل ما بابا يعرف فاروق الدويري

- يااااه وأنت إيه اللي فكرك بهناك، وبعدين أزاي هتعيشي لوحدك

وقبل الرد طرق رياض باب الغرفة ودخل ثم نظر للبنى وسأل: عاملة إيه دلوقتي

(كويسة وعايشة غصب عنك)

قالتها ليلى فزفر بغيط فأردفت: لو متخيل إنها ملهاش حد تبقى غلطان

- من فضلك يا ليلى، ده مش توقيت خناق، وأرجوكِ مش عايز أي كلام قدام الولاد

- ده على أساس إن ولادك بيفرقوا معاك أصلا

ولوقع الكلمة غصة في حلقها هي أولا، وشعور دفين بالخوف بعدما رأت ما فعله أولاد أختها عندما ظهر سعد، فقط للتأكد عندها من أن المسؤولية عطاء قبل كل شيء

- ليلى من فضلك سيبينا لوحدنا شوية

قالتها لبنى بهدوء بينما شعرت ليلى بالقلق، لكن إصرار لبنى فرض عليها الخروج، وما إن خرجت حتى تطلع رياض لوجه لبنى، كان قد مر على الطبيب ليسأل عن حالها وثمة تعقيب هام أخبره به، لبنى ستبدو من الآن غير مكترثة للقادم بل وستتعامل بكل برود ولا مبالاة ، وهذا ما ظنه لكن ما إن بدأت كلامها بسؤال بلهفة عن أبنائها حتى تيقن، ثمة أشياء عند لبنى لن تتبدل وعلى رأس ذلك أمومتها

كان قد جلس أمامها على أحد المقاعد يسمعها وقد تحدثت بوضوح: أعتقد طالما الولاد عرفوا أننا اطلقنا، كده أقدر أتمنالك التوفيق وأمشي وأنا مطمنة إن باباهم هيعرف يخلي باله منهم

كانت تسعى للتحدث بهدوء لكن وقع الكلمات عليها كان قاسيا، لكنها لم تبك وهذا على الأقل جيد كونها ستظهر بعض قوة لأنها ما عادت تريد من أحد شفقة

- ليلى هتروح البيت تأخد كل متعلقاتي، وأنا هطلع من المستشفى على بيت بابا، وحساب المستشفى أنا هدفعه من حسابي في البنك، وتقدر من انهاردة تاخد الولاد وتمشي أنا خلاص بقيت كويسة

- هتقعدي مع طنط تيسير بعد موقفها....

قاطعته بلهجة صارمة: خلافاتي مع أهلي شيء يخصني أنا لوحدي يا باشمهندس رياض، وهعيش فين ده شيء يرجعلي، أعتقد أنت مستوعب أننا انفصلنا والمهلة اللي كانت محددة ليا أقعدها مع ولادي خلصت، مش كده؟

تنهد بضيق ورد: عارف، بس الدكتور قال العلاج هياخد وقت، جلسات علاج طبيعي والعلاج النفسي، ولمياء امتحاناتها خلال شهر وطنط تيسير مش هتقدر لوحدها على متابعة حالتك

- قولتلك اللي جاي ميخصكش

جملة فرضت على من تظاهر بكظم غيظه الانفجار فيها ضاربا بكل تعليمات الطبيب عرض الحائط فهتف: يعني إيه اللي جاي ميخصنيش، امال يخص مين

قابلت حدة صوته بحدة وأجابت: يخص اللي شال المسؤولية من الأول

- سعد مش كده؟!

قالها بغيظ فهتفت بحدة: لا أنا، أنا وبس

شعر بنفسه قد تجاوز تعليمات الطبيب فتراجع عن استمرار حدته رغم ضيقه بينما قررت هي التعقيب

(اسمع يا رياض، لو عايز نفتح الدفاتر القديمة ونتكلم في اللي فات، يبقى اسمعني بقى، لإني جوايا كتييييير قوي نفسي أقوله، ومش هرتاح بجد إلا لو أنت اللي سمعته مش دكتور نفسي)

شعر بالقلق من تطور الأمور بينهما فعقب: خلاص يا لبنى، خلينا نكمل كلامنا وقت تاني

- لا

قاطعة سمعها ومن بعدها أردفت: مش هسمحلك تهرب زي كل مناقشة عدت، مش كل مرة يكون آخرك أنك موجود صورة، أنا محتاجة أتكلم، أتكلم وأنت تسمع من غير ما تقاطعني، سيبني أحكيلك، واسمع عشان من حقي عليك أنك تسمع

(لبنى، الدكتور قال.....)

(سيبك من كلام الدكاترة، أنا عارفة دوايا، أنا اللي عارفة إيه اللي هيريحني)

فرت دمعة من عينيها فقام من مكانه وأولاها ظهره وقد أسند ذراعه على الحائط المقابل ثم زفر وقد نكس رأسه ثم قال: الكلام ممكن يتعبك

- الكلام هو اللي هيريحني

ترقرت عيناها بالدموع والدمعة الفارة كانت من نصيب عينه هو

- عايزة تقولي إن أنا السبب

- لا يا رياض، عايزة نفتح عنينا ونشوف الخمستاشر سنة اللي عدوا من عمرنا عدوا أزاي، واعتبره كشف حساب قبل الفراق
صمتت وصمت ثم كانت منها المتابعة
- أنا مش هحملك المسؤولية لوحدك، لأني أنا اللي بدأت بالغلط، لما قبلت بمسؤولية مش بتاعتي، لما شيلت فوق طاقتي لحد ما وقعت على جدور رقبتي، بس عارف كل ما الوقعة بتكون أصعب، كل ما الرؤية بتكون أوضح
التفت يطالعها ثم عاد لمقعده وعقب: أنا سامعك
تنهدت وردت: خلينا نبدأ من الأول، لما قررنا نرتبط عشان أهالينا اقترحوا وإحنا وافقنا، لما سعد وقتها كان لسه مخلص ثانوية عامة، وأنا لسه عروسة وأنت أخوه الكبير اللي شايف أنه أصغر مني، لما وصيته عليا وأنا قبلت بوجوده لأني كنت شايفاه زي أخويا الصغير، وطول السنين اللي عدت كنت ساكتة طالما أمورنا مستقرة، طالما في حد قادر ينوب عنك، يبقى ليه أعترض، ولأننا اختارنا أننا نستعمى عن وضع غلط، كان لازم الحياة تدينا بالقلم، قلم يفوقنا ويخلينا نشوف إحنا وصلنا لفين وأول قلم كان موت بابا وقتها فعلا حسيت أنا قد إيه بقيت لوحدي، وتاني قلم يوم ما إياد حس بمشاعر ناحية زميلته في المدرسة، وجري على سعد يحكيله، وخاف مني، بس القلم الأشد، كلام إياد لسعد - بابا عمره ما كان مهتم - يومها انهرت، عشان هزني قوي إن ولادنا شايفين حقيقة علاقتنا، ولما عيطت سعد قرر يقولها بصراحة - لبنى أنا مهتم لبنى أنا بحبك - بس القلم ده كان غير أي قلم، القلم ده كان كسرة ومذلة، الأخ الصغير كبر وحب أخته الكبيرة، لا

وشهقت وبكت وبكى وهتفت: هو مبقاش أخويا الصغير، هو بقى السند والأمان والضهر، هو بقى كل حاجة لدرجة إن غيابه فرق مع الولاد وكأن أبوهم الحقيقي اغترب، وقتها قررت أقرب أنا من الولاد لوحدي، بس مكنش ده بالسهولة اللي كنت فاكراها مع أول مشكلة حسيت إن غيابه كشف ضعفي، عملت أكونت على الفيس بوك باسمك وكلمت الولاد منه، بس زياد زعل أنك مش مهتم بيه ومهتم بأخواته الأكبر، وإياد رفض يصدق وريناد مثلت عليا وكان ده أشد قلم في الأقلام اللي عدت، الولاد كبروا، الولاد واعيين، الولاد متأكدين إن بابا عمره ما اهتم ولا هيهتم، ومهما حصل مفيش شيء هيتغير

تبادلا النظر، نظرة بدا منها يقينا أن القادم بينهما مستحيلا، زاد بكاؤها وعندها عقبت: أنا مش صعبان عليا غير إن ولادنا هما اللي بيدفعوا فاتورة غلطتنا، طول السنين اللي عدت كنت بتمنى أنك ترجع وتجمعنا، ويكون لولادنا أم وأب، بس يوم ما رجعت قولتلي أنهم هيكملوا اللي جاي من غير أم، وده كان القلم اللي بكل الأقلام

- خلاص يا لبنى، أنا مستعد أسيبلك الولاد لو ده هيريحك

- وأنا مش موافقة

قالتها بحدة وقد انقلب ضعفها لقوة ثم أردفت: ولادك لهم حق فيك يا رياض، وأنا مش هسمحلك تتخلى عن مسؤوليتك بعد انهاردة، مش هكون أم وأب وأنت بابا نويل، لا الولاد معاك حتى لو مسافر خدهم، وتقدر تتجوز من بكرة لو عايز، أما أنا فتقدر تعتبر نفسك حطيت إزازة سعد فعلا في العصير، واعتبر لبنى ماتت من انهاردة

قالتها وأسندت ظهرها للخلف وقبل أن يعقب بكلمة طلبت بجدية: أنا محتاجة أرتاح، فيا ريت تتفضل دلوقتي

أخبرت لمياء أنها ستنصرف ثم ستعود في المساء، واتجهت لسيارتها وهي تحاول نفض ما سمعته من أختها

(بابا عمره ما كان مهتم)

ابتعدت عن الباب وفضّلت ألا تدخل بل قررت أن تبتعد عن المكان برمته

ليلى ليست تيسير فحسب، بل خليط من تيسير ورياض، سنوات اكتشفت اليوم أنها مضت، كومضة خاطفة، لتستفيق على رؤية أقرب لمن أبصر بعد عمى

فتحت باب شقتها ودخلت ثم وقفت لبرهة تطالع شقتها وأركانها التى طالما كرهتها، طالما استشعرت أنها كسجن آخر غير سجن تيسير، نادت بصوت خفيض

(فارس - فريدة)

ولم تأتِها إجابة من غرفتيهما، لكن محيي خرج من غرفة مكتبه وأجابها: فارس راح مراجعة في الدرس وفريدة كانت طلبت مني اشتركلها في كورس لتعليم الرسم، راحت انهاردة أول حصة

وأشد ما بالإجابة من ألم أنها لم تكن تعرف، أومأت رأسها وقد بدت باكية فسألها: لبنى كويسة

أومأت رأسها بإيجاب فسأل: أنتِ كويسة

أومأت رأسها بحركة غير مفهومة ثم خطت ببطءٍ نحو غرفة النوم وما إن جلست على السرير حتى دفنت وجهها بالوسادة وبكت، وصوت شهقاتها فرض عليه أن يتجه خلفها
وقف على باب الغرفة وظل يطالعها دون تحرك، لكن هيئتها فرضت عليه تذكر كلمات أنور
(لحظات الانكسار وضعف المشاعر فينا واحدة ومش بتختلف عن مشاعرنا وإحنا أطفال كنا في أمس الحاجة للأمان وحد يستوعب خوفنا)
خطا نحوها ومسح بيده فوق رأسها رغم يقينه بأن المنتظر منها كما العادة إحراجه ونفض يده
أراد أن يقول أي شيء لكن الكلمات استعصت عليها الخروج، شعر بها قد هدأت بعض الشيء فتوقف، رفعت رأسها تطالعه فطالعها بنظرات زائغة، فكر بعدها أن يخرج من الغرفة إلا أنها أمسكت بيده ولم تجرؤ على النظر لعينيه عندها، زاد ارتباكهما ولم يدرك ما عليه أن يفعله فجلس إلى جوارها وكاد يتحدث لكنها هزمت كلماته بصدمة أسكتته حين ارتمت برأسها في صدره وعادت لبكائها فسأل بقلق
- مالك يا ليلى
كان جسدها ينتفض فضمها كي تهدأ وعندها همست
(أنا مش قوية زي ما كل الناس فاكرة، أنا ضعيفة قوي، هشة قوي، وخوافة قوي قوي)
مسح بيده على رأسها فقالت: أنا....أنا عارفة أنك بتكرهني، فارس وفريدة كمان أكيد بيكرهوني، بس والله أنا مش وحشة زي ما أنتم فاكرين، أنا....أنا بس كنت فاكرة أنهم هيحبوني أكتر لو ربتهم من

غير الضغوط اللي اتربيت عليها، أنا متلخبطة مبقتش عارفة أنا كنت صح ولا غلط

ساد الصمت ولم يجد إجابة، وبقيا على حالهما لدقائق حتى قرر هو أن يبادر بسؤالها

- تحبي تحضري معايا الجلسات؟!

سأل وهو يدرك رفضها وشيء في نفسه وبخه وعندها رفعت رأسها تطالعه وسألت برجاء: هو ينفع، أقصد..هترضى

- أكيد، لو مش هتضايقي

- بالعكس، أقصد...ماشي

وظل الارتباك سيد الموقف حتى خرج من الغرفة واتجه لمكتبه وأغلق بابه عليه زافرا بحيرة، هل انقشعت عن عينيه الغمامة حد أن ليلى خالفت بردود أفعالها كل ظنونه

قرر أن يحتسي فنجان قهوة بكافتيريا المشفى، وقد فرض كلامها عليه الشرود، في كل مرة يستشعر أنه قد أتى بالحد الأقصى للتشويش يتفاجأ أن ثمة ما هو أكثر حدة وضبابية

(بابا عمره ما كان مهتم)

حقيقة هو أول من اعتاد تزييفهما وهو يقتنع نفسه أنه طالما عاد وقد ملأ حقائبه بالهدايا فهذا بالتأكيد كافٍ، وأن لبنى لم تعترض لأنها ربما راضية وسعيدة، وكونه لا يتصرف مثل فاروق فهذا يعني أنه أفضل منه

حتى انقشعت الضبابية واتضحت الصورة، حد القتامة، حد بهتان الملامح من كل الوجوه وتلاشيها

وأمام مرآة الحياة وقفة ونظرة حيرة
من أنت؟؟؟
نفسك أم والدك أم والدتك أم ذكريات حطمتك أم صراع لم يحسمه أحد لأن أطرافه دوما أنت ونفسك، وكلاهما ضائع ومشتت وكلامها اثنان لا واحد، أحدهما يميل للخير والآخر يميل للشر والحسم بينما وهم
"بابا"
نداء من إياد فرض عليه أن يلتفت فجلس ابنه أمامه وسأل: هي ماما مش هتروح معانا
أتت ريناد مقررة الجلوس إلى جوارهما بينما ظل زياد بجوار لمياء يطالع والده بريبة وخوف
- هو حضرتك وماما اتطلقتوا
سألت ريناد بحسم دون تمهيد فنظر لها إياد ثم نظر لوالده يحثه على الكلام وعندها أجاب: أيوة يا ريناد اتطلقنا
وكلاهما نكس وجهه بالأرض وقد بدا واضحا بكاؤهما وعندها سأل إياد: ليه
سؤال بعيد عن تشعب تفاصيله بدا مستغربا، فكر كثيرا بما يجيبهما ولكنه لم يملك إجابة وعندها عقبت ريناد: يعني بعد ما ماما قالتلنا أنك خلاص راجع وهتقعد معانا وبقيت بتكلمنا على الأكونت الجديد تقولولنا اتطلقنا!
- ماما هي اللي كانت عاملة الأكونت ده، صح، أنا كنت عارف إن حضرتك مش بتكلمنا، أنتم كنتم متفقين على الطلاق بس كنت بتضحكوا عليا، ويمكن كنت تسافر من غير ما نعرف، بس لما ماما تعبت احنا عرفنا

زاد بكاء ريناد فربت إياد على كتف أخته وأظهر تماسكه دون النظر لوالده

ساد الصمت لثوان حتى سأل إياد: هو احنا هنشوفك تاني

أجاب بتوتر: احنا اتفقنا أنا وماما أنكم هتعيشوا معايا

جملة فرضت على كليهما أن يقف من هول صدمته

- إيه

- أزاي يعني

وبهدوء أجاب: أنا وماما شفنا إن الأفضل أنكم تكونوا معايا

- الأفضل من وجه نظر مين

قالتها ريناد ثم تابع إياد: كده من غير ما حد فيكم يسألنا

- إحنا شفنا إن ده هيكون لمصلحتكم

- شفتم؟؟!!

هتفا بها فانفعل رياض للمرة الأولى أمامهما وأجاب: هو إيه الفرق بين ماما وبابا، أنا مش هقتلكم، أنا باباكم

- الفرق كبير قوي بس معتقدتش حضرتك هتاخد بالك

قالها إياد ثم انسحبا من أمامه وعادا ليجاورا لمياء، التي شعرت بالقلق لأن تيسير عرفت منها اسم المشفى، وما كانت تخشاه حدث، جاءت تيسير واتجهت لغرفة لبنى وما إن رأت ابنتها حتى وبختها: مش عايزاني آجي أشوفك، ولا خايفة عشان ربنا استجاب لدعايا، ما هو اللي ميريحش أمه لازم ربنا يغضب عليه

وكادت تكمل إلا أن صوت رياض استوقفها هاتفا: ملوش لزوم أي كلام دلوقتي يا طنط

نظرت له بغيظ وأجابت: أنت بالذات تسكت خالص يا ابن فاروق، وطالما طلقتها خد عيالك وامشي وكفاية لحد كده
جملة لم تستوقف إلا ذلك الصغير الذي سأل ريناد قبل دقائق
"هو يعني إيه طلاق"
"يعني بابا وماما مش هيعيشوا مع بعض تاني"
"طيب ما هما مش عايشين مع بعض أصلا، يبقى يعني إيه برضو"
"إحنا هنعيش مع بابا"
ركض حتى غرفتها ثم قفز فوق سريرها ثم سأل بهلع: أنتِ هتسيبينا وتمشي
ربتت على كتف صغيرها وقالت بهدوء: يا حبيبي أي وقت هتعوز تشوفني قول لبابـــ..........
(لاااااااااااا، لاااااااا يا ماما بالله عليكِ)
صرخ بها وقد أمسك بملابسها رافضا حتى النزول من جوارها
فقررت تيسير التدخل هاتفة فيه: بطل دلع يا زياد، خليك شاطر واسمع الكلام وروح مع بابا يلا
(لاااااااا)
أمسك بيد لبنى وترجاها: والله هسمع الكلام والله، بس متسيبينيش، والله هبقى شاطر والله
واستشعرت قلبها ينتزع من صدرها حين استطاعت تيسير نزع يده المتشبثة بذراعها
(مااااماااا)
أمسكه رياض فظل يضربه بيده في صدره وهو يهتف: سيبني

ثم تلاشت الرؤى والأصوات وحتى الشعور بالزمان والمكان فقط كلمات تيسير تترد بينما هو يخطو ليرحل

(أنتم مش أول اتنين اطلقوا، والعيال هيزعلوا شوية وبعدين يفهموا، هو أولى بعياله، يربي ويصرف، وهي تتعالج وتشوف مصلحتها)

(اطلعوا برررررررررة....برررررررررررررة......برررررررررة)

صرخت فيهم لبنى بهستيريا فرضت على الطبيب التدخل، هي تريد التماسك لكن ثمة من يدفعها عن عمد إلى الجنون؟

منحها الطبيب الدواء وآخر ما رأته لمياء وهي تغلق باب الحجرة على أختها أنها قد نامت بفعل العقاقير.

يوم صعب منذ أن بدأ حتى موعد اقتراب غروب شمسه، نظرت في ساعة يدها كانت الساعة على مشارف الخامسة، حين قررت الخروج من مكتب فاروق وعندها استوقفها شهاب بالنداء وقد أسرع خلفها يسأل

- إيه يا إكرام الحكاية بقيتي مش بتلحقي تقعدي في المكتب خالص وكل ما أحاول أكلمك تتحججي بظروفك

جاهدت نفسها أن تتعامل بلطف وأجابت: أنا آسفة قوي يا شهاب، أنا عارفة أنك استحملتني كتير بس معلش فترة وهتعدي

ابتسم محاولا حثها على الابتسام وقد اقترب منها سائلا: ولا يهمك، أوصلك؟

قالها وهو يجاورها السير لكنها ابتسمت بصعوبة وأجابت: خليها مرة تانية، ممكن

أومأ رأسه بتفهم ثم تركته واستوقفت أول سيارة أجرة ورحلت لتحتال ملامحه للضيق وقد شعر بالقلق من كافة تصرفاتها.

توقفت السيارة حيث العنوان الذي قالته له ثم توجهت لإحدى البنايات وصعدت، وتوقفت أمام إحدى الشقق وأخرجت من حقيبتها المفتاح وفتحتها ودخلت ثم نادت عله يرد
"أيمن"
لكن بدا واضحا أنه لم يصل بعد، زفرت بضيق ثم توجهت للمطبخ، سحبت زجاجة مياه باردة من الثلاجة ورشفت منها ثم نحتها جانبا وتوجهت حيث النافذة المطلة على النيل وقد شردت حد أنها حتى لم تشعر برجوعه ولا بوقوفه خلفها ولم تلتفت إلا عندما حوط خصرها بذراعيه ثم لامس خده بخدها وهمس: الجميل سرحان في إيه
ولم يكن بحاجة لسؤال يعرف مسبقا إجابته
(خايفة)
قالتها بقلق فرض عليه أن يدير جسدها لينظر إليها وقد أمسك وجهها بين كفيه، ليبدو له أنها ليست إكرام التى يعرفها، فثمة دموع ترقرت بعينيها وقد أمسكت بيده لتؤكد: خايفة تيجي لحظة ونخسر واحد منهم، يا أخوك يا أخويا
أرخى رأسها على كتفه وقد ضمها إليه وقال بتأكيد: متخافيش، مفيش حاجة هتحصل
ثم حاول المزاح عله يهدئ من توترها وأردف: وبعدين مش عيب تبقي مع أيمن الدويري وتقولي كده

ولم تبتسم حتى فقرر أن يهتف: عموما في مشكلة دلوقتي أهم بكتير جدا

ردت بقلق: خير

رد بضيق: أنا جعان

فلكزته في صدره بقوة فتأوه وهتف: يعني أجوع وأتضرب ده إيه الافترا بتاعك ده

- هو ده وقت جوع

قالتها وتركته واتجهت للمطبخ تبحث عن شيء في الثلاجة بينما هو لحق بها وقد وضعت أمامه عيش وجبن وقالت: اتفضل كل

- إيه ده يا هانم، فين الغدا، طبعا قاعدة ع الفيس بوك ومطبختيش

- والله لو مش عاجبك الأكل اطلب دليفري

- على آخر الزمن ابن فاروق الدويري يأكل دليفري

وكليهما كاد يضحك لكنهما اكتفيا بطيف ابتسامة وأمنية: هو ممكن اليوم ده ييجي؟

سؤال لم يتمكن أي منهما من إجابته لأن رنين جرس الباب اقتطعهما، ثم ثلاث طرقات أكدت

(دي أكيد غادة)

قالها أيمن واتجه ليفتح الباب وما إن ظهرت هي حتى سأل: يا بنتي أنا مش قايلك بلاش نتصل لحد...........

(مساء الفل)

قالها سعد وقد دخل خلفها وما ظنه أنه قد كشف خطة أيمن إلا أن رؤية إكرام بينهم قد قلبت موازين كل الرؤى

(16)

هل يظنها بلهاء بدوره؟

لا تعرف حقيقة اتفاق فاروق مع شهاب، وقد طلب منه أن يتزوجها، عرض قدمه فاروق لتلميذه النجيب كي يضمن بزواج إكرام قطع الطريق على أيمن، ففي كل مرة ينهي فيها أيمن ارتباطه بامرأة ينتاب فاروق الخوف من أن يعود ويطلب يد إكرام وكأن حبه لها في قلبه لعنة، لعنة لطالما أرقت فاروق لأنه يرى أن ذلك الحب قد يتسبب يوما ما في تبديل كل ما زرعه بابنه بل والأشد أن وريثه الوحيد وفق وصيته التى كتب فيها كل ما يملك له قد يتزوج ابنة أخيه فيعود المال لها أو لأولاد ينجبهم منها

ولأنه ما عاد يثق بقلب ابنه الملعون قرر أن يزوجها هي هذه المرة، كانت بالشرفة شاردة في آخر نظرة غيظ منحها أيمن لها ما إن أعلنت موافقتها على شهاب، كادت تبتسم لكنها لم تفعل حتى لا يكتشف فاروق أمرها، أو ربما هو يعرف ولهذا هو يريد أن يضمن الخلاص من وجودها بطريقته، ليس في كونه يزوجها لشهاب بل ربما هو يريد الخلاص منها حرفيا ولكنه يخطط لذلك بحرفية، ولا تستبعد أيضا أنه ربما يعلم أن مختار قد اعترف لها بحقيقة ما فعله هو وعمها بحق والديها، ذلك اليوم الذي ذهبت فيه لسعد لتقص له كل ما عرفت، فألجمها بأنه قد أغلق صفحات الماضي ولا يريد أن يعرف أي شيء، ليزيد يقينها أنها وحيدة الآن وقريبا ستكون في مواجهة فاروق بمفردها، لكنها ما عادت تملك خيارات أخرى إلا البحث عن تلك الأوراق التي سرقها مختار من مكتب فاروق، تلك الأوراق التي تدينه وتكشف حقيقة ما حدث

قطعها من شرودها أن أيمن لم ينم، يدور بالحديقة وكأنه يغلي من فرط شعور غيظه منها، وما إن نظرت ناحيته حتى رفع رأسه ونظر لها بأسى وعندها اتجهت للداخل .
ومع مرور الأيام ما كانت تفعل شيء بقدر مراقبة تصرفات من تظاهر لها بأنه الحبيب المنتظر، ولا سخرية تضاهي مجاراته بما يفعل وإظهار تصديقه ويقين فاروق من نجاح ما يخطط له.
تصرفات فرضت على أيمن أن ينفجر ومع صباح أحد الأيام غادر مبكرا وكل ما يفكر به هو طريقة للخلاص من شهاب، انتظره بغرفة مكتبه ليتفاجأشهاب به يجلس فوق المقعد الخاص بمكتبه وقد بدا غير مبالي بمجيئه، طريقة فرضت على شهاب الضيق فسأل عن سبب وجوده فكانت الإجابة هازئة
وهو يشير له أن يجلس بالمقعد المقابل للمكتب: قررت أعمل شوية تعديلات بما إني بقيت صاحب المكتب دلوقتي
طالعه شهاب ساخرا ثم عقب: إيه، نويت تأخد مكاني وتديني مكتبك
- إيه رأيك ؟
- واااو، واهو الواحد خطب وأكيد هيبقى إحساس حلو لما خطيبتي تجيلي مكتبي وأشغل ساعتها اللمبة الحمرا
قالها بوقاحة فرضت على أيمن أن يهب واقفا وقد جذبه من ملابسه عنوة وهو يهتف محتد: الكلام ده لما تبقى خاطب واحدة غير إكرام الدويري
أبعد يده عنه ورد ببرود: وأنت إيه اللي مضايقك
- إحنا هنلف وندور على بعض، اسمع من الآخر كده، اتفاقك مع فاروق تنهيه، وإياك تكمل موضوع مع إكرام، إيااااك

قالها بتشديد فرض على شهاب أن يعقد ذراعيه أمام صدره ويسأل بلامبالاة: وإلا؟
زاد ضيق أيمن ورد: أنا لا بهدد ولا بخيرك، أنا اللي بقولهولك ده أنت هتنفذه لمصلحتك، وعشان أيمن الدويري ميحطكش في دماغه
قالها وكاد يخرج من الغرفة إلا أن شهاب رد: وإن قلت لا، آخركإيه، هتروح تقول لإكرام، ولا هتمشيني من المكتب
وقبل أن يرد أيمن تابع هو بتحدي: طيب اسمعني أنت بقى، مسألة جوازي من إكرام دي مسألة منتهية، خصوصا أنها رغبة فاروق باشا مش رغبتي، وأنا وأنت عارفين لو فاروق الدويري عايز حاجة تتم هيخليها تتم بأي تمن، فَرَيح نفسك وانسى حكايتي مع إكرام وخليك أنت في حالك
بدا غاضبا حين التفت وضرب مكتب شهاب بيده ثم زعق: هتنفذ اللي أنا قولتهولك، فاهم
- آسف، لو أنت تقدر تتحدى فاروق الدويري أنا مقدرش، أنت عارف مصير اللي سبق واتحدوه كان إيه
كان يلقي عليه كل ردوده بكل برود، فرض على أيمن أن يخرج من الغرفة وهو يتمتم بغيظ: ماشي أنا هوريك
ولم يكن يظن وهو عائد للفيلا عصرا أن إكرام كانت على علم بتلك المواجهة التي دارت بينهما، فهي على الدوام تضع جهاز تسجيل صغير بأحد أدراج مكتبها لتعرف ما يدور بها في عدم وجودها، وظنه هو سعادة بارتباط قبلت به من غيره كان استكمال لمسلسل هي تتقن أداء بطولته، تابع وهي تتحدث لشهاب في الهاتف وما إن أنهت

مكالمتها حتى سعى لتفريغ غضبه بتقريعها لكنها انتصرت حين أقر في النهاية

"كده يبقي محدش عارف مين فينا اللي بيكسر فرحة التاني يا إكرام"

واللعنة على خفقات قلبها التي لم تتركها وشأنها وعادت من جديد ما إن تركها وصعد، يومها باتت ليلتها مشوشة، ليس من تصرفات أيمن وحسب بل تصرفات سعد أيضا، فعصبيته عندما كانت تتحدث إلى لبنى وتحديدا كلامها عن غادة أشعرها أن سعد متغير، بل ويخفي عنها شيء

ومع مساء اليوم التالي كان التشتت على أشده، إتصال أخبرهم أن سعد قد تعرض لهجوم وتلقى على إثره رصاصة

ثم عودة رياض فجأة

ثم طلاقه هو ولبنى

ثم.......

جلست شاردة بمكتبها وعلى وجهها بدا الأسى، رحل أغلبية العاملين في المكتب أما هي فكانت من فرط خوفها وتشتتها لا تريد المغادرة لأي مكان، وبعد برهة لم تحتمل ما ألم بهامن ضغوط وبكت، مر بمكتبها فوجدها على هكذا حال فنادى باسمها: إكرام

التفتت تطالعه بأسى ثم نكست رأسها، وما إن اقترب منها حتى سأل: ليه مروحتيش لحد دلوقتي

لم ترد وظلت صامتة حتى تماسكت وسألت بحسم: الكلام اللي قولتوإمبارح في خناقتك مع سعد ده صحيح

زفر دون رد فتابعت: سعد السبب في طلاقهم، بجد سعد عمل كده

شعر بها فحثها على القيام معه وهو يقول: تعالي أوصلك وفي العربية هشرحلك كل حاجة، بس اوعديني أنك تصدقيني، ممكن

وما إن جمعتهما السيارة وتحرك بها أيمن حتى بدأت هي: أنا عارفة كل حاجة

استغرب مما قالت فأكملت لتفاجأه بكونها تعرف ما يسعى فاروق له، نية شهاب بل والصاعق كان سؤال تأكد به أنها ليست هينة "تربية فاروق"

تمتم بها ثم تابع: كل ده وخايفة وأنا اللي بحسبك مش عارفة حاجة، طلع مختار قايلك حتى ع الورق؟

أوقف السيارة ونزل منها ووقف مستندا عليها وقد زفر بشدة فنزلت بعده واتجهت نحوه وسألت: ليه محاولتش تعرفني أي حاجة، ليه مقولتش حتى لرياض على الحقيقة

بدا ساخرا وهو يجيب: هو أنتم ممكن تدوني فرصة من الأساس

ضرب باب السيارة بقدمه بغضب ثم خطى عدة خطوات مبتعد وقال بحدة: أيمن الشمال لو راح قال لرياض مراتك بريئة مش بعيد فاروق يستغل كلامه ويقول أنه طالما دافع عنها يبقى هي كانت على علاقة بيه، أيمن الشمال لو راح قال لإكرام شهاب ده واطي وزبالة هتقوله أنت ليه بتكسر فرحتي ومستكتر تشوفني مبسوطة، أيمن الشمال لو راح قال لسعد لبنى بريئة ومظلومة كريمة هتعتبره هو اللي خرب بيت أخوه، مش كده

زادت عصبيته أكثر وتابع: أنتم تستاهلوا اللي وصلتوله وأنا كمان أستاهل زيكم، طالما رضيت أكون ضل فاروق، مينفعش أستنى منكم تصدقوني، أنتِ بقى لما أنتِ عارفة كل ده، وافقتِ على شهاب ليه

- عشان زي ما شهاب قالك، لو أنت تقدر تتحدى فاروق فأنا على الأقل مضمنش هو يخطط لإيه بعد ما يلاقي خططه فشلت

رفع حاجبه وقد زادت دهشته وعقب: شهاب ..... وقالي، واضح أنك عارفة كتير جدا

- بس مش أكتر منك

وكلاهما تبادلا النظرات وكل منهما يسعى لسبر أغوار الآخر ولكن دون جدوى، ويومها فقط كانت بداية تعاون شمل ثلاثة وقد وحدهما فاروق دون أن يدري ضده، دون ظن منهم أن هناك من كانت له خطته وسعيه وعند رؤية ثلاثتهم كانت صدمته

"إكرام"

"سعد"

هل باتت الفجوة بينهما كبيرة إلى هذا الحد، لدرجة أنها تملك القدرة على اجتياحه بصفعة كتلك، ليفتح عينيه ويرى أخته في بيت ابن عمه وهو كأصم أو للدقة كأعمى لا يعرف عن حياتها أي شيء

(بتعملي إيه هنافي شقة الزبالة ده)

(أنا مسمحلكش تتكلم معايا أو معها كده، وطول ما أنت في بيتي اتكلم بأسلوب أحسن من كده)

ولشده غضبه دفع أيمن عنه وجذب إكرام من ذراعها وعلا زعيقه فيها ويكرر: بقولك بتعملي إيه هنا

سحبها أيمن وأوقفها خلفه ورد: كلامك معايا أنا

فجذبه من ملابسه وصرخ: أنت تخرس خالص

- مش هخرس وهتسمعني

- أسمع إيه، دي أخرتها يا إكرام
- أنا عارف دماغك حدفت فين بس اللي أنت لازم تفهمه أنها مراتي
لحظة صمت ظن بها أيمن أنه حسم انفجار سعد إلا أن شظايا الانفجار تطايرت لتؤكد لأيمن خطأ ظنه، دفعة نالت منه بقوة أبعدته عن إكرام لتنال هي أقسى صفعات أخيها الذي فقد السيطرة على عقله وكاد يصفعها الثانية إلا أن يد أيمن احتجزت يده ثم هتف:
كلامك معايا أنا
لكنه لم يتكلم ضربه بكل ما امتلك من غيظ فاندفع أيمن يرد فوقفت إكرام بالمنتصف فدفعها وقبل أي رد كانت نظرته الحادة لها وهو يقول: أنتِ بالذات حسابك معايا عسير
ثم تابع بنظرة أكثر حدة كانت من نصيب أيمن وقال: وأنت هتطلقها
- مش هيحصل
عندها نظرت غادة ناحيتهم ببرود ثم هتفت فيهم هازئة: ما كفاية بقى يا ولاد الدويري
فالتفت ناحيتها يتطلع لها بغيظ فنظرت له ببرود وقد جلست على الأريكة المقابلة لهم ووضعت قدم فوق قدم وعندها نظر سعد لإكرام باحتقار واتجه ليغادر فأسرعت لتمسك بيده وهي ترجوه: ادينا فرصة نتكلم بشوية عقل
رد هازئا: عقل؟!!، أنتِ خليتي فيا عقل، متجوزة من ورايا ومتفقة مع غادة عليا، وإيه كمان يا ست إكرام
وهازئة عقبت غادة: اللي يسمعك يقول أنك برئ ومكنتش متفق مع فاروق أنك تخطبني عشان تبرأ نفسك من حكاية لبنى
- ده اللي أنت متصوراه لكن مش دي الحقيقة

قالها سعد بغيظ فقامت واتجهت ناحيته وسألت بأسى: وإيه هو معنى الحقيقة في عرف بيت الدويري، إيهمعنى الحقيقة لما فايز يتقتل ويتسجن منصور ظلم ومن بعدهم مختار يلاقي نفس المصير، لمجرد أنه حاول يقول الحقيقة

- مختار محاولش يقول الحقيقة، مختار حب يرد لفاروق الفخ اللي عمله فيه بوجود نشوى فاخترع قصة التوبة ورد المظالم، مختار ده كان أحقر من أننا نصدقه

- لا يا سعد، عم مختار فعلا..........

أشار لإكرام بيده كي يسكتها وهو يزعق بحدة: كفاية بقى، كفاية لإني مصدوم فيكِ صدمة عمري، واقفة في صف مختار بعد اللي عمله فينا وواثقة في ابن فاروق وكاتم أسراره، وكل ده كنتِ عارفاه وخبتيه عليا

وقفت أمامه وسألت بعتاب: أنا لما جيتلك أحكيلك رفضت تسمعني، وقولتلي الماضي صفحة واتقفلت، مرضتش تقولي إن مختار قابلك واعترفلك باللي عمله، ليه أنت عملت كده، إيه اللي كنت بتفكر فيه يا سعد ساعتها؟

لم يرد عليها فقط تطلعلأيمن وقال بحدة: جوازك منها باطل، لأني متأكد أنه كان بدون ولي

تركه أيمن واتجه لإحدى الغرف وعاد وبيده عقد الزواج وقد مد يده به وأطلعه عليهوعندها قرأه سعد ليصدم بالاسم المكتوب بخانة وكيل العروس

"صبري التهامي"

(خالي)

تطلع لإكرام وقد بدا عليه الأسى ثم عقب بعدها: وإزاي خالي يقبل أنك تتجوزي ابن الراجل اللي كان سبب في موت أخته
تبادلت مع أيمن النظر وبعد حيرة قالت: نوال لسه عايشة، ولو كنت اديت لمختار فرصة كنت هتعرف منه أنه مقابلته لها هي اللي كانت السبب في كل اللي حصل، وهي اللي كانت السبب في توبته
"عايشة"
كررها ثم هوى بجسده على الأريكة المقابلة له وقد أغمض عينيه لتفر دمعة منهما دون عمد وعندها تمتم: ماما، معقول
ثم هب واقفا أمامها وزعق: ليه مقولتليش ليه
أنت مدتنيش......
أنا......إيه بس يا إكرام، كل ده خبتيه عني، أنا عمري ما هسامحك، عمري
ثم قذف عقد الجواز بوجهها وخرج وعند مدخل البناية استوقفه هتاف غادة وقد لحقت به وما إن التفت حتى خلعت خاتمه من يدها ووضعته بيده وعقبت: طالما اللعبة خلصت يبقى ده مبقاش له لازمة في إيدي
نظر له وقد انزوت ابتسامة ساخرة على ثغره وعندها أكملت: اللي أنا واثقة منه أنك مش برئ يا سعد، على الأقل اللي عملته في لبنى ورياض أنت كنت قصده، فبلاش دلوقتي تمثل دور الضحية المصدوم، لأنه عمره ما هيليق عليك
أنهت كلامها ورحلت ليبقى هو بمكانها للحظات قبل أن يقرر الرحيل بدوره.

تطلع لدموعها وزفر، ليدرك الوجه الحقيقي لعجزه، ما قيمة الحب في بيئة فرضت عليك وحلها؟
تذكر مزاحهما وسؤاله الذي سأله
"يا ترى اليوم ده ممكن يجي"
ليتيقن من أن الإجابة حاسمة، لن يأتي ذلك اليوم الذي من الممكن فيه أن يتغافل هو عن كونه وريث فاروق الدويري الأوحد ليس فقط لماله الذي نبذه رياض ورفضه بل كل شيء وعلى رأس القائمة سمعة سيئة وماضي عفن
جثى على ركبتيه أمامها ثم رفع وجهها وعقب: قومي اغسلي وشك، وهنفكر في اللي جاي بالراحة، ممكن
أومأت رأسها واتجهت للحمام بينما اتجه هو ناحية الشرفة ووقف فيها واجما، هل عليه أن يعترف أنه لطالما غبط رياض على حياته؟ ليته كان هو من ضُرب ونُبذ واستحق مصير مختلف، لكنه ما إن شرد حتى فكر، سيبقى رياض حُجة عليهم جميعا، كونه تربية فاروق ولكنه وبمحض إرادته اختار ألا يكون مثلهم
نادته إكرامفالتفت وقد حاول رسم ابتسامته الباهتة على وجهه لكنه عجز، نظرت له ثم سألت: هنمشي
- اه، يلا بينا
وقبل أن يتحركا أمسكت يده لتستوقفه قائلة: قبل ما نمشي في حاجة عايزة أقولك عليها، فاكر لما سألتني أنتِ بتثقي فيا ولا لا؟
أومأ رأسه دون رد فتابعت: أنا عايزة أقولك إني بثق فيك
رفع حاجبه في دهشة وهتف: إذا كان أنا نفسي مش بثق في نفسي، أنت هتثقي فيا

- أنا بتكلم جد، مواقف كتير عدت منوإحنا صغيرين،كان كل ما عمي فاروق بيحاول يميزك علينا بحاجة كنت بتقسمها علينا وبتطلب من سعد يديها لرياض من غير ما يقول أنها منك، أنت كنت سبب في حب رياض لسعد
وكلماتها فرضت العنان لبعض دموع انسابت من عينيه دون أن يعقب، فأردفت هي: وده اللي خلاني شايفة أيمن تاني غير اللي الكل مصر يشوفه
ولوقع كلماتها رهبة، فرضت عليه الخوف من غد، فأمسك بكلتا يديها وعقب: بتصعبيها عليا قوي يا بنت عمي
- ليه بتقول كده؟
ودون رد على سؤالها قال بجدية مصطنعة: إحنالازم نروح دلوقتي
تفهمت تهربه وردت: تمام، يلا بينا
قالتها وظلت تطالع المكان قبل أن يرحلا وكأنها تستشعر أنها المرة الأخيرة التي سيجمعهما فيها هذا المكان

وما إن هاتفها حتى جاءت مسرعة، ليس اليوم الأول له مع أبنائه بل الساعات الأولى ورغم ذلك أدرك أمام انهيار زياد أنه لن يملك أي سيطرة عليهم
أتت كريمة مسرعة وهي من أعدت الطعام وأطعمت أحفادها وظلت معهم حتى هدأت روعهم وناموا أو تظاهروا بالنوم
فخرجت عندها لمن انزوى بالشرفة منذ مجيئها لا يفعل شيء إلا تدخين السجائر وشرب القهوة
"وأخرتها معاك يا رياض"

قالتها كريمة وسحبت مقعد وجلست أمامه وانتظرت رد لكنه دعس السيجارة التي كانت بيده وظل صامتا، وكاد يُخرج سيجارة جديدة إلا أنها منعته وبكت، تطلع لدموعها ثم ربت على يدها وعندها عقبت:
أنا مش عايزاك تشيل هم حاجة يا رياض، أنا من انهاردة معاك، هخلي بالي من الولاد وهفضل جنبك لحد ما ربنا يعوضك باللي أحسن منها
طالعها بابتسامة ساخرة انزوت على شفتيه وسأل: عندك عروسة
- أنت بس شاور يا رياض، وألف واحدة تتمناك
كاد يضحك ساخرا من ردها إلا أنه لم يفعل كي لا يزيد ضيقها واكتفى بقول: أنا جوازي من الأول كان غلطة، معنديش استعداد إني أكررها وقبل أن تهم بأي رد أشار بيده لها كي لا تكمل ثم هم واقفا وهو يقول: أنا خارج
حاولت أن تستوقفه ليتناول أي شيء من الطعام قبل خروجه لكنه رفض وغادر
وما إن ركب سيارته حتى أخرج الكارت من جيبه ونظرللاسم والعنوان، ثم نظر في ساعة يده كانت العاشرة والنصف ولم يملك إلا الذهاب وهو يعرف أنه إلى حد كبير لن يجده، لكنه قرر المحاولة، وصل العيادة وسأل؛ كان سيغادر فطلب من مساعدته أن تسمح له بمقابلته لأمر ضروري، وبعد دقائق سمح أنور بدخوله، بدا مرهقا جدا، مضطربا في كلماته غير قادر على استكمال جملته وهو يعتذر كونه أتى دون حجز مسبق، أومأ أنور رأسه بتفهم وحثه على الكلام، فشعر رياض بأنها بداية مشجعة ورغم قلقه من أن يكرر على مسامعه ما اعتاد سماعه ممن سبقوه إلا أنه حكى، كان يفرك يديه،

يتلعثم أحيانا وما إن قال - طلقتها - حتى ارتعشت شفتاه، وما إن وصل بحديثه عن أبنائه حتى بدا الحديث مثقل بأوجاع منبعها كان أعمق بكثير من كونهم قد تألموا

وما إن انتهى حتى ناوله أنور كوب ماء وطلب: حاول تشربه بالراحة وعلى دفعات لإني عايزك تهدى خالص

فعل فقام أنور من مكانه وجلس بالمقعد المقابل له وطلب: نظم أنفاسك 3 أو 4 مرات، لحد ما تحس أنك هديت

بدأ في التنفس بهدوء وعندها سأله أنور: أنت مدخن، مش كده؟

- للأسف، ومش عارف أبطل

- طيب حاول على الأقل تخف منها الفترة دي لأنها هتزود توترك وعصبيتك، وده مش هيساعدك خالص

عاد ليجلس بمقعده ثم بدأ حديثه

"بص يا باشمهندس رياض، شئنا أم أبينا هيفضل الطلاق أمر واقع وحالة أحيانا بيضطر يوصلها أي زوجين لأنهم ببساطة مبقوش قادرين يكملوا، وهنا خلينا أقولك أزاي أي طفل بيشوف الطلاق بعينه هو، الأطفال مش بتعرف اليأس مهما شاف وعاصر من خناقات بين والده ووالدته بيكون دايما في مخيلته إن في لحظة هتيجي وباباه ومامته هيقدروا عشان كبار يحلوا المشاكل، لأن دايما الطفل بيشوف إن الكبير وتحديدا بابا وماما يقدروا يعملوا أي حاجة، فلمابابا وماما بيفشلوا أول صدمة بتكون أنهم معرفوش، وتاني صدمة بتتمثل في إن الصورة النمطية اللي المفروض الطفل يعيش فيها بتتكسر، لأن والده ووالدته كل واحد منهم هيروح في ناحية، والأصعب من كل ده إن الحالة النفسية السيئة اللي فيها الأم والأب وأهل الطرفين بتتصب

على الأطفال صب، إهانة لأمه من جدته وإهانة لوالده من جدته التانية، وأحيانا شتيمة سواء من الأب أو الأم لأولادهم ونعتهم بشتيمة تكون الأم فيها أو الأب هما اللي مشتومين، والفكرة هنا إن الطرفين بيأخدوا قرار أنهم يصفوا حسابتهم من بعض في أولادهم، من غير ما يفكروا مدى تأثير كل ده عليهم، النقطة التالتة والأصعب هي أننا نساوم أولادنا على الحنان والحب والأمان، يعني اللي بيكره والده أنا بحبه عشان أنا كمان بكره زوجي والعكس، أو الحرمان المتعمد من رؤية أبوهم أو أمهم حسب هما عايشين مع مين، والنقطة الأخيرة والأهم هو إن كل واحد منهم يعمل بيت وينشئ حياة جديدة ويتجوز ويخلف ويقفل الصفحة القديمة من حياته ويكتفي أنه بيصرف على أولاده أو بيباشر تربية الجدة والجد لهم، وكأنه وهو بيهد بيته مكنش واخد باله إنه معاه أطفال"

تنهد رياض تنهيدة طويلة ببالغ ضيقه فعقب أنور: أنا مش قاصد أضايقك وعايزك تكون واثق من تفهمي، إن اللحظة اللي بيقرر فيها زوج وزوجة الانفصال، بتكون بعد لحظات استنفاد تقريبا كل محاولاتهم، ولا كلامي معناه أن حياتنا تقف عشان انفصالنا، لكن النقطة اللي لازم تتاخد في الاعتبار، إن أولادنا جزء من المعادلة لازم يتعمل حسابه يمكن قبل مننا إحنا

- أنا فاهم كلامك يا دكتور، وأنا فعلا كل اللي بأفكر فيه أزاياأجنبهم مشاكلي مع مامتهم، مش عايزهم يعانوا، ولا يتعقدوا

جملة فرضت ابتسامة انزوت على شفتي أنور وهو يرد: وده شيء مبشر وإيجابي جدا، ومش صعب، مش معنى كده أنهم مش هيتألموا أو يزعلوا، بس النقطة الأهم أنهم لما يكبروا ويكونوا أزواج

وزوجات ويستوعبوا الصورة لأنهم اتحطوا في نفس المواقف جواهم هيكون ممتن جدا لباباهم ومامتهم أنهم رغم الخلاف، كانوا قد المسؤولية

تأثر من جملة أنور الأخيرة حد دمعة تلألأت لكنها خشيت أن تفر من عينيه، وشعور مؤكد أنه لن يضعهم بما وضعه فيه فاروق سابقا

(هنحدد دلوقتي 3 نقاط هنبدأ منهم، شكل علاقتك بيهم، وشكل علاقتك بمامتهم وشكل علاقتهم هما بمامتهم)

قالها أنور وقد قرر أن يجلب ورقة وقلم ويكتب إلى جواره بعض نقاط عليه أن يفعلها ثم تابع أنور: أكتر نصيحة هنصحك بيها، اوعى تحسسهم إنهم هيتحرموا من مامتهم، خصوصا أنها كانت دايما جنبهم طول ما أنت كنت مسافر، والنقطة التانية استوعب إنك كنت مغترب، مغترب عن قلبهم وعيونهم قبل ما تكون مش موجود، يعني لازم تدعم علاقتك بيهم بكل طاقتك وتجنبهم أي صراعات أو مشاكل، طمنهم بوجود يا أستاذ رياض، الأبوة أمان

وهنا فرت الدموع من عيني رياض، الأبوة أمان من يحرم منه لن يسهل عليه منحه لأقرب الناس إليه، لكنه سيحاول

<u>ليس لأنه يعرف بل لأنه يريد</u>

- باقي سؤال، أنا عايز أكون جنب طلقيتي في علاجها لحد ما تخف، بس....هي رافضة

- والرغبة دي نابعة من إحساسك بالذنب ناحيتها ولا إحساس تاني؟

- مش عارف، أنا مشوش جدا، كل اللي حاسس بيه، إن لبنى محتاجة تقف على رجلها وبعد كده أبعد، لكن دلوقتي لا

- طالما ده إحساسك يبقى امشي معاه للنهاية، وأقرب فرصة تتاح لك عشان تشرح رؤيتك بوضوح لوجودك معها، استغلها
بدا وكأنه لم يفهم فأوضح: في حياتنا يا أستاذ رياض تصرفاتنا دايما بتقوم على رؤيتنا للأمور من وجهة نظرنا، ولأن المحيطين بينا عمرهم ما هيشوفوا بعينينا لازم نفهمهم من وقت لتاني وجهة نظرنا وإلا الرؤية هتتشوش، وتمن تشويش الرؤية مش هين
وطوال طريق العودة لبيته رافقته كلمات أنور، حتى وصل كانت كريمة قد نامت بالغرفة المعدة للضيوف، فقرر أن يطل عندها على أطفاله، هل ناموا حقا؟
ريناد وإياد نعم، لكن صوت أنين الصغير كان واضحا، رغم أنه تكتم صوته لأنه خائف من والده
"الأبوة أمان"
تذكرها فمسح على رأسه وهمس في أذنه: في أي وقت عايز تشوف ماما هوديك عندها
فانتفض هاتفا: صحيح
أومأ رأسه بإيجاب فرد زياد: طيب أنا عايز أروح عندها دلوقتي
دلوقتي هي في المستشفى تعبانة لما تخرج هتروحلها وتقعد معاها زي ما أنت عايز
زاد بكاؤه فمسح دموعه بيده وسأله: بتعيط ليه تاني
عشان أنت بتضحك عليا، وتيتة تيسير قالت إحنا مش هنشوفها تاني
مسح على رأسه ورد: لا هنشوفها، وهنروح نزورها في المستشفى ونكون معها لحد ما تخف وتبقى كويسة
"أزاي بعد ما اتطلقتوا"

والتعقيب كان من إياد حين اعتدل جالسا في سريره، وأمام سؤال إياد فكر في إجابة مباشرة، إجابة تقنعه ويقدر صدقها، أشار له ليأتي فجاور زياد وعندها كانت ريناد تقف على باب الغرفة فأشار لها بدوره لتجاور أخواتها، ثم مد يده يمسك بأيديهم وقال: أنا عارف أنكم زعلانين وأكيد كمان خايفين من شكل حياتكم الجاي، بس ..... أنا عايزكم تعرفوا حاجة مهمة، أنا وماما كل اللي يهمنا في الدنيا أنتم، وعمرنا ما هنكون مبسوطين لو شفناكم زعلانين

ولم يتوقع من نفسه أن يبكي لكنه فعل ثم ربت على أيديهم وتابع: لما تكبروا هتفهموا إن أحيانا الواحد ممكن يختار حاجة الظروف تضطره لها بس في النهاية، ده مش معناه إن ....، الحياة بتقف، أنا وماما هنفضل معاكم، الطلاق مش النهاية لينا كعيلة، إحنا هنفضل عيلة بس هنحاول نكيف ظروفنا على الوضع الجديد

"مش فاهم"

قالها زياد فابتسم وعندها أمسك خده بيده وقال: أي وقت عايز تشوف ماما هوديك، أي يومهتطلب تروح عندها وتقعد معها هسيبك، وأنا ماما هنكون معاك حتى لو كل واحد فينا عاش في شقة غير التانية، فهمت؟

أومأ رأسه فتابع: بس بشرط، مش عايز أشوفك بتعيط تاني

ثم نظر لأخواته وأكمل: وأنتم كمان، أي وقت هتحتاجوني أو هتحتاجوا ماما هتلاقونا معاكم، المهم دلوقتي اسمعوا كلام تيتة وكلامي، ومش عايز أشوف حد بيعيط تاني، اتفقنا

قالها فأومأوا رؤوسهم بالموافقة وعادوا لأسرتهم، وعندها عاد هو لغرفته بدل ملابسه وتمدد على سريره يطالع سقف الغرفة بشرود

وما إن التفت عن يمينه حتى وجد زياد إلى جواره، وقبل أن يعقب دس الصغير رأسه في صدره فلم يملك إلا احتوائه والربت على كتفه لينام.

مساء اليوم التالي بفيلا فاروق الدويري، كانت إكرام بغرفتها وقد لاحظت أن سعد لم يخرج من غرفته منذ عاد من بعد مواجهته بهم، وبالتأكيد تجنبت أيمن كي لا تثير شكوك فاروق، ولكنها بالنهاية ما عادت تملك قدرة على احتمال الوضع بهذا المنزل
فمنذ أن رحلت كريمة وقررت أنها ستمكث في منزل رياض لأجل غير مسمى وفاروق قد جلب من تدير عنها شئون المنزل
"هنية"
واحدة ممن عرفهن فاروق أتت وأعدت الطعام ونظفت المنزل وتشعب دورها لما هو أهم كونها مكثت بغرفة فاروق قرابة الساعتين قبل أن تعود للمطبخ مرة أخرى لتقوم بتنظيفه قبل رحيلها
شعرت إكرام بالاختناق فتركت غرفتها وتوجهت لغرفة سعد طرقت بابها وظلت تنادي برجاء أن يفتح ولكنه سعل ولم يرد، فاتجهت لتجلس في حديقة الفيلا، كان أيمن بالشرفة حين لمحها وبعد تردد قرر أن يتجه إليها ويجلس معها، طالما فاروق منشغل مع من جلبها بدت شاردة حتى أنها لم تشعر به حين جاورها، بعينيها لمعة حزن تؤكد أنها ستبكي بأي لحظة، جلس صامتا حتى استوقف كليهما خروج هنية والتى ما إن مرت بجوار أيمن حتى لكزته بكتفه ومزحت: عاش مين شافك يا سي أيمن، لعلمك بقى أنا زعلانة منك عشان بطلت تيجي

تطلعت إكرام لوجهه ووجهها وعقدت ذراعيها أمام صدرها وقد رفعت حاجبها في دهشة وعندها كانت إجابة أيمن: شوية مشاغل بس أنا أكيد هاجي
غمزت بعينها وردت: مستنينك يا أيمن باشا، سلام
ثم اتجهت نحو سيارة فاروق حيث أن السائق سيقوم إيصالها لمنزلها
نظرت له إكرام باشمئزاز وقد فرت من عينيها دمعة فقامت بعدها لتعود أدراجها للداخل فأمسك بيدها ثم وقف قبالتها وعقب: ممكن أعرف ليه اتضايقتي
- وأنا هتضايق ليه
نظر لها ثم قال بحسم: عارفة، أنا لما قولتلك متصعبيهاش عليا كنت قاصد قوي الجملة دي
بكت لكنها قاومت إظهار حزنها أو ضعفها وقالت بحدة: أنا لا متضايقة ولا غيرانة، وأعتقد أنا وأنت عارفين كويس أن وضع جوازنا مؤقت، كل الموضوع إني ساعات بأحس إن عالم فاروق الدويري بألغازه أكبر من مني، وساعاتها غصب عني بخاف حتى منك
قالتها وتركته فعاد ليجلس على الأرائك الموضوعة بالحديقة والضيق يلفه وبعض دموع تتلقف عيونه، حتى قطعه فاروق حين اقتحم عزلته ليسأل: وصلت معاهم لحد فين؟
انتفض جالسا بعدما كان ممدا وفرك عينه وعقب: أنا قولتلك سيبلي الموضوع ده، ومتقلقش أنا هفضل دايما دراعك اليمين

انزوت ابتسامة على شفتي فاروق وأجاب: اهو أنا دايما مقدر ذكاءك، مش زي الغبي التاني اللي عايش دور المصلح الاجتماعي
قام أيمن من مكانه مقررا التوجه لغرفته لكنه قبل المغادرة سأل: هي هنية هتيجي بكرة
- طالما كريمة غارت، لازم حد يعمل شغل البيت بدالها
ثم قام بدوره ورافقه وسأله مازحا: تحب أخليها تعدي عليك في أوضتك قبل ما تروح
زفر بشدة فتابع فاروق ساخرا: ولا أنا نسيت صحيح أنك بتقرف من الأشكال دي
دون رد أكمل أيمن طريقه للداخل وقبل صعوده الدرج ليتجه لغرفته تبعه فاروق ثم استوقفه سائلا: سعد من إمبارح قافل على نفسه، في حاجة حصلت غير إن بنت مختار مرمية في المستشفى
- معرفش، تقدر تسأله أنت
قالها وصعد مسرعا فزفر فاروق وقد نظر ناحيته بكل غيظ، وهو يتمتم "ابن كريمة يتذاكى، ابن كريمة يتلاعب"
(على بابا، ماشي)
وصل أيمن لغرفته وما إن أغلق بابها حتى هوى خلفه، والضيق والغضب يتلقفه، ليتك لم تقرر التوبة يا مختار، ليتك لم تطرح ذلك الاحتمال، كانت الأيام تمر وكفى، وكان الضمير دوما مستتر، حتى قررت أنت أن تظهره، ثم وضعتني ببداية طريق بات عليّ أن أكمله وأنا على يقين من نهايته،فلا خيارات متاحة فإما أن تستمر مثلهم وإما أن تختار موتتك بيدك أو أيديهم.

هل سيمكث الباقي من حياته بغرفته؟
ومع صباح اليوم التالي لذلك اليوم خرج من غرفته ليجد فاروق وأيمن وإكرام تجمعهم طاولة الطعام حول الفطور، بدت ذقنه نامية بعض الشيء وهيئته تدل أنه ليس على ما يرام
"كل ده عشان بنت المسيري، طيب ما تروح تنتحر أحسن بدل ما أنت قارفنا"
قالها فاروق هازئا، لكنه لم يعبأ، وضع الطعام بطبقه وبدأ يتناوله بنهم شديد غير عابئ بنظراتهم جميعا باتجاهه
خرجت هنية من المطبخ لتضع المزيد من الأطباق على المائدة وقد غمزت بعينها لأيمن مما دفع فاروق للابتسام وهو يحتسي قهوته، بينما نظرت إكرام ناحية أيمن بغيظ لتجد أن ذات النظرة كانت من عين سعد لها، فأنهت طعامها وقامت من مكانها وهي تحييهم لتتجه لعملها، فاستوقفها فاروق ليخبرها بأن شهاب سيأتي مساء لتحديد موعد كتب الكتاب
نظرت لوجهه فاستشعرت أن نظرته وابتسامته الباردة باتت ذات مغزى وقد نظر باتجاه أيمن ثم نظر لها، دفع سعد بطبقه وزفر ثم قام من مكانه عائدا لغرفته عندها استوقفه فاروق وقد قام من مكانه ليكون خلفه مباشرة معقبا: يا ريت تحلق دقنك وتجهز نفسك بدل ما يبقى أخو العروسة مدهول في نفسه كده
- عمها موجود وابن عمها
قالها هازئا وهو ينظر لأيمن فعقبت إكرام باستعطاف: و أخوها
- اعتبريه مات

تعقيب فرض عليهالأسى فعقب فاروق متعمدا استفزازه: من بقك لباب السما
"عمي"
هتفت بها إكرام محتدة فالتفت لها فعلقت: معتقدشالظروف مناسبة دلوقتي، خصوصا إن طنط كريمة مش موجودة
وقبل انتظار أي تعقيبخرجت، ولم تتجه لسيارة فاروق سارت حيث أقرب طريق قد تجد فيه سيارة أجرة، وقبل الانتظار وقف أيمن بسيارته أمامها وهتف: اركبي
استغربت ثم عقبت هازئة: مقضيتش اليوم مع هنية، ليه
ضرب مقود السيارة بغيظ ثم هتف: اركبي وهنتكلم
- ملوش لزوم الكلام يا أيمن، طالما في أسرار بينا يبقى الكلام ملوش قيمة
"إكرام اركبي"
قالها بحدة فلم تملك إلا أن تفعل وعندها تابع: أنا مستعد أحكيلك كل اللي أنا عارفه بشرط واحد بس
نظر لعينيها بأسى وتابع: تسمعي للآخر مهما كانت الحقيقة صعبة، مستعدة؟

عاد لغرفته وبها انزوى، وفرت من عينه دمعة حين تذكر ما نوى، وما آل إليه كل ما خططه، خفق قلبه بخوف للحظة شعر فيها بأنه بجوار فشل ما سعى لأجله فإن قلبه الأحمق قد تعلق بلبنى بصدق، أحب ابنه عدوه بدلا من الانتقام منها وحتى ليلى لم يستطع ذلك الكاتب الغبي أن يحرز أن يتقدم في علاقته بها، أمسك هاتفه وقرر

التحدث إليه وما إن سمع محمد صوته حتى هتف: كانت ساعة سودة يوم ما عرفتك

- وصلت لفين معاها

- موصلتش ومش هوصل، واسمع بقى، أنت كنت بتخطط لحاجة جت على هوايا قبل ما يكون فارق معايا أنك تفضحني باللي تعرفه عني، بس ابنها عمل هاك للأكونت بتاعي وجمع صور ومحادثات ليا وبيهددني، فاسمع بقى، لو لسه مصر على اللي في دماغك فأنا هعرف محيي بطريقتي، أن تلميذه النجيب كان عايز يفضح مراته، فاهم

وأنهى المكالمة دون انتظار أي رد من سعد الذي قذف هاتفه على السرير، وركل بقدمه أحد المقاعد وهو يعيد وعيده لمن تسببوا له في بالغ الأذى.

(17)

"حامل"

"ولازالت عذراء"

ولا يزال بسيارته ولازالت الكلمات برفقة الهواجس تتلقفه، ما الذي ينبغي عليك فعله الآن يا عبد الراضي، لم يعرف ولكنه توجه لمن اعتاد إظهار نفسه بالمُخلص، جلس أمامه يحكي له عن صديقة ابنه"مازن" وكيف أن علاقته بها تطورت لدرجة أنها الآن تحمل بأحشائها طفل منه، ربت فاروق على كتفه وقال أنه سيفعل كل ما يستطيع كي ينتهى الأمر دون أية فضائح، فالمشفى مشفاهم، والفتيات فتياتهم، وحلول ذلك النوع من المشكلات هين

"مش نشوى يا فاروق، البت دي مش هاممها حد"

"قولتلك أنا هتصرف"

والغريب أنه استطاع أن يجد لنشوى مدخل، وكيف لا وهو من دفع بها من البداية بعدما قام بتصويرها تسرق بعيد ميلاد لمياء، لكن لم يكن الفيديو المصور هو المدخل بل حب المال واستعدادها لفعل أي شيء لأجله

وانتهت المشكلة بعد ما امتلك فاروق أوراق لو ظهرت لشملت الطبيب المرموق بفضيحة أخلاقية، موقف فرض على عبد الراضي ألا يتذاكى مرة أخرى مع شركائه أو يرفض شيء إن أرغموه أن يفعله، أو يحاول طلب المزيد من الامتيازات أو المال مقابل ما يقدمه

(لحظة بدا فيها واضحا ضرب الظالمين للظالمين)

(لحظة دخلت فيها نشوى لحياة مختار، تحكي له عن تغرير عبد الراضي بها وتطلب منه أن يكون بجوارها وتقسم أن ما حكاه عنها

كذب، والعجب يكمن حين تتمكن دموع التماسيح من قلوب الرجال، حد أزمة بين عبد الراضي ومختار بسببها، ونجاح لفك تحالف كان بين الرجلين ضد فوزي الجمال كاد يقضي على بعض مصالحه)

"يعني مختار متابش"

سألت إكرام فأجابها أيمن: موضوع التوبة ده قصة كبيرة، فاروق عشان يصلح الخلافات اللي كانت بين مختار وفوزي، خلا فوزي يطلعه مع فوج طالع عمرة تبع شركته، كادو غير فلوس تانية أخدها عشان قرض كان المفروض بمجرد ما يرجع يديهوله

- وقتها كان على علاقة بنشوى

-أيوة، وكل حياته كانت طبيعية جدا، لحد ما سافر العمرة دي، ورجع واحد تاني تماما

أتت ليلى صباحا لأخذ احتياجات لبنى من منزلها كونها ستمكث بالمشفى عدة أيام، دون أي كلام بينها وبين كريمة فقط بمساعدة ريناد جمعت ما ستحتاج إليه ورحلت، لم يكن وقتها رياض بالمنزل كونه خرج وتوجه للبنى بالمشفى، كان آخر ما شاهده هو انهيارها وصراخها بالأمس وأما عن اليوم فكانت نصيحة الطبيب بألا يراها حتى تتمكن من التعافي وأنها ابتداء من الغد ستبدأ أول جلسات علاجها الطبيعي

رحل من المشفى وعاد للمنزل، وما فكر به هو أن يمنح أولاده فرصة ليتحدثوا إليها عبر الهاتف

مكالمة أوضحت مدى احتياجهم ولهفتهم وخاصة الصغير، ولكن ما بدا نهايتها أن ثمة هدوء نسبي سيكلل مشكلتهم

جلس رياض بالشرفة شارد وبعد دقائق تذكر الحساب المزيف باسمه، وعندها فكر بمحاولة فتحه، فتح الحاسوب المنزلي وعندها وجد الحساب مسجل فتمكن من دخوله وبدأ يقرأ ما كانت تكتبه زوجته نيابة عنه لأبنائه، قرأ المحادثات بين إياد وريناد ثم تنهد بأسى - لبنى الأب - كانت تلعب الدور جيدا، وشيء ما في نفسه حثه أن يعاود قراءة المحادثة التي كانت مع حسابها الشخصي والرؤية هذه المرة لم تكن كالسابقة

أنهى القراءة وبعدها عاد لشروده ولكن هذه المرة في جملة قالها أنور

(الطلاق في الشرع اسمه تفريق بإحسان، إحنا بقى بنركز على تفريق وبننسى الإحسان)

عاد من اليوم الثاني لامتحاناته لتزيد دهشته لوجود ليلى بالمطبخ ووالده يساعدها بوضع الأطباق على طاولة الطعام بينما فريدة منهمكة برسمها فجاورها وسأل هامسا: هما إيه حكايتهم بالظبط

مطت شفتيها باستغراب وردت: علمي علمك، لا وإيه ماما بتعمل لبابا كل الأكلات اللي بيحبها

وكلام فريدة أجفله، جعله يشعر أن والدته ربما تتلاعب بوالده وتريد تغطية علاقتها بمحمد حبيب بتلك التصرفات، أو ربما والده هو الذي يتلاعب ليغطي على علاقته، أو ربما كليهما

قطعه من شروده صوت والده يسأله عن اختباراته، بينما والدته طلبت منه غسل يده لأنها قد أنهت تجهيز الغداء، وما إن اجتمعوا حتى ترك الطعام وظل يتابعهم

"تمثلية سخيفة"

كاد يصرخ فيهما بتلك الجملة لكنه نظر ناحيتهما بضيق ثم شرع في تناول طعامه ليتفاجأ بوالده يكمل: أنا قولتله ألف مبروك، بس البنت اللي صعبانة عليا

- دي لسة صغيرة

استوقفه كلامهما فسأل: بنت مين

- وردة.

- مالها وردة؟

وفريدة من تابعت الحوار وأجابت مازحة: اتخطبت، عقبالك

انتفض واقفا وهتف: مين اللي اتخطبت

وحين جاءتهم ردة فعله الحادةاستغربا، وعندها عقبت ليلى:وردة اتخطبت لابن عمها

- وأزاي عم فتحي يعمل كده من غير ما يقول لحد

هل هو عصبي؟

سأل محيي في نفسه وهو يطالع تعبيرات وجهه الذي احتقن من فرط الغيظ ثم عقب: وهو المفروض يقول لمين؟

ولم يجبه فارس فقط دفع طبقه بضيق وقام عن الطاولة غير عابئ بندائهم وقد عقب: شبعت

ثم أغلق باب غرفته وأمسك هاتفه يتصل برقم هاتف والدها علها ترد هي لكن الرد أتى من والدها فأنهى المكالمة دون رد، وقذف بالهاتف على سريره وهوى على مقعد مكتبه وكل ما يريده هو أن يهشم أي شيء تطاله يده

ظن أنه هو من يتلاعب بها لتفاجأه تلك الحقيرة بأنها هي من تهزأ به
"ماشي يا وردة والله لأوريكِ"
بالخارج كانت ليلى تجمع الأطباق بينما قررت أن تجاور محيي وقد أعدت فنجانين من الشاي وجلسا بغرفتهما لتقول عندها: هو رد فعل فارس كان مبالغ فيه ولا إحنا اللي بقينا مركزين معاهم زيادة عن اللزوم
تناول فنجانه وقد بدا عليه القلق ثم رد: مش عارف أنا كمان قلقت، ممكن يكون بيحبها
- وردة؟!
ولم يعقبا بعد هذا السؤال تناولا الشاي واستعدت ليلى للذهاب للبنى وقام محيي بإيصالها ثم ذهب لمعمله وعند العاشرة عادا سويا
منذ ذلك اليوم الذي ذهبا فيه سويا لدكتور أنور وثمة شيء تغير، فرصة لا مشروطة منحها كل طرف للآخر، وعلى الرغم من أنهما لا يزالان يدوران حول مشكلتهما ويسعيان فقط للتقرب من أولادهما إلا أن ثمة بعض فرص يمنحها كل طرف للآخر دون تصريح بأنها محاولة تقرب
وكعطشى يتلقفها بنهم بات مشجع لمنح المزيد
أعدت ليلى كوبين من العصير واتجهت لغرفة نومهما كان محيي مستغرق في الكتاب الذي قام بترشيحه أنور ليقرآه سويا، جاورته وأمسكت بالكتاب تنظر للصفحة وهي تحدد: أنت برضو سبقتني مش قولتلك اصبر

خلع نظارة القراءة ونحى الكتاب جانبا وتناول منها العصير وهو يطالعها بنظرة فرضت عليها الاستغراب
(أتراها نظرة إعجاب؟!!)
شعرت بالحرج فزاغ بصرها، وما إن أنهيا العصير حتى نحت هي الأكوابوقررت أن تسحب الكتاب من جانبه لكنه أبعد يدها وعقب:
مش هيطير الكتاب
تنحنحت وردت: عشان نلحق نخلصه
- هنلحق متقلقيش
ساد الصمت بينما لكن هذه المرة قررت أن تبادله نظراته دون أن تتحدث، حتى اندهشت حين مرر يده فوق وجهها وهو يقول: عارفة يا ليلى، أنا دايما لما بشوفك بفتكر أول مرة شوفتك فيها، كنت مبسوط قوي أنك من نصيبي بس أنتِ....
وضعت يدها فوق شفتيه وعقبت: خلينا في انهاردة
قالتها برجاء أسعده، قبل على إثره يدها فسحبتها ونكست وجهها وعندها هو من قرر أن يكون مباشرا
- لو حاولنا نرجع، أقصد....
صمت كونه تردد فقالت بحسم: يا ريت يكون فيه فرصة لينا، أقصد...
وكليهما ابتسم، وكان لقوة انجذابهما الكلمة الفاصلة، هو لن يقاوم بعد الآن وهي على ما يبدو راضية
لحظات من السعادة التى ساد الظن طوال سنوات مضت أنها مستحيلة، لتتضح رؤيتهما فتبدو ممكنة

صباح اليوم التالي
استيقظت وتناولت فطورها وقد أخبرتها الممرضة أن عليها الاستعداد لأن أول جلسات علاجها الطبيعي ستبدأ بعد دقائق، أومأت لبنى رأسها ثم تنهد بأسى، بالأمس كانت ليلى معها وهاتفتها لمياء لتطمئن عليها لكنها لم تتحدث إلى والدتها والتى ظننت لوهلة أنها قد تأتي ولكنها لم تفعل، ترقرقتعيناها بدموع وفكرت أن تحاول القيام وحدها مستندة على أعمدة سريرها لكنها خافت فتراجعت، طرق باب غرفتها ثم دخل وما إن رأته حتى ذُهلت فهتفت: أنت إيه اللي جابك وقبل أي رد منه دخل الطبيب خلفه ونظر باتجاههما وبعد الاطمئنان على حالتها أخبرها أنه ينتظرها بقسم العلاج الطبيعي وعندها تولى رياض الرد وقد أكد: هنحصل حضرتك فورا
وما إن خرج الطبيب حتى عادت لهتافها: لو فاكر إني عاجزة لدرجة إني محتاجالك تبقى غلطان، ومن فضلك يا أستاذ رياض امشي لم يحرك ساكنا وكأنه لم يسمعها فزاد غيظها، فدفعت الغطاء عنها وحركت أقدامها باتجاه النزول من فوق السرير فهرول ناحيتها يمنعها وهو يهتف فيها: بلاش جنان يا لبنى
سعت لتقف فحاول أن يسندها بيده ولكنها دفعت يده بعيدا عنها وحاولت وحدها إلا أن أقدامها خذلتها، وكادت تبكي لكنها تماسكت وشرعت تحاول مرة أخرى، عندها لف ذراعه حول خصرها وذراعها الآخر حول عنقه وأسندها حتى وقفت فدفعته عنها مرة أخرى فهوت فوق السرير وصرخت باكية: حتى لو أنا عاجزة مش عايزة منك مساعدة، مش عايزة منك حاجة، فاهم
"لا مش فاهم"

قالها بزعيق وحدة فاندهشت وهتفت: أنت لسة لك عين تزعق
زفر وسعى ليهدأ ثم رد: آسف، بس ممكن زي ما طلبتي مني أسمعك أنتِ كمان تسمعيني
- أنا سمعت منك بما يكفي
- يوووووووه
- رياض
هتفت باسمه محتدة فتنهد بفراغ صبرثم اقترب منها حتى بات قبالتها وعقب متسائلا: طيب ليه طول السنين دي فضلتِ ساكتة، ليه كل ده كان جواكِ وعمرك ما اتكلمتِ، ليه مفترضتيش إني ممكن أكون شايف الاهتمام بصورة تانية
منحته نظرة هازئة فاشتد غيظه وهتف: الغربة مش رفاهية، أنا كل اللي كان شاغلنيأزاي أوفر عيشة كويسة من غير ما أحتاج لفلوس أبويا وعمري ما قصرت معاكِ، لما أنت شايفة إن ده كان غلط من الأول ليه قبلتِ؟
- كنت غلطانة، وأديني بدفع التمن معاك، بس يا ريت بقى نعتبر اللي عدى صفحة واتقفلت
- وولادنا يا لبنى
قالها وظلت معلقة بينهما دون تعقيب حتى أردف: ولادنا محتاجينك، محتاجينأمهم ترجع تقف على رجلها عشانهم
- يعني أنت جاي عشان ولادك
- أنا جاي لأم أولادي، وعشان مش ده التوقيت اللي أتخلى فيه عنها

وللجملة وقع قاسي أشعرها أنه نال من كرامتها فردت بحدة: وأنا أسبابك دي تخليني أتضايق من وجودك أكتر، لو جاي مرغم ومجبر فأنت مش مضطر، ولو شفقة فأنا مش عايزاها منك

جلس بجوارها وقال: مش شفقة ولا إجبار، مسؤولية وحق

-مسؤولية متحملتهاش وأنا مراتك هتتحملها وأنا طليقتك

- غلطت واعترفت بغلطي، إيه الأزمة أننا نصلحه بدل ما نستمر فيه

سكت لثواني ثم تابع:-اسمعيني يا لبنى، إحنا فشلنا نكون زوج وزوجة بس قدامنا فرصة نكون أم وأب، خلينا نحاول لحد ما نقدر نعدي الأزمة دي

ثم مد يده لها لتستند عليها، وكادت ترمقه بغيظ لكنه أرجأت شعورها لوقت لاحق وأستندت عليه حتى وصلا لقسم العلاج الطبيعي لتبدأ أول جلساتها

ورغم أنليلتهما الماضية كانت سعيدة، إلا أنه مع الصباح بدا واجما حد أنه لم ينتبه للفستان الأزرق الذي ارتدته خصيصا لأجله، ولم يحاول فتح أي حوار منذ أن استيقظ، مما زاد تشويش ليلى فتساءلت بقلق ما الذي تبدل؟

والإجابة كانت حيرة امتلكته كونه

لازال يعبأ

لازال يحب

لازال يخشى فقدانها

وكل هذا مربك، يفرض عليك الخوف، من ألم انفطار قلبك مرة أخرى، وتلك المرة ستكون أصعب

تجنبها اليوم برمته فأدركت أن ثمة حلم مر ليلا ومع الصبح كانت اليقظة، وحين حل مساء ذلك اليوم جلست بالسرير وأمسكت بالكتاب وظلت تقرأ
(كيف تحصل على الحب الذي تريده)
قرأت اسمه وتنهدت بأسى؛ وكيف؟؟
ليتها تدري
جاورها فسألت: تكمل معايا قراية؟
وافق فاقتربت حتى وضعت الكتاب بينهما وقرأت مقطع بصوت عالي متعمدة؟
في الزواج الواعي لا تبحث عن الشريك المثالي، بل اسعى أنت أن تكونه
تطلع لوجهها وتنهد فنحت هي الكتاب وسألت: مالك؟
- خايف
- من إيه
- خايف نحاول ونفشل
- إحنا أصلا فشلنا فمش هنخسر أكتر من اللي عدى
ودون انتظار لرد هي من قررت أن تحسم الليلة: محيي، طول السنين اللي عدت عمري ما اديت نفسي فرصة أشوف حقيقة مشاعري، بس بعد اللي مر بينا إمبارح أمور كتير وضحتلي، وانهاردة قررت، أكون واضحة وأقولك حقيقة مشاعري، محيي.....أنا فعلا بحبك
ومع صباح اليوم التالى، كان اليوم الأخير لاختبارات فارس، استيقظ ولم يجدها إلى جواره، فاتجه للمطبخ وخلفها مباشرة همس: ما تيجي ناخدأجازة طالما فارس خلص وناخد الولاد ونطلع أي حتة

التفتت تجيب بسعادة: يا ريت، بس الفترة دي أنا مش هقدر أسيب لبنى لوحدها، كلها يومين وتطلع من المستشفى
- خلاص، أقرب فرصة نطلع، ومش هقبل ساعتها حجج
أومأت رأسها بإيجاب واستكملت تحضير الفطور، وعندها بدا شاردا، هل عاوده الخوف؟
- تاني
قالتها فقطعته من شروده فعقب: لا دي حاجة تانية
- طيب قول
- أقول بجد
انتابه القلق لكنه قال بحسم: أنا بفكر نجيب نونو
- افندم
لوهلة صدمها ما قال ثم عقبت: اشمعنى
- يا ستي اعتبريه لتعزيز العلاقات بين البلدين
ضحكت كونه يمزح لكنه أكد: طيب والله بتكلم جد
- بعد كل الوقت ده
- ليه لا
ناوشتها الفكرة ومعها تنهدت فتابع: وأنا أعرف دكتورة شاطرة جدا، اسمها ليلى المسيري ممكن تساعدنا، تيجي نروحلها
وهي من وجمت وشردت فيما قاله، هل يعقل أن تحلم بكل ما يقوله، ومع تنهيدة طويلة قالت: الظاهر هيكون عندنا كلام كتير نقوله لدكتور أنور الجلسة الجاية

عاد لمنزله ورغم فرط إرهاقه لم ينم، حتى فرض عليه إتصال كرم أن يقوم من سريره ليرد، وما إن سأله عن حاله وحكى له حتى هتف كرم فيه بحدة كونه تجاوز خلافاته مع طليقته ويتودد إليها
"فين كرامتك، فين رجولتك، ده بدل ما تمرمطها بعد اللي عملته فيك"
ولم يشعر بالندم على شيء بمقدار شعوره بالندم كونه أطلع كرم على مشكلاته مع زوجته، فكرم لن يتفهم أبدا ما يقوله لذا قرر ألا يجادله واكتفى بردود مقتضبة وأنهى المكالمة لكن كريمة أكملت ما كان يريد كرم أن يقوله كونها كانت تسمع كلام ابنها فتابعت: اللي هي فيه ده من غضب ربنا عليها، اللهم لا شماتة
لكنه رغم التشتت وما يسمعه بدت بداخله رغبة تدفعه أن يكمل معها طريق العلاج لنهايته
ومع صباح اليوم التاليذهب للمشفى، وكلما سعى لنفض كلمات كرم ووالدته عن عقله ازداد ضيقه وزفراته، وما تراه هي منه يدفعها لطرده لكنه يفرض عليها السكوت كلما فكرت أن تحسم أمر وجوده وبنهاية اليوم رحل ولازال الضيق يتلقفه والحيرة بأمره وأمرها؟
"بريئة.........ربما"
"خائنة...........محتمل"
لكنه لم يملك إلا الذهاب مع صباح يومه التالي لها، كانت بغرفتها مستيقظة بعد ليلة سادها القلق، فليلى بدورها ترى أن وجود رياض خطأ، وذات السؤال تم طرحه؛ أين كرامتك بعدما أهانك واتهمك بما ليس فيك؟

شردت رغما عنها في أفعاله، كونه يحث أولادهما كل يوم أن يتحدثوا إليها، طريقة كادت معها تسأله سؤال لكنها تخشى إجابته
هل يفعل هذا لأنه تيقن من برائتها، أم أنها
لازلت في نظره متهمة؟
زفرت بشدة ثم نظرت للساعة لتدرك أن موعد مجيئه قد حان، الرجل ذو القلب الجليدي يصر على إظهار اعتداله، لكنه فاشل بدرجة امتياز في أداء الدور، فوجهه المتجهم وزفرات ضيقه باستمرار تتسبب في تلاشي أي شعور إيجابي ناحية أفعاله
طرق باب غرفتها ثم دخل وحياها وجلس يعبث في هاتفه بانتظار موعد جلسة العلاج الطبيعي دون التفوه بكلمة
تنهدت عندها بضيق وهي تنظر باتجاهه ثم اتخذت قرارها بأنها هي من ستبادر بضيقه، فالجليد لا يحتاج إلا للبرود كي نملك القدرة على التعامل معه
"رياضممكن تناولني شنطتي"
استغرب كونها وجهت له طلب ثم ناولها ما طلبت لكنها لم تكتفِ، فقد مدت له يدها بمنشفة وبعض أدوات تخصها وأشارت له كي يسندها لتذهب للحمام
وضع هاتفه في جيبه ورغم دهشته ساعدها، ليجدها مستمتعة وهي تمنحه الأوامر الأمر تلو الأمر
"افتح الصنبور، أغلقه، امسك هذا اترك هذا"
زفر بشدة ثم أسندها وعادت لتجلس على السرير وعندها ابتسمت وهي تتمتم: شكرا
"أي أوامر تانية"

أشارت لحذائها وسألت: ممكن تلبسهولي
زاد دهشته لطلبها لكنه أدهشها حين جثى على ركبتيه ليفعل، عندها تطلعت لوجه غير مصدقة أنها لم ترَ عصبيته المعهودة، رفع رأسه يطالعها بدوره وعندها ساد الصمت بينهما حتى قالت هي:اطلع برة
- افندم؟؟
كاد يزعق فحددت أنها تريد تبديل ملابسها فلم يملك إلا الخروج صافعا الباب خلفه ليقف بأول نافذة مقررا تدخين سيجارة لينفث فيها غيظه منها، لكنها ليست المخطئة لأنه من منحها الفرصة.
وجد إحدى الممرضات تطرق بابها فقرر أن يدخل خلفها، كانت تخبرها أن عليها أن تتجهز لأن دورها قد اقترب، فطلبت منها لبنى أن تساعدها كي تكمل هندام ملابسها، وما إن بدأت بمساعدتها حتى قالت: تعرفي يا مدام لبنى إحنا بقينا نظبط الساعة على الأستاذ رياض، ما شاء الله عليكم ربنا يخليهولك وميحرمكوش أبدا من بعض
ودعوتها اخترقت أذنيه وقد أكملت: ده الواحد هنا ياما شاف رجالة عايزة الحرق،ابقي اقري المعوذتين أحسن الممرضات معندهومش إلا سيرتكم
وما إن أنهت كلماتها حتى التفتت لتخرج وقد مرت من جواره وحيته بينما لبنى ابتسمت هازئة، هي عادة الجميع بالحكم فقط على ما تراه أعينهم، لذا فسروا بأن وجوده نابع من حبه.
بدا وجهها خالي من أي تعبير فاحتار فيمَ تفكر، تمنى لو استطاع سبر أغوارها ليعرف، قاطعهما اتصال لليلى أكدت فيه لبنى على أختها أن تبحث عمن ينظف شقة والدهم القديمة، ليدرك عندها

رياض إلى أين ستذهب زوجته فور خروجها، ومع نهاية اليوم وجد نفسه يهاتف ليلى ويصر عليها أن تمنحه فرصة إعداد المنزل للبنى عوضا عنها

أحقا هذا ما بات يريد فعله؟

أحقا تناسى هتاف سعد فيه وهو يؤكد

"بحبها وهي بتحبني"

ضغط على مكابح سيارته لتقف فجأة ثم التقط أنفاسه، وعادت دعوة الممرضة تئن بأذنيه

(ربنا يخليهولك وميحرمكوش أبدا من بعض)

(ربنا يسعدكم يا ولاد ويخليكم لبعض)

انتهى الزفاف وجمعهما منزلهما، لن ينكر عندها كم كان مرتبك، هي أول فتاة يتعامل معها في حياته وبما أنها زوجته فالتعامل سيكون على نطاق واسع حد .....

تركها بالصالة واتجه للمطبخ، شرب كوب ماء دفعة واحدة ثم عاد لها مقررا التظاهر بالثقة والتصرف بأريحية، ساعدها بحمل فستانها المنفوش وما إن دخلا لغرفة نومهما حتى عقب وهو يشير لخزانة الملابس: هتلاقي في الدولاب هدوم

ضحكت رغما عنها وعقبت: بجد

استشعر أنها ربما تسخر ففتح خزانته وأخرج ملابسه ثم رد: أنا معرفش مكان أي حاجة في الشقة، أنت وماما اللي فرشتوها سوا

- أنا ضايقتك

- لا، أبدا

ثم حمل ملابسه مقررا الخروج وهو يكمل: أنا برة،خليكِ براحتك

ثم جلس أمام التلفاز بعدما بدل ملابسه يتطلع للحلقة الفضية للتى تتوسط إصبعه شاردا في صرخات كريمة وضرب فاروق، هل هذه هي العلاقة المنتظرة بينه وبين زوجته
زفر بشدة وازداد ضيقه حين شعر بها آتية، لكنها اتجهت للمطبخ فاتجه خلفها وعند مدخله وقف وحين التفتت لتخرج وجدته فقالت: كنت بشرب
لم يرد ظل فقط يتطلع لوجهها، زينتها، رائحة عطرها، هل عليه أن يمنحها قبلة كما الأفلام؟
أمسك وجهها بين يديه ودفع برأسه ناحية شفتيها إلا أن جبهته ارتطمت بقوة بأنفها، وانفلتت نظارته وارتطمت برخام الأرض وتهشمت
- أنت كويسة
ولم تملك إلا الانفجار في الضحك وقد أمسكت بنظارته ومدت يدها لتعطيها له، شعر ببالغ الإحراج حد الافصاح عن ذلك بضيق: أنا آسف، وآسفلأني غصب عني مش بشوف من غيرها
- ولا يهمك، اتسند عليا
وهي من أمسكت بيده وتحرك معها رغم تشويش رؤيته وكل ما تلا ذلك اليوم فرض على نفسه التخبط، تلك اللمسات ليست سيئة ولا مؤلمة، تلك اللحظات التي تمر بجوارها باتت تعني الكثير
"سعيد......ربما"
"مشوش.......محتمل"
لكن المؤكد أنها سعيدة، تمنح بسخاء حب وحنان ومودة، تقترب وتنام فوق كتفه وهو مع بالغ الأسى لا يشعر حيالها بأي شيء

هو لا يعرف الحب وكفى!

وطبيبه النفسي قال بجدية، ثمة شرط كي تشعر بالحب عليك أن تسامح والدك

فرت دمعة من عينيه وتوقف معها سرده، كان أمام أنور يحكي هذه المرة عنه وعنها، من كثرة ما تمكن التشويش من عقله قرر أن يأتي، وما إن انتهى من كلامه حتى ربت أنور على يده وعقب:

واضح إن كان جواك كتير

مسح وجهه وعقب: تعرف إني متوقعتش أكون فاكر كل ده، كنت دايما فاكر إن مفيش بينا مواقف كتير بس لا أنا فاكر، أول مرة شيلت إياد، خوفي المستمر عليهم مني، يا ريتني ما اتجوزتها، ظلمتها وظلمت ولادي وظلمت نفسي

بدا متأثرا حد سؤال فرض نفسه: إيه اللي خلاك تيجي تحكيلي كل اللي جواك انهاردة

- مش عارف، يمكن حسيت إني....

صمت، تنهد ثم زادت حيرته فتابع: أنا عمري ما حسيت بأي مشاعر ناحية لبنى وحياتي معاها وصلت لمفترق طرق، ولما فكرت أقرب من ولادي بقيت حاسس إن مفيش جوايا مشاعر ليهم، ليه أنا كده؟

وبعد تنهيدة أخرى سأل: كل ده عشان مش عارف أسامح والدي على تصرفاته معايا؟

- الموضوع ملوش علاقة بوالدك، لكن له علاقة بعقلك الباطن وردة فعله على حرمانك من المشاعر زي الحب والحنان

- بمعنى؟

- بص يا سيدي، زي ما جسمنا بيشتغل فيه جهازنا المناعي لما بيكون في فيرس بيهاجمنا عشان يحمينا، عقلنا الباطن كمان أحيانا بيدخل عشان يحمينا لما بنتعرض لحرمان شديد من المشاعر الإيجابية زي السعادة أو الحب أوالأمان، والتدخل ده بيكون في شكل من اتنين، إما إن فاقد الشيء يعطيه وبسخاء شديد عشان الطرف اللي قدامه يديله اللي هو عايزه، وده اسمه شخص اندماجي وممكن نقول إن دي كانت شخصية لبنى، والنوع التاني هو الشخصية الانعزالية ودي حضرتك، وهنا الشخص عقله بيرفض يعترف بوجود الحب والمشاعر من أساسها، عشان يرتاح من جواه إن عمر ما كان ناقصه حاجة، ودايما جمله اللي بيوصف بيها نفسه بتكون (أنا كويس، أنا بخير وهكذا)

- يعني أنا عمري ما هحس بيهم

انزوت ابتسامة على شفتي أنور ورد: مش معنى أنك شخص انعزالي أنك معدوم الإحساس والمشاعر، بالعكس أنت بتحس وبتحب بس عمرك ما بتعترف بوجود ده جواك، لأنك مش شايفه مش مش حاسه

- والحل

- ببساطة، شوف مشاعرك، فتح عينك وامسح نضارتك، واعترف إن أزمتك كانت في رؤيتك مش مشاعرك

"افتح دراعاتك واحضن أولادك من قلبك، لمسهم مش جريمة ولا خطيئة، ده أمان وقوة، ولو والدك غلط في حقك فخطأه يتحمله هو لوحده أنت كنت رافض وبتقاوم يبقى حقك تشوف أنك مكنتش طرف ضعيف حتى لو هو اللي غلبك، انتصارك الحقيقي على والدك هو انتصارك على انكسارك، جايز يصعب عليك تسامحه بس اللي لازم تعمله إن حياتك وعمرك ميقفوش عند اللي هو عمله"

ليلة لم تمر على فارس بسهولة رغم إنهاءه لاختباراته لكن ثمة اختبار أشد على نفسه كونه يسعى للتحدث لوردة لكن كل محاولاته تبوء بالفشل

ومع صباح اليوم التالي اتخذ قراره بأنه اليوم سيرغمها على المجيء لمنزله وبأي ثمن، انتظر حتى أتت الساعة السابعة مساء حيث خرج والداه بينما فريدة اتجهت لدرس الرسم خاصتها، ومع بقائه وحيدا، خرج مقررا افتعال أي مشكلة تتسب في انشعال فتحي، فسكب صناديق القمامة وعاد لشقته، وما إن رأى أحد الجيران المنظر حتى ناداه وبات على الرجل تنظيف الأدوار وربما مسح السلالم

وعندها اتصل على الهاتف وما إن ردت وردة حتى اجتاحها زعيقه:
بتتهربي مني يا وردة، ماشي، بس متزعليش بقى لما أقول لأبوكِعلى اللي بينا، وابقي اتهربي مني بعدهابراحتك

كان على يقين من صعودها، وظل يفرك يديه بغيظ حتى دق جرس الباب، فاتجه ليفتحه وجذبها بسرعة لتدخل وأغلق الباب خلفها، بدت باكية وخائفة وأول ما قالت: غصب عني والله، أنا ....

قاطعها وهتف: أنتِ بتلعبي بيا يا وردة، مش كده

زاد بكاؤها وردت: أبدا والله، صدقني أنا معرفتش غير لما سافرنا، وأنا مقدرش أقولهم لا، متزعلش مني يا فارس والله غصب عني

لكن دموعها لن تشفع فثمة حريق يملأ صدره كونه لم يطالها، لطالما حلم لأيام بها وهي مستسلمة بين يديه وها هي تبكي الآن وتضع له بعض أعذار واهية

- أنا مليش فيه يا ست وردة، وقت ما أقولك اطلعي تطلعي ووقت ما أعوز أشوفك يبقى لازم أشوفك

- مبقاش ينفع يا فارس، لو حد خد باله وقال لأبويا تبقى مصيبة، وابن عمي حالف على أبويا مقضيش حد من سكان العمارة

- يعني إيه؟!

- أنا آسفة قوي يا فارس

- يا سلام

قالها وجذبها ناحيته وهو يسعى لتقبيلها عنوة، لكنها صدته، فزاد غيظه وأعاد الكرة فدفعته لترحل فصفعها

"أنتِ نسيتِ نفسك ولا إيه يا بنت البواب"

وجملته فرضت عليها أن تدفعه بكل ما تملك لتخرج، لكنه جذبها من شعرها، ولأن الأمر بات تحدي فلن يخسر ما يريده بعد كل ما خططته، دفعها لغرفته فصرخت فلطمها

"بت يا وردة"

وصوتها فرض على والدها القلق ما إن سمعه، حاولت هي الصراخ ثانية وضربته، فدفعها لسريره وهو يصرخ فيها: ما أنتِ كنتِ بتيجي برضاكِ

"كفاية"

(يا جماعة في صوت حد بيصرخ)

جملة قيلت من واحدة من الجارات لتنادي بها البواب الذي صعد مسرعا، ليتأكد ظنه من أن صوت صراخ ابنته آتي من شقة الدكتور محيي

"اوعى سيبني"

قالتها وردة ولكنه أخيرا تمكن من احتجازها كونه قيد ذراعيها، ثم خلع قميصه وشرع فيما ينوي

فلم يملك فتحي إلا كسر باب الشقة بعدما ظل يطرق عليه دون جدوى، ليدرك عندها ما الذي كان يفعله ابن الطبيب بابنته، ويدرك الجيران مدى سوء تربيته لابنه.

وما إن وصلا لدى أنور حتى سردا كل ما كان بينهما، حوار لم يذكرا فيه اسم فارس ولا فريدة إلا مرات قليلة وانتهى برغبة في إنجاب آخر، ولم يسعدهما ردة فعله على كلماتهما

فأنور وإن كان لميبدِ اعتراضه إلا أنه حاول احتواء فورة مشاعر بدا واضحا كم هي متسرعة

غادرا ولم تتحدث ليلى بكلمة، فكل ردود أنور من وجه نظرها لم تكن مشجعة، ولن ينكر محيي شعوره بالقلق لكنه قرر تجاوز الموقف مبررا: هو قال لازم ندي نفسنا فرصة كافية نقرب من فارس وفريدة، قبل ما نفكر في غيرهم، عشان منكبرش الفجوة بينا وبينهم وبينه

أومأت رأسها بتفهم فقرر عندها أن يعرض عليها أن يتناولا العشاء سويا بأحد المطاعم، فوافقت وما إن وصلا حتى وجد اتصال من فريدة، فاستوقفه صوتها الباكي لكنها لم تكمل لأن أحد الجيران أخذ منها الهاتف ليخبر محيي بما فعله فارس!!

هو أب، وجد ابنته بخطر فلم يقف على كل الاعتبارات الاجتماعية الفارغة، جذب فارس وظل يضرب فيه حتى كاد يموت بين يديه لولا

أن الجيران ابعدوه عنه، فصرخ فارس فيه بغضب هاتفا:هتعملوا فيها شرفا دلوقتي عشان الجيران حست ببنتك عندي، بنتك بتجيلي على طول واسألها
وما إن قال فارس جملته حتى أمسك فتحي بوردة وجرها من شعرها وصرخ فيها: الكلام اللي بيقوله ده صح يا بت، انطقي
- لا يا أبا ده بيكدب، أبوس رجلك يا أبا أنا معملتش حاجة
والصفعات على وجهها توالت، بينما واحدة من الجارات قد أمسكت بها وخبأتها خلفها وهتفت فيه: بنتك كان الحيوان ده هيعتدي عليها بدل ما تتشطر عليها اتشطر عليه هو
ورغم إمساك بعض الجيران بفارس وسعيهم لتهدئة الموقف إلا أن فارس لم يهدأ فكون البواب ضربه قد زاد هذا من اشتعاله فقرر أن يرد الضربات ولكن بطريقته فزعق قائلا: أنا مدخلتهاش غصب، هي اللي بتيجي ودي مش أول مرة ولو تحب أوريك صورها أوريهوملك
(اخرس بقى يا حيوان هتودي نفسك وأبوك في داهية)
قالها أحد الجيران الممسكين به، بينما لطمت وردة خديها وظلت تصرخ وهي تبكي: وربنا كداب والله يا أبا
- أنا كداب يا بنت ال....، ده أنتِ كنتِ في كل شقة شوية
ولم يملك فتحي إلا دفع الممسكين به والهرولة لمطبخ شقة محيي وجلب سكين والصراخ بجملة واحدة: عاري وهغسله بإيدي، وتاري وهخده منك يا ابن الدكتور، قسما بربي اللي عمري ما حلفت بيه باطل لأخلص عليهم انهاردة
ولم تملك إحدي الجارات إلا أخذ وردة والإسراع بها إلى شقتها وإغلاق الباب عليها، بينما صعد فتحي خلفها وهرولت زوجته تريد

الإمساك بيده قبل قتل ابنتها، لا تملك إلا الصراخ فيه واستجداء الجيران كي لا يقتل ابنتها، تلطم خديها وتصرخ فيه بلوعة: اقتلني أنا بس بلاش البت أبوس رجلك يا فتحي
لكنه لم يكن ليسمع، كان يضرب باب شقة الجارة يصرخ: افتحوا الباب
وعندها قررت الجارة أن تهتف فيه من خلف الباب: أنا مش هفتح إلا لما البوليس يجي وآخد عليك تعهد، ومش هسيبك تأذي وردة
- بوليس لأ، بلاش فضايح، بوليس لأ يا اخوانا
قالها وجثى على ركبتيه وبكى ببالغ القهر، فربت أحد الجيران على كتفه وحاول مساعدته ليقف، لكن الرجل لم يستطع وما إن وقف حتى ترنح فأسندته زوجته
في تلك اللحظة كانت فريدة قد وصلت وما إن دخلت شقتهم حتى صدمها أن أخوها محتجز من قبل جاريين ويبدو من هيئته أنه ضرب بقوة
شقهت وسألت عما حدث فطلب منها أحد الجيران أن تتصل بوالدها وما إن انتهت المكالمة حتى عاد بأقصى سرعة، وكل ما قاله لليلى هو أن فارس ارتكب مصيبة، وكل ما فهمه أن ابنه كان على عتبات الاعتداء على بنت البواب
شهقت بلوعة ثم صرخت وقالت: فارس مستحيل يعمل كده، مستحيل يعمل كده
وصلا لمنزلهما فصف سيارته وانطلقا يصعدان الدرج بأقصى سرعة لهما وما إن وصلا حتى نظرا لابنهما المحتجز بغرفته وأول تعقيب كان: الناس كانت هتبلغ البوليس بس عم فتحي مرضاش

ثم جذبه أحدهما يتحدث بهدوء قائلا: ابنك بيقول أن وردة كانت بتجيله الشقة وكلام تاني لو ثبت فتحي حالف يقتل بنته، أرجوك يا محيي، المواضيع دي تلموها، عيب قوي العمارة يحصل فيها الفضايح دي

اتجهت ليلى ناحية ابنها وجذبته من ملابسه وزعقت فيه: ليه عملت كده، ليه يا فارس ليه

كانت تصرخ باكية وما إن غادر الجيران حتى قال محيي وهو يطالع ابنه موجها كلامه لليلى وفريدة: سيبونا واطلعوا برة

شعرت ليلى بالخوف فعقبت: يا محيي.........

- خدي فريدة واطلعي يا ليلى

ولم يمهلهما وقت لما هو أكثر، جذب ليلى وفريدة من أيديهما ودفعهما للخارج وأغلق الباب بالمفتاح واتجه ناحية ابنه، عدة صفعات ما كانت لتشفي غليل محيي، ولن تمحي طعنة الغدر المحققة التي نالها من ابنه اليوم

(ليه عملت كده، ليه)

وصوته كان متهدج، يبكي ويضربه ولكنه يعلم، أنه من يستحق هذه الصفعات

(انطق اتكلم)

- دي مش أول مرة، وردة بتيجي وبمزاجها

- اخرس يا زبالة، تيجي وبمزاجها، أنزل أروح شغلي أنا وأمك وأنت تجيب بنات في الشقة، أنت يا عيل بتعمل كده امال لما تكمل عشرين سنة هتعمل إيه

قالها وجذبه من ملابسه ثم هتف: واللي كانت بتجيلك بمزاجها دي كانت بتيجي قصادإيه، انطق
نكس وجهه ولم يرد فأمسك محيي بهاتف ابنه وزعق فيه وهو يقول: افتحلي موبايلك
شحب وجه فارس فزاد زعيق محيي: افتحلي الهباب ده
أمسك فارس بهاتفه وضغط حروف كلمة السر ثم مد يده به لوالده، أمسك والده بهاتفه وبدأ يبحث عن الفيديوهات حتى وجدها، فتح أول فيديو وكان بالفعل لوردة وهي معه وفي غرفته، وابنه يقول بحبك ويسعى خلف نيلها بكل السبل
فلم يملك إلا صفعه مرة أخرى وهو يهتف فيه: خليك راجل وقول ضحكت على عقلها، لعبت بيها عشان بت غلبانة وأهلها غلابة، قول كده، واوعى تقول حاجة تانية
ثم قرر أن يرى بقية ما يحويه هاتفه، وكانت له الرؤية، مقاطع إباحية بخلاف صور نسائية مخلة، أهذا ما يحويه هاتف طفله؟ أكُبر فارس حقا؟
(افتحلي لابك)
نظر فارس لوجه محيي وبكى وعندها قال بخوف: خلاص أنا آسف
- افتح لابك يا فارس
واستند كونه قد أنهك من شدة الضربات التى توجهت له وعندها قرر، محيي تفتيش خزانة ابنه، بدأ يعبث بملابسه وبينها وجد شريط لأقراص أدرك ماهيتها عندما أمسك بها، تلك الأقراص تباع بالصيدليات لزيادة الكفاءة الجنسية، وعلبة أخرى تحوي....عدد من العوازل الذكرية التى تستخدم كوسيلة ذكورية لمنع الحمل

أمسك بالأشياء وقذفها في وجهه واتجه ناحية حاسوب ابنه، وهو بالكاد يتماسك بينما لا زالت ليلى تطرق الباب وتترجى زوجها أن يفتحه

- عايز أعرف بقى إيه الليعلى لابك بالظبط

وكان له ما أراد، حين وجد عدد من الأفلام الإباحية على حاسوب ابنه، حين وجد صفحات محفوظة لمحادثات تخصه، وأخرى تخص زوجته، ليدرك أن ابنه كان يراقب حواسبهم، كان يعرف عنهما كل شيء بينما هما لم يعرفا عنه أي شيء

جذبه من ملابسه وأوقفه أمامه ونظر في عينه وقال بأسى ممزوج بحسرة: جبت الأفلام دي منين، والحاجات اللي في دولابك دي بتاعة مين

بكى فارس ولم يجب فزاد هتاف محيي وأعاد سؤاله: اتعلمت كل ده امتى، عرفت ده من مين، مين مين

"أنت، عرفت كل ده.........منك أنت"

ساد الصمت للحظات بدت طويلة جدا رغم كونها ثواني معدودة، نكس فيها محيي وجهه للحظة ثم دفعه بعيدا عنه وتماسك كي يكمل: كل القرف ده يتمسح دلوقتي، واللي هقولك عليه هتعمله، وردة مش هتجيب سيرتها حتى لو بلغوا البوليس، كفاية أنك استغلتها بلاش كمان تكون سبب في مصيبة تطول أهلها وشرفهم، ولحد ما أحل المصيبة دي متخرجش من أوضتك ولا ليك كلام مع حد من البيت خرج وتركهوقد أغلق الباب عليه بالمفتاح ثم نزل لغرفة فتحي، كان جالسا أرضا عندما جثى محيي على ركبتيه ليجاوره ثم قال بعدها: لو عايز تبلغ البوليس بلغه ده حقك

- ما هو عشان ابنك ولد محدش هيجيب في سمعته مش همك
- طيب قولي إيه يرضيك وأنا هعمله معاك، بس قبل أي حاجة أنا عايزك تعرف إن ابنى كذب، وردة مكنتش بتجيله هو قال كده عشان خاف منك ومن الناس
- خاف
عقب فتحي هازئا ثم أكمل: هو ابنك بيخاف يا دكتور
مسح وجهه وأردف: أنا من بكرة هناخد عيالي ونرجع بلدي، ومش عايز منك حاجة، مش أنا اللي يبيع عرض بنته بالفلوس يا دكتور، وأنت عندك بنت ودي كفاية، وحقي هيجيبلهولي المنتقم الجبار
ولوقع جملته زلزلة في نفس محيي، فرضت عليه ترجي فتحي وهو يبكي: عشان خاطر ربنا يا فتحي بلاش تدعي على بنتي، أنا مستعد أعمل أي حاجة بس بلاش تدعي على بنتي
أشاح فتحي بوجهه وترك محيي ودخل غرفته وأغلق بابها في وجهه، فلم يملك محيي إلا أن يستند على إحدى الحوائط عائدا لشقته، وما إن دخل حتى هوى على أقرب مقعد، جاورته ليلى وسألت: إيه اللي حصل، حد بلغ البوليس
أومأ رأسه نافيا فتنفست الصعداء وعندها عقبت: إحنا ممكن نلم الموضوع، نساعده في جوازة بنته، نعمله أي حاجة ونسوي الموضوع
لكن ما قالته لم يرق له، تطلع حوله ثم سأل على فريدة متلهفا، وكانت إجابتها أنها بالكاد هدأت ونامت

فاتجه محيي لغرفتها، ثم جلس بجوارها وتابعته ليلى لتجده ممسكا بيد فريدة يبكي، ربتت على كتفه وبكت وعندها عقب: مكنتش فاكر إن غلطتي ممكن تعمل كل ده

- هنحاول نلاقي حل، ممكن أنور يساعدنا

وقفت قبالته وأكملت: وبعدين أنا غلطت أكتر منك، دي مكنتش غلطاتك لوحدك

- خايف عليهم قوي

قالها ودفن رأسه بصدرها وقد زاد نحيبه وهو يكمل: فارس ضاع يا ليلى، فارس ضاع وأنا اللي ضيعته

(أنت، عرفت كل ده..........منك أنت)

كان كلما تقلب بسريره دوت بأذنيه، هكذا ظن دكتور محيي أنه كان يربي، حين كان يجلب بالمال ما يحتاجه المنزل ويضع ابنه بمدرسة مميزة ويعطيه ما يظن أنها احتياجاته ويضن عليه بأهم ما يملك (الأبوة، المحبة، الاهتمام)

بل عليه الاعتراف أنه لا يذكر المرة الأخيرة التي ربت فيها على كتفه أو حضنه أو تحدث إليه أو سمع منه

ببساطة لم يكن له يوما أبا، كل ما منحه لفارس اسم رافق اسمه بالأوراق الرسمية، لكنه لم يزد على ذلك شيء

مسكين أنت يا فارس لأن قدرك كان السير بطريق والدك لأنك ما كنت لتعرف طريقا غيره وحدك، لكن عندما زلت قدمك، توالت صفعاته على وجهك، لإدماغ صك أبوته، لكنها لم تفيقك بقدر ما أفاقته

نظر لليلى بجواره، كانت تتظاهر بالنوم عله ينام لأنه بأمس الحاجة لراحة لكنه لم يفعل، قام من سريره واتجه لغرفة فارس ولم يأته منها أي صوت

شعر بالخوف على ابنه فقرر أن يفتح الباب، وعندها وجده نائما أرضا على هيئته، فكر أن يفيقه أو يحمله ويضعه في سريره، لكن غضبه غلبه فهز جسده بقدمه ونادى على اسمه غاضبا،فتح عينيه وقد فزع ثم قام من مكانه فعقب محيي بحدة: اطلع نام مكانك

- ممكن أدخل الحمام

- روح

قالها ولا يزال غاضبا وحين عاد فارس وجده يخلع أسلاك الحاسوب ويحمله بيده هو وهاتفه وهو يؤكد، أنه لن يحصل على شيءمنهما بعد الآن، أومأ رأسه واتجه لسريره ونام، فخرج محيي من غرفته وأغلق بابها بالمفتاح مرة أخرى

ثم اتجه لغرفة مكتبه، هنا المكان الذي شهد كل لحظة لذة محرمة وضع ما بيده على مكتبه ثم هم ليخرج لكنه عاد وأمام حاسوبه وقف، هل ستحاسب فارس وحده؟

جلس على مقعده وفتح حاسوبه ثم فتح الملفات الخاصة بالأفلام مقررا مسحها، وما إن ضغط حتى ظهرت رسالة مفادها، تم مسحه تم محو ما كنت تشاهده من حاسوبك لكنه لم يمحى من كتابك وبقى أثره

"ذنوب"

لا تمحى بضغطة زر

"ندوب"

على إثر جرح متبادل لأن الأب طعن ابنه في تربيته، وردها فارس كطعنة استهدفت سويداء القلب
ومع الصباح غادر حتى دون رشفة ماء، كان يريد وبأي ثمن أن يقابل أنور، هاتف عيادته ولم يأتِه رد فقرر أن يتصل بهاتفه الشخصي وبعد الرد كان رجاؤه أن يقابله الآن وبأي ثمن وبعد إلحاح سمح له أنور بأن يأتي لمنزله
بطريقه وجد غرفة عم فتحي مغلقة وحين اقترب منها وجد قفلا كبيرا عليها فقرر أن يسأل عنهم محل البقالة المجاور ليدرك أن فتحي وأسرته قد رحلوا عند الفجر
ما إن غادر محيي حتى تطلعت ليلى لغرفة فارس المغلقة بالمفتاح، اغرورقت عيناها بالدموع وهي تتذكر كلام لبنى عن أولادها، أتت فريدة وجاورتها وسألت: هو هيفضل محبوس لحد امتى
- بابا قال محدش يفتحله، وأكله هيدخله ومش هيقعد معانا
ثم اتجهت ليلى للمطبخ، حاولت ألا تبكي ولكنها عجزت، تبعتها فريدة والتي سعت لمساعدتها وبعد دقائق مرت في صمت تركت فريدة ما بيدها وبكت بشدة، نظرت لها ليلى وترددت فيمَ عليها فعله، فربتت على كتفها لكن فريدة باغتتها ودست رأسها في صدرها ثم قالت بلوعة: ممكن تطبطبي عليا، ممكن أحكيلك حاجة بس تساعديني من غير عصبية
ضمتها إليها وظلت تمسح على شعرها وتربت على كتفها وتبكي معها كونها لأول مرة تفعل
ثم اتجها ليجلسا ورغم خوفها قررت أن تخبر والدتها عن أستاذها "مستر مجدي"

خطأ ربما كان خفي عنهم لكنها فعلته، سقط قلب ليلى في أخمص قدميها وارتعبت حين كانت جملة ابنتها الأولى
"أنا بحب مستر مجدي"
فسألت بفزع: بتحبيه أزاي
بكت بخوف ثم سردت ما حدث بالمدرسة لتفرض عليها أن تشهق من فرط صدمتها، فابنتها ارتمت في أحضان مدرسها وجلبت لنفسها كارثة، لكن محيي تدخل وأنهى الخلاف مع المدرسة إلا أن مشاعرها تجاه أستاذها زادت، زاد بكاء ليلى وعندها أردفت: كل يوم بدخل أشوف صفحته على فيس وطول ما أنا في المدرسة بدور عليه وأحاول أشوفه، وعملت أكونت غير الأكونت بتاعي عشان أكلمه منه وبعتله رسايل كتير بس هو عملي بلوك
ظلت تسمع حتى انتهت فريدة ودست رأسها بصدر والدتها مرة أخرى، فضمتها ليلى بحنان وقد نال العجز منها حد أنها لم تمتلك ردا
إلى أين آلت حياة أولادك يا ليلى؟
فريدة تفعل ذنب والدتها وفارس يفعل ذنب والده
وكأن كليهما قد رسما لهما الطريق ذاته ليمشيا فيه، وهل كان لهما الخيار بطرق أخرى؟
ظلت تمسح على رأس ابنتها ثم قالت: كل ده وهم يا فريدة، كل ده مش حب وعمره ما هيكون حب
- بس.......أنا
- أنت اتجذبتي لحاجة في شخصيته، بس مش ده الحب يا حبيبتي "حبيبتي"

استوقفتها لأنها قالتها لأول مرة فأكدت ليلى: أيوة يا فريدة، حبيبتي، وصدقيني مفيش حاجة في الدنيا ممكن تكون أغلى منكم عندي، أنتِ وفارس

اعتذر كثيرا للطريقة التي أتى بها لمنزل أنور، استقبله بغرفة الصالون وقد أبدى تفهمه، خاصة عندما لمح محيي أن الأمر يتعلق بفارس

بدأ يحكي له عن أشياء كان يمني نفسه إخفائها ولكنه بنهاية المطاف صرح بها وما إن انتهى حتى لاحظ تأثر أنور للمرة الأولى ثم تابع:

لو كانت ليلى اتجوزت راجل أحسن منيمكنش كل ده حصل

خرجت الجملة بثقل فرضت على أنور أن يربت على ساقه وهو يقول: أقولك حاجة يا محيي ومتستغربهاش

تنهد أنور وبعد تردد أردف: في بداية حياتي كنت متجوز من إنسانة كنت بحبها جدا بس مع الأسف أنا مقدرتش أحافظ على الحب ده، كنت فاكر إني عشان دكتور نفسي حياتي هتبقى مثالية، إني هقدر أحل أي مشاكل تقابلنا، لا ده إحنا يمكن ميبقاش بينا مشاكل من الأساس، بس ده محصليش ووصلنا لمفترق طرق وكمية مشاكل ملهاش آخر أو حل غير الطلاق، وقتها الدنيا كانت سودة في عيني، ثقتي بنفسي اتهزت وسيطر عليا شعور كبير بالفشل في أهم حاجة في حياتي، حياتي وقفت، مكنتش مستوعب لحد ما وقفت مع نفسي وراجعت تصرفاتي عشان من جوايا أكون واثق ومتأكد أننا فطرتنا الأصل فيها محاولات واجتهادات، لو صابت بقت صح ولو خابت وعرفت أنك غلطت فالأصل أنك تصلح غلطتك ده، بس عقبال ما

فهمت ده كان فات الأوان وكانت ارتبطت بشخص تاني، من وقتها وأنا بدرس وبشتغل في المجال ده على أمل إني أقدر أساعد الناس يصلحوا أخطاءهم، ودلوقتي ربنا أكرمني بزوجتي الحالية وأولادي، اللي عايز أقولهولك إن تجربتك دي هتعدي يا محيي وبعد كام سنة هتفتكر المواقف دي بس وأنت فخور بنفسك، فخور أنك لما فتحت عينك وشوفت حياتك منهارة وأولاد في أزمة مفكرتش في نفسك واتجوزت على مراتك وحملتها مسؤلية فشل علاقتكم، لا أنت وقفت وواجهت نفسك واللي وصلتله حياتك وقررت تصلح

- يعني أنا مش بني آدم وحش

- بالعكس، كونك بتحاول دلوقتي ده يخليك كويس جدا

- طيب أنا المفروض اتصرف مع فارس أزاي دلوقتي

اقترب منه أنور ليكون قبالته أكثر وأكمل: قبل ما أقولك ازاي تتصرف مع فارس خليني أوضحلك نقطة مهمة، إحنامش لوحدنا بنربي يا محيي، كل حاجة حولينا بتربي معانا، عشان كده دورنا أننا نكون جنب ولادنا، نعلمهم أزاي يفكروا بس نسيبهم يختاروا وإحنا مستوعبين أننا إحنا الكبار لنا أخطاءنا وبالتالي طبيعي هما كمان يغلطوا، وزي ما هنعاقبهم ونشد عليهم لازم يفضلوا واثقين أننا أول حضن لازم يترموا فيه عند أزمتهم

- كان المفروض أكون أنا وفارس أصحاب؟

- لا، لأن الأب أقوى وأهم من الصاحب، أب يعني هتحب وتحتوي وتراعي وعند اللزوم هتشد وتعاقب وتعنف

ورغم ما قاله أنور إلا أن محيي مضطرب، كل هذه الكلمات كانت ذات أهمية فيما مضى لكن الآن، وبعد كل تلك السنوات من التقصير

مسح وجهه بكفه فعقب أنور: بص يا محيي، المشكلة دي بإذن الله لها حل

- صحيح، أنا مستعد أعمل أي حاجة أنا وليلى كمان

- كويس، بس مش هنبدأ على طول، لأن العقاب دلوقتي مهم، لازم فارس يحس بغلطه ويندم ويعترف بأنه غلط وعند اللحظة دي هيجيلك وهو ندمان وخايف، وهنا أنت لازم تساعده، تقوله بداية العلاج والتوبة ويشوف منك قدوة لأب ندم على اللي عمله وبيصلح أخطاءه بمنتهى القوة والعقل، هنا فارس هيشوف الصورة البديلة وساعتها هتكون قطعت معاه شوط كبير في العلاج، وكل ده مش سهل، بس أعتقد أنه هيختبر فعلا أنت مستعد تعمل أي حاجة عشان ولادك بجد، ولا كلام وبس!!

عصر اليوم التالى، ما إن عاد من زيارة لبنى بالمشفى حتى اصطحب أولاده لمنزل لبنى القديم من أجل تنظيفه واستكمال طلاء الحوائط لليوم الثالث على التوالي

بدلوا ثيابهم وعاد إياد ليكمل الحائط التى كان بدأها بالأمس، وعندها ربت رياض على كتفه وعقب: الله ينور

تبادلا الابتسامة ثم أمسك رياض بفرشاة دوارة كبيرة وعاد يكمل حائطآخر، جاوره زياد وظل ينظر له وهو يبتسم حتى استوقفه سائلا: هو أنا ممكن أعمل معاكم

أومأ رياض رأسه بإيجاب ثم منحه فرشاة صغيرة وأشار إلى جزء صغير بالحائط وعقب: ايه رأيك تعمل أنت الحتة دي

فرح بما وُكل له، بينما قرر رياض ترك أولاده بالصالة والتوجه لغرفة النوم، دخل مقررا سحب الأثاث القديم وتغطيته حتى يتمكن من طلاء الحوائط، عندها كان صوت ريناد عاليا وهي تهتف في إياد:
دي كانت أوضة ماما، هي اللي قالتلي حتتحاجتهم لسه فيها
- طيب اقفلي الباب عشان ماما ممكن تزعل لو فتشنا في حاجتهم
خرج من الغرفة واتجه نحوهما وقال بحزم: هي دي المساعدة، مش اتفقنا هتشتغلوا في الصالة
أشارت ريناد للغرفة المجاورة لغرفة النوم وقالت: أصل دي أوضة ماما وطنط ليلى القديمة وفيها حاجات كتير كنت عايزة أشوفها
أتى زياد وقد دخل للغرفة وعقب: ده في صندوق فيه لعب
فأردفت ريناد: وواحد في قصص وكتب
- محدش يفتش في حاجة بقى
قالها إياد فعقبت ريناد: على الأقل نمسحهم ونرجعهم مكانهم
عقب رياض بفراغ صبر: طيب أنا هعملهم وأنتم كملوا الصالة
عادوا للصالة وعندها توقف للحظة وفكر، ربما تفكر لبنى في غرفتها القديمة أفضل، فسحب الصناديق ثم بدأ بتجميع الأثاث بوسط الغرفة، ثم جلب صندوق كرتوني كبير ونظيف عوضا عن ذلك المتأكل وبدأ بوضع الكتب والأوراق بداخله، حتى سقط أرضا خطاب بات واضحا، أنه اندس حديثا وسط الكتب
وعليه كُتب .... إليكِ لبنى
"مختار"

طالعه باستغراب وقد وجده غير مغلق وبداخله رسالة وبعد تردد فتحها مقررا قراءتها ليجدها مؤرخة بتاريخ اليوم السابق للحادثة ثم كُتب فيها

"فاكرة لما كنت بقولك يوم ما تضيق بيكِ الدنيا ارجعي للبيت ده، أنا متأكد أنك هتيجي، امتى مش عارف بس أكيد هتيجي، وساعتها أكيد هكون في تعداد الأموات، لأن معتقدش أنهم هيسبولي فرصة ألحق أصلح كل حاجة، وعليه عايزك تعرفي إني على قد ما غلطت في حياتي على قد ما ندمت وحاولت أصلح بس كان فات الأوان، حاولي تسامحيني وخلي أخواتك كمان يسامحوني، في ضهر الورقة دي رقم خزنة في البنك اللي فيه حسابي وكلمة السر، الخزنة دي فيها وصيتي وأوراق مهمة، وباسمك ومحدش هيقدر يفتحها غيرك، وصلي الأوراق اللي فيها لإكرام وقوليلها لازم يكملوا اللي بدأوه عشاني، يمكن بالخطوة دي ربنا يمحو عني جزء من ذنوبي، وخلي بالك من فاروق وأوعي تأمني للراجل ده"

مختار

رؤيـة واضحة

(18)

سافر ونيته عدة صور ولقب، وعمرة لا يهم أن تكون مقبولة بحق أم لا، فالسفر كان للترفية أولا، والتسوق ثانيا وشكل اجتماعي منمق لمدير البنك الستيني الملتزم الناسك المتعبد لربه، شحن لضمان استمرار واجهة براقة تغطي على ماضيه العفن

ولم يكن يظن أنه هناك قد يرى ذلك الماضي ينتظر، حين لمحها بالحرم، بدا أنها تؤدي مناسكها وتطوف حول الكعبة وتبتهل بالدعاء وتبكي بحرقة

أتدعو على من ظلمها؟

ظل بمكانه يشعر بارتجاف جسده، غير قادر على التحرك، أو غض الطرف عن وجودها، فظل يطالعها حتى لمحته، نظرت له باحتقار وعندها خطا خطوة واحدة ليتحدث إليها لكنها اختفت، يومها عاد للفندق ولم يستطع النوم لأن هيئتها رافقته طوال الليل، تنهد بحسرة، وظل يجول بغرفته حتى سمع أذان الفجر فعاد للحرم ليصلي وما إن انتهى حتى عاد لنفس المكان الذي التقاها فيه ليجدها هناك وعندها طالعها بخوف ثم ردد اسمها: نوال

ظن أنها ستسبه أو تلعنه أو تتوعده لكنها لم تفعل أيا من ذلك، فقط أشارت بيدها للأعلى ثم قالت: هو الحكم العدل يا مختار، هو الحكم العدل

وتركته ورحلت ولم يرها بعدها إلا كل يوم بمنامه ليدرك أن لا عقاب أشد من عجزه عن النوم للدقيقة واحدة دون أن يوخزه ضميره

سافر شخص وعاد آخر، يهذي بكلمات عن العقاب والحساب والتوبة، ويفكر بتبديد ثروته بدعوى رد المظالم لأصحابها

"أنت إيه اللي جرالك بالظبط، عقلك فوت ولا كبرت وخرفت"
هتف فيه فاروق فأجابه بغضب: وأنت باللي عملتوا خليت فيا عقل، ليه عرفت بناتي بعلاقتي بنشوى، ليه لبنى عرفت
- اعتبرها قرصة ودن، ويا ريت تفوق بقى من جو الدروشة ده عشان نشوف شغلنا، أنت طلعت العمرة دي عشان تعملك فوتوسيشن حلو وتتصور كام صورة عند الكعبة تنزلهم على الفيس وتكتب عليهم عمرة مقبولة، أنت صدقت نفسك ولا إيه
- هو أنا مينفعش أقابل ربنا نضيف
قالها بحرقة فزعق فيه: قولتهالك زمان وهقولهالك تاني مش إحنا، اللي زينا ملهمش توبة
وقال جملته الأخيرة وهو يهمس في أذنه، ثم ربت على كتفه ثم اتجه ناحية خزانته، التفت مختار ناحيته يتابعه، كان يعلم أنه يفتحها ببصمة إصبعه بخلاف كلمة سر سعى أن يراها لكنه فشل، فقط أدرك أنهم أربع أرقام من الصوت الصادر على إثر ضغط الأزرار
جلب فاروق عدة أوراق منها ثم أغلقها واتجه إليه واضعا الأوراق أمامه ثم قال: امضي
نظر للأوراق وقد فهم، القرض الأخير الخاص بفوزي الجمال، نظر له ثم للأوراق مرة أخرى ثم عقب: أما يسدد اللي عليه الأول "مختار"
وكادت أسنانه تصطك ببعضها من فرط غيظه لكنه تماسك وأردف: خلصله الأوراق دي ومتعملش أزمة، الراجل مستعد يزود حصتك للضعف، قلت إيه
- قلت لأ

زفر ثم توعده بحدة: طيب أنا عايزك تفتكر اللحظة دي كويس قوي لأنك هتيجي لحد هنا وهتمضي على الأوراق دي ولو مكنش برضاك هيبقى غصب عنك

خلع نظارته الطبية وفرك بين عينيه ثم ارتداها وعاد يرمقها بضيق ثم عقب: يبقى فاروق لما مد إيده عليكِ عشان تسكتِ يوم خناقتي أنا وسعد كان عشان خاف تحكي علاقة مختار بحكاية نوال وفايز، مش كده

كانت تريد التهرب منه لكنه حاصرها دون قبول لأي أعذار منها، فأجابت بفراغ صبر: لو ليا خاطر عندك، ركز في نفسك، وانسى كل الناس دي

ثم همت لتخرج من الغرفة لكنه استوقفها، ليؤكد لها أنه اليوم جاد في حديثه معها ولن يتراجع عن معرفة الحقيقة منها كاملةلذلك هتف بحدة

" لحد امتى هتفضلي تتهربي وأنا أفضل أتخبط وجوايا ألف سؤال أنا واثق إن إجابتهم عندك، وكأنك مصرة تبخلي على أقرب الناس ليكِ بالراحة"

فرت دمعة من عينيها تقابلت مع دمعة فرت من عينيه، قالت معها ببالغ خوفها: أنا يا رياض، بعد كل اللي عملته عشانكم

- قصدك كل اللي عملتيه فينا

عدة ثوانٍ مرت حل فيها الصمت ضيفا غير مرحب به، فرض عليه أن يهتف بعدها: أنا تعبت....تعبت من سكوتك طول السنين اللي فاتت، تعبت وأنا شايف استسلامك لفاروق ورضاكِ بذله وإهاناته

وما كان يظن أنه سيبكي لكنه أمامها تذكر ما تظاهر بنسيانه فانهمرت دموعه تسيل بتتابع وسرعة، مخزون القهر وجد له مخرجا (تعبت وكل سؤال نخر جوايا وكسر فيا حاجة هتجاوبيني عليه دلوقتي)

وبلوعة وقهر أجابته: معقول تكون بتلومني، ده أنا استحملت اللي مفيش ست تتحمله، كل ده عشان ميحرمنيش منكم، كان كل همي تكبروا وتبعدوا عن طريقه

- وقدرتي؟!

- حاولت والله العظيم حاولت

- وآخرة المحاولة كانت إيه، كل واحد فينا بقى نسخة من فاروق بس بطريقته، كان أولى بيكِ تبعدي بينا عنه، أنتِ فاكرة أنك حافظتِ علينا لما فضلنا جنبه، بالعكس إحنا طلعنا ومفيش قدام عنينا غير نموذج فاروق الدويري اللي مفروض نتعلم منه الرجولة والأبوة، أنتِ عملتِ مننا مسوخ، لا عرفت تتراجع عن طريق فاروق ولا عرفت تكمله

زاد بكاؤها ولم تعقب، نكست وجهها أرضا ثم أمسكت بيده بين يديها: تفتكر لو كانت فيه فرصة واحدة كنت هسيبها، أبسط كلمة كنت بسمعها سيبيهم وامشي، وحتى إني أمشي بسلام مع فاروق مكنتش هضمنها، ساعتها هيكون مصيري من مصير نوال، بس نوال أنا اللي أخدت ولادها، لكن لو أنا مشيت تفتكر فاروق كان هيدور عليكم أنتم

"نوال"

قالها وتنهد ثم أبعد يدها عنه، ثم قرر أن يعيد أسئلته: أنتِ تعرفي الحقيقة، عايز أعرف أبويا ومختار وعمي ونوال إيه اللي جمعهم، وأنتِ هتقوليلي كل حاجة ودلوقتي

هي أحد أهم قضايا فاروق الدويري رغم أنه لايزال محامي يعمل بمكتب أحد المحامين ذائعي الصيت، لكنه قرر منذ أن بدأ طريقه ألا يخسر قضية مهما كانت أبعادها حتى لو كان موكله معترفا بجريمته هو المحامي الذي لا يهزم، حتى لو وكل له إبليس قضية، وأمام إصرار منصور على ألا يبدل أقواله، وتحديه لفاروق برفض شهادة الزور، كان عليه أن يفرض عليه دفع الثمن، هدده وتوعده ولكنه فشل فلم يجد إلا صديقه وزميله بالعمل

"مختار"

لتأتيه الضربة منه هو دون أن يدرى، فالأوراق التى كانت تدين موكل فاروق كانت ببيت منصور، ولم يثق منصور إلا بمختار فأخبره عنها، وكانت النتيجة مساعدة فاروق مقابل مال هو في أمس الحاجة إليه أدت لسرقة الأوراق من منزل منصور، براءة لموكل فاروق وطرد منصور من عمله

وبداية تعاون بين رجلان كان الشيطان ثالثهما، وفي أحد مرات لقاءاتهما أخبر فاروق مختار عن أخوه من والده الذي ورث والدته الثرية التي تزوجها والده وتركه هو ووالدته بسببها، وكيف أنه لطالما حلُم بذلك الإرث الذي إن حصل عليها فقد تتغير حياته رأسا على عقب

ولكنه لم يكره بحياته شخص بقدر فايز ولا شخص بقدر منصور قرر أن يضرب العصفورين بحجر
والقصة التى دوما تصدق حتى دون سرد أدق تفاصيلها، هي الخيانة فحين تزل قدم رجل في عشق امرأة، كل شيء يستباح لأجل الفوز بها
خطة بدأت بمختار حين قرر أن يساعد صديقه ،فأتى له بفرصة عمل بنفس المكان الذي كانت تعمل به نوال، وبقية الخطة تم رسمها بإتقان، مواقف تجمعهما قدرا، وزوج يراقب وتثار بنفسه الشكوك تجاهها، وفاروق يحثه على المواجهة للخلاص من العاهرة وعشيقها وعندما تسنت المواجهة، تخلص هو من أخوه، وبدا أن العشيق هو من فعلها

وما إن انتهت من سرد الماضي حتى أدرك أبعاد الفخ، وأدرك من فعلها، توجه للبنى بالمشفى رغم أن الوقت كان متأخر جدا، لكنه لم يستطع الانتظار للصباح
وجدها كانت نائمة، فجلس بجوار سريرها، أمسك بكفها بين يديه ثم طالعها بأسى لطالما ظنها امرأة العزيز والآن حصحص الحق حد أنها من قاومت من راودها عن نفسها، ليدرك الآن كيدهم
فتحت عينيها لتتفاجأ بوجوده وقد أشعرتها هيئته أن ثمة شيء قد حدث فسألت مضطربة: الولاد كويسين؟
أومأ رأسه بإيجاب لكنها لم تطمئن فعقبت: طيب في إيه يا رياض، إيه اللي حصل
ربت على يدها عله يطمئنها ثم قال: ليكِ معايا أمانة مقدرتش استنى للصبح عشان اديهالك

ثم أخرج من جيبه خطاب أبيها وتركها تقرؤه واتجه للنافذة يقف فيها وقد ظل صامتا، قرأت الخطاب بيد مرتعشة وقلب يئن بين خوف ورجاء
هل ما تعنيه تلك السطور أن هناك رؤية أخرى لكل ما مضى غير تلك التي ظنوها
وما إن انتهت من قراءته حتى التفتت لرياض تسأله: جبت الجواب ده منين ؟
- من شقتكم القديمة.
بدا لها أنها ما عادت تفهم شيئا فقرر مصارحتها، كان يذهب لشقة والدها يعيد طلاءها وترتيبها من أجل خروجها، شعرت بضيق من كونه يريد دوما أن يقوم بما يراه واجبه
- أنا مطلبتش منك مساعدة يا رياض، وأي حد كان ممكن يرتب الشقة وينضفها
كان يظن أنها ستفرح عندما يخبرها بأنه يهتم لأمرها لكنها تضايقت، تعلم أن حياتهما لن تعود ولكنها تكره التصريح بذلك
- طيب خلينا دلوقتي في وصية والدك وكلامه، ناوية تعملي إيه؟
رغما عنها كانت تشعر بالتخبط، نظرت للخطاب ثم له ثم عقبت: مش عارفة
وبعد لحظات من التفكير أردفت: هو أنا أقدر أثق في إكرام فعلا؟
فكر في كلامها ثم سأل بتردد: في سؤال تاني عايز أسألهولك بس ..... بس خايف من إجابته
رمقته بشك ثم سألت: إيه؟
بجدية سأل: ممكن تديني فرصة أساعدك في تنفيذ وصية باباكِ

وقبل أن تجيبه أردف: وقبل ما أعرفإجابتك، عايز أقولك أن ده مكنش سؤالي
-أمالإيه هو السؤال؟
- السؤال هو بعد كل اللي عدى ممكن تثقي فيا مرة تانية؟
بدت مترددة وقد زاد تيهها وعندها تابع: لو الإجابة أيوة، يبقى لازم نخرج بكرة من المستشفى بشرط محدش يعرف مكانا!!

"كلاااااااااااااااااب"
صرخ بها سعد وقد جذب مختار من ملابسه، رغم أنفه كان يبكي وهو يسمعه ولو علم مختار أن إخبار سعد بالحقيقة لن يفيده ما كان ليفعل
- اديني فرصة يا ابني أكملك بقية الحكاية
أحكم قبضته على ملابسه وقد رد بصوت تهدج من فرط الصدمة:
أزايرضيت وقبلت أنك تساعده في كل اللي عمله في أبونا وأمنا، وجاي دلوقتي عايزني أسامحك، أسامحك على إيه ولا إيه، على أبويا اللي مات غدر ولا أمي اللي ماتت بحسرتها بعد ما خسرت جوزها وولادها وسمعتها، كل ده عشان الفلوس، ملعون أبو الفلوس اللي تخليكم تعملوا فينا كل ده
ثم تفلتت يده من ملابس مختار ليرتكن على سيارته ثم يهوى بعدها أرضا إلى جوارها،نظر له مختار ليدرك الآن فداحة ما فعله، فداحة ما سولته له نفسه، فجثى بجوار سعد على ركبتيه وقد كاد يربت على كتفه لكن يد سعد أبعدته وهو ينظر له باحتقار ثم أشاح بوجهه، أدرك مختار أنه لن يملك ما يقوله وأن انكشاف الحقائق لم يكن أبدا بالحل

الجيد، لن يستطيع أن يرد المظالم لأهلها، ولا مقاومة الظلم وقد بلغ أشده، هم سعد من مكانه يقف، وحين حاول مختار مساعدته دفعه مرة أخرى وزعق: وأنت جاي تحكيلي عشان نويت تتوب، وأنا المفروض أصدق التمثيلية دي، أنا فاهمك كويس، أنت جيت لما حسيت بغدر فاروق، قلت تعمل بطل طالما فاروق قرر يعتبرك كارت محروق، لعبتك المرة دي مكشوفة يا مختار، وأوعى تفكر للحظة إن اللي عملتوه في فايز ونوال أنا ممكن أعديه

قالها واتجه لسيارته وركبها وانطلق بها راحلا تاركا مختار في وسط إحدى المناطق المتطرفة التى تعمدا أن تتم المقابلة بها كي يضمنا ألا يعرف فاروق

وطوال طريق العودة لبيته لم يفكر بشيء بقدر التفكير ببنات مختار عليهن أن يذقن من ذات الكأس التي تجرعتها نوال مجبرة،ولهذا فهو لن يهنأ حتى يدمر سمعة الثلاثة تماما كما فعل أبيهم بوالدته

كان ينتظرها بسيارته وعندما وصلت جاورته وسألت: في جديد؟

أخرج بعض الأوراق من حقيبة كانت معه وقال: حليت لك موضوع الرفد، هترجعي المدرسة وتمتحني ولا كأن حاجة حصلت

هتفت شذى بسعادة: بجد

ونظرت للأوراق وتأكدت من كل ما قاله، وعندها عقبت: أظن لحد هنا وكفاية بقى يا سعد، أنا ساعدتك بما يكفي ومش ذنبي إن اللي كنت مرتبله متمش

زفر بشدة ورد: آخر مساعدة يا شذى وبعدها هديكي الصور اللي ليكِ معايا وهنقفل إحنا الاتنين الحدوتة دي

بدا عليها الضيق وتململت وهي تسمع ما يطلبه حتى انتهى فقالت بصدمة: أنت ناوي على إيه؟!

- نفذي وبس

شعرت بالخوف ولكنها لم تملك إلا الرضوخ كما العادة فكل ما ترجوه ألا يعلم والداها عن أخطائها شيء.

لم يبق على اختبارات الثانوية العامة إلا عدة أيام، كان عليها فيها أن تتظاهر أمام تيسير بأنها تستذكر، لأن هذا ما يعنيها، أما هي فكلما فتحت كتاب كانت تشرد في كل المواقف التي مرت وتتصاعد الأسئلة بعقلها تباعا

"نشوى"

"أيمن"

"مازن"

وكلام شذى عنهم، وبدا واضحا شرودها لوالدتها والتى دخلت فجأة تحمل بيدها طبق به بعض شطائر لتأكلها قبل نزولها لحصة المراجعة عند الثالثة عصرا فهتفت: ركزي في المذاكرة

تنهدت بضيق وردت: حاضر

جلست تيسير أمامها مقررة السؤال عن أحوال ليلى ولبنى، فمنذ رحيلها من المشفى ولبنى لا ترد على هاتفها، ولاتريد منها أن تزورها، لتستغرب من رد لمياء عن ليلى بأن هاتفها مغلق من الأمس، بينما آخر مكالمتها مع لبنى كانت لبنى بخير وقد بدأت تتحرك بعض خطوات بسيطة وهي مستندة على الحوائط وقد تقرر خروجها بالغد

- هتخرج على البيت القديم برضو، لبنى دي طول عمرها تعباني وخلاص، تقعد مطرح ما هي عايزة

لم تعقب لمياء فقط بدأت تأكل وعادت لمطالعة كتبها حتى قاطعتها تيسير وسألت: طيب ليلى مقالتلكيش حاجة

- لا آخر مكالمة بيني بينها كان صوتها مبسوط، شكلها حلت مشاكلها مع أونكل محيي

جملة فرضت على تيسير الابتسام مع جملة تأكيدية: ليلى طول عمرها شاطرة، اهو أنا عايزاكِ تبقي زي ليلى في حياتها، دكتورة ناجحة وجوزها دكتور كبير وعارفة تدير بيتها صح، مش زي الخايبة التانية، شوفتي اللي بيسمع كلامي بقى

ثم أتبعت تعقيبها بكلمة ظلت تكررها: ذاكري، ذاكري

وتركتها لتتابع التلفاز بينما آثرت لمياء إظهار الاستهزاء بكلام والدتها كونها تعلم عن مشاكل ليلى وحياتها ما لا تعلمه والدتهن عنهن

ومنذ متى كان يعنيها لتعلم؟

زفرت وعادت تقلب الصفحات بضيق وهي تتمتم

"بكره الحفظ"

زفرة أخرى ثم اقتطعها من ضيقها اتصال من مركز الدروس الخصوصية لتأكيد موعد مراجعة اللغة العربية، ليزداد ضيقها وهي تغلق الخط، وقد أدركت أنها بالتأكيد ستقابل شذى هناك

كانت تعلم ما عليها فعله وما إن جمعتهما المراجعة، حتى مرت من أمام لمياء دون أن تعيرها أي اهتمام، كان تدرك أن فضول لمياء

سيفرض عليها التحدث معها، وما ظنته وجدته مع نهاية الحصة حين خرجت مسرعة فأسرعت لمياء خلفها ونادت عليها لتفرض عليها التوقف، وقد طلبت منها أن يتحدثا، وبكل لامبالاة رفضت وهمت لترحل فأمسكت لمياء بذراعها وقالت: بصي يا شذى، أنت هتيجي معايا وهنقعد ونتكلم وإلا أنا هبلغ باباكِ بموضوع الرفد تظاهرت بالاضطراب فشعرت لمياء أنها باتت بموقف قوة، فتابعت: أنا لازم أعرف كل اللي تعرفيه عن نشوى، وبالذات الكلام اللي قولتيه عن علاقتها بأيمن، عندك دليل يأكد كلامك ولا كلام وخلاص تبادلتا النظر فأردفت شذى بثقة: على لابي صور ليهم، لو شوفتيها هتأكدلك كلامي

شعرت بالريبة من كلامها ولكن فضولها فرض عليها أن تكمل الطريق مع شذى لنهايته، فسألت: أخدتهم من موبايل نشوى، وعموما أنتِ مش مضطرة تصدقيني

- طيب أنا عايزة أشوف الصور دي

- تعالي معايا البيت شوفيها، أنا عندي صور كتير لنشوى، على فولدر له كلمة سر، وقت ما تحبي تشوفيهم تعالي

وكاد ترحل فاستوقفتها لمياء مرة أخرى وقالت: عايزة أشوفهم دلوقتي، تقدري تحطيهم على موبايلك وتقابليني أشوفهم

- لا، تقدري تيجي معايا البيت لو عايزة

أعادتها بنفس البرود فشعرت لمياء أنها باتت مضطرة فاتجهت معها نحو منزلها وما إن وصلا حتى شعرت لمياء بالريبة كون المنزل فارغا لكن شذى بررت، أن والديها بالعمل ثم أدخلتها لغرفة الصالون وقالت أنها ستجلب حاسوبها

"منورة"

قالها بابتسامة متشفيةفالتفتت مفزوعة، فهبت واقفة تطالعه بقلق وقد همت لتخرج من الغرفة فمنعها قائلا: متتعبيش نفسك، شذى نزلت، والشقة مفيهاش غير أنا وأنت.......والشيطان

"سعد"

قالتها بحدة وهي تريد دفعه بعيدا عن مدخل الغرفة عله يبتعد فتخرج، لكنه هو من دفعها لتدخل وأغلق باب الغرفة خلفه فعقبت بحدة: اوعى تكون فاكر إني هخاف منك

ابتسم وهو يعقب: دايما بتفكريني بيها، عنيدة زيها، مصرة تكون قوية رغم كل اللي بيحصل فيها

كان يقول كلماته وهو يخطو نحوها حتى فرض عليها أن ترتطم بالحائط وعندها احتجزها كونه ارتكن بكلتا ذراعيه على الحائط ليقول بصوت أقرب للفحيح: بس أنا أوعدك أنك هتخافي، لا إحنا هنعدي الخوف بشوية

نظرت له باحتقار ثم عقبت: كل ده عشان لبنى رفضتك، بتنتقم من أختها

تعالت ضحكاته بصوت عالٍ ثم تابع: أنتِ شكلك متأثرةبالمسلسلاتالتركيوالهندي، أنا اللي بيني وبينكم يا بنات مختار أكبر بكتير من موقف لبنى مني، ده حق وحق كل يوم عاشت فيه نوال بفضيحة، لتكونوا أنتم التلاتة في نفس مكانها

- نوال مين؟!

ابتعد عنها وأولاها ظهره وهتف: أمي

أغمض عينيه ومنّى ضميره الموت دون يقظة، ابنة مختار بين يديه وهو يقدر على فضحها بأقذر طريقة قد تشفي غليله، وعندها هتفت لمياء باكية: أنا مش فاهمة حاجة، وإيه علاقة أبويا بمامتك
ولأنها كانت تريد معرفة التفت لها وزعق، بكل ما كان يعلمه، أخبرها عما فعله والدها بوالدتها، كم كان دنيئا وحقيرا لا يعنيه إلا ما سيمنحه له فاروق من مال
"لا كدب كل الكلام ده كدب"
زعقت فيه ثم بكت بحرقة وقد وضعت يدها على أذنيها كي لا تسمع لكنه لم يصمت وأكمل: لا مش كدب، دي حقيقة أبوكِ، سجل كبير مليان بلاوي، علاقته بنشوى، واللي عمله زمان مع أمي وأبويا، وكل القروض والصفقات المشبوهة اللي البنك اللي كان هو مديره طرف فيها، أقول كمان ولا كفاية
- حرام عليك يا سعد، ده بابا خلاص مات
بكت بحرقة ولحالها رغم أنفه وخزه ضميره، لكنه نفض بقاياه، وعزم أن يكمل ما نوى، فنزع وشاحها من فوق شعرها ودفعها للأريكة المقابلة له، وبعينيها كان رعب الدنيا وقد أدركت نيته، ارتعشت مرعوبة وشهقت باكية وسعت لدفعه لكنها لم تستطع، تلاقت عينيهما فأغمضعينيه ثم أولاها ظهره وابتعد فهتفت بحرقة: أنا وأخواتي ذنبنا إيه يا سعد
- وأنا وأختي كان ذنبنا إيه يا لميا
قالها وظل يضرب بيده المضمومة بالحائط وهو يهتف: الأذى مش سهل يا بنت مختار، أزايأبوكِ قدر عليه، أزاي قدروا على كل الأذى ده

وما نوى عليه بدامستحيلا ، فهوى على المقعد المقابل لها وقدمد يده لها بوشاحها وقام متجها لفتح الباب، تطلعت لانهياره متخبطة، ما عادت تفهم صدقا، هل كان والدها بكل هذا السوء؟
ثم قال بيأس: كنت فاكر إن ذنب مختار لازم يخلص منكم، حطيت في طريق كل واحدة منكم الشخص اللي كنت متأكد أنه هيوقعها في نفس الخطيئة، بس عارفة إيه اللي فرق
"إن بنات مختار كان عندهم فرصة اختيار، والتلاتة اختاروا يبعدوا عن طريق مختار"
وما إن تسنى لها الرحيل حتى ركضت مسرعة إلى منزل ليلى، طرقت بابها منهارة وما إن فتحت ليلى الباب حتى هتفت فيها ببالغ انهيارها وهي تهذي: بابا مكنش برئ، سعد اللي خطط لكل ده، هو اللي حطني في طريق أيمن عشان كان فاكر إنه ممكن يلعب بيا، هو
....
ولم تكمل فقد فقدت القدرة على التكملة على إثر إغشائها
"لمياء"
أما هو فظل يطالع الفراغ وقد شعر بتوقف الزمن من حوله، أحقا كانت توبة مختار صادقة حد فشل كل مساعي انتقامه، أم أننا اختزالنا العدل في أن تدفع النساء ثمن أخطاء ذويهم من الرجال دون أن يكون لهن ذنب في ذلك
قطعته إكرام حين هاتفته، وما إن تحدث لها حتى قالت: محتاجة وجودك معايا يا سعد، ضروري
وقبل أي رد منه باغتته قائلا: إحنا وصلنا لمكان الورق

(19)

"متفرحيش أوي باللي عملتيه لأن لسه حسابي عسير"

أرسلها وشرد في أول فتاة استشعرها شبيهته، تتحدى الجميع غير عابئة بأي تهديد، أو خائفة من أي مواجهة بل هي على استعداد تام لجلب العار لوالدها على طبق من ذهب، فقط لظنها أن هذا ما يستحقه

زفر بشدة ولن ينكر شعوره بالقلق، كانت الليلة السابقة لسفر مختار وقد فشلت كل مساعيه للمرة الأولى في الحصول على الأوارق التى سرقها منه مختار، الحقير تذاكى عليه وجاءه بدعوى أنه سيوقع كل الأوراق التى يريدها، وما إن فتح فاروق خزانته حتى شل حركته باستخدام صاعق كهربي أدى لإغشائه وما إن فتح عينه حتى أدرك أن مختار خدعه

ولم يعد أمامه سوى ما نوى فعله للخلاص من صداع مختار بشكل نهائي، بل وتلك الحقيرة الصغيرة كما هي عادته حين يضرب دوما العصافير بحجرة واحدة

ولم يكن يدري وهو شارد أن هناك من يطالعه والضيق يتلقفه، صعد لغرفته وهاتف مختار على أمل إقناعه بالعدول عن السفر للغد، لكن مختار أصر على السفر، وكل ما قاله بنهاية المكالمة جملة ربما كانت الفاصلة بطريق أيمن

(هي دي نهاية الطريق ده يا أيمن)

عندها عاد لتذكر تلك الليلة التي أتى فيها مختار، حيث الشقة التي تتبع عمران القوصي، تلك التي كانت ولا تزال تدار بالعهر كغلاف يغلف صفقات وقضايا وأعمال شتى، شقة كان مختار لها زائرا دائم

دون ضيق أو كراهية، لكنه الآن يتفادى الدخول حتى أنه فقط سأل عن فاروق وبالتأكيد أجابته هنية بأنه لم يأتِ ثم توجهت لأيمن الذي كان بالشرفة لتخبره، وبدوره كان عليه أن يتوجه للغرفة التى كان يعرف أن والده بها كي يعلم
"الشيخ مختار كان في وكر الأشرار"
قالها هازئا وضحك بشدة حد أن نشوى سمعته، وعندها أكمل:
وكلمك
- لا، هنية طرقته، زي ما أنت مفهمها
- أحسن، خليه يلف ع الفاضي
بدا الضيق يتلقف أيمن ثم أخبره أنه سيغادر فطلب منه توصيل نشوى لبيتها فقرر أيمن انتظارها بسيارته
أغلق فاروق الباب والتفت لمن كانت ترتدي حذائها مقررة المغادرة وعندها وضع بحقيبتها مبلغ مالي، نظرت له باستهزاء وقبل أن تغادر عقبت: أنا خلاص زهقت، دي آخر مرة نتقابل، أنا مش هاجي هنا تاني
علا الاستغراب محياه، وبدا مستغربا هل تظن بمختار القوة كي تستأسد عليه ويكون لها القرار والحسم، ضحك هازئا منها ثم عقب دون مبالاة: مش بمزاجك يا حلوة، معلش؛ هي سكتنا كده، سكة اللي يروح ميرجعش
زفرت ثم عقدت ذراعيها أمام صدرها وردت ببرود: لا بمزاجي يا فاروق باشا، عشان خلاويص اللعبة لحد هنا وfinish

ضحكة أشد من سابقتها ثم همس في أذنها: بتستقوي بمختار عليا أنا، مختار ده زي اليويو وخيطه في إيدي أنا، اعقلي يا حلوة عشان أنا زعلي وحش

ضحكت هازئة: ما أنا بعقل اهو، أنت اللي مش عايز تفهم، اللي في بطني خلاص بقى ابن مختار وبورقة رسمية أنت اللي عملتها بإيدك، ولو على الفيديو اللي أنت صورته يوم عيد ميلاد لمياء، بله واشرب ميته على الريق، أنا كمان مختار بقى زي اليويو في إيدي ومن قبله عبد الراضي اللي لو عرف أنك أنت اللي زقتني عليه مش هيسكت

- اتمسكنتي لحد ما اتمكنتي

- تلميذتك

تبادلا النظرات وكل منهما بدا وكأنه يتحدى الآخر وعندها هي من أردفت: وأهم درس اتعلمته على إيدك، إن اللي تغلب به ألعب به، وأنت يا فاروق باشا عمرك ما هتدور أنك تفضح نفسك وبالتالي عمرك ما هتتكلم في اللي كان بينا، تبقى دي لحظة النهاية المناسبة وهنعتبرها happy ending

وضعت قبلة على خده ثم وضعت يده فوق بطنها وعقبت: أوعدك لو كان ولد هنسميه فاروق، على اسم الغالي

ثم سحبت حقيبتها ورافقت تحيتها بقبلة في الهواء واتجهت لسيارة أيمن

كانت تنفث دخان سيجارتها من نافذة السيارة غير عابئة بشيء وكأنها ما عادت تخشاهم، لقد تعرت ضمائرهم بين يديها بقدر كل لحظة عهر جمعتها بهم، وعوارتهم كانت أفدح من أن تواريها ثيابهم

زفرت زفرة طويلة فرضت على أيمن النظر ناحيتها وقد قطع الصمت وسأل: للدرجة دي، ده أنا قلت الموضوع اتحل بجوازك من مختار
تعالت ضحكاتها بشدة حد إيقان أنها ضحكات من وجع وعندها ردت: ده أنت تبقى عبيط قوي لو فاكر إن فاروق هيكتفي بالحل ده
- قصدك إيه؟
- قصدي إنه الشخص اللي وجوده بيمثل قلق، ديته رصاصة تريحهم وتريحه، وفاروق عمره ما هيسمح للطفل ده أنه يزعجه، وعشان كده عمره ما هيجي الدنيا
قالتها وهي تضع يدها على بطنها غير مبالية، وبرودها فرض عليه أن يسألها: أهلك لسة مش عارفين
- تؤ، مش فاضيين
ثم مالت برأسها للخلف وقالت بعدما شردت: تفتكر ده اللي أبويا يستحقه، بما أنه كان مدمن ستات
ثم سخرت وهي تتذكر: كانت بيجبهم وماما مش في البيت، ولما ماما تعرف ويتخانقوا كان يقولها أنت عمرك ما كنتِ ست
زادت ضحكتها الساخرة ثم أكملت: تفتكر الزمن هيرد اللي فاروق بيعمله في بنته
ثم نظرت ناحيته وعقبت: اه ده معندوش بنات
وكلمتها فرضت عليه بالغ الخوف حتى هتفت وكأنها وجدت بغيتها: بس في إكرام
ضغط فرامل السيارة فجأة ففرض عليها الارتطام بمقدمة السيارة بينما سقط قلبه هو بأخمص قدمه، ولم تتأوه بل ضحكت فقال عندها بحدة: شكلك تقلتي في الشرب انهاردة

- أنا عمري ما كنت فايقة قد انهاردة
اكمل السير حتى وصلا لبيتها ونزلت فلم يملك هو إلا العودة والضيق يلفه ولا يزال يلفه، خاصة عندما تطالعه كريمة بأسى على حاله وقد اختار طريق فاروق بكامل إرادته، لكنه مع صباح اليوم التالى قدتغير بداخله شيء بات رغم أنفه أكبر منه، شيء دفعه أن يكمل ما بدأه مختار مهما كلفه الثمن
حين هاتف أحدهم مكتب فاروق ليقول: العربية اتقلبت، ومختار ونشوى وصلوا المستشفى جثث

وبين ما يدركه أيمن وما تعلمه إكرام وما تعرفه غادة
هل آن للرؤية أن تكتمل؟
طالع سعد الثلاثة بقلق، كيف لنا أن نكون يد واحدة ونحن أنفسنا لا نملك لبعضنا ذرة ثقة
ساد الصمت بعدما توقفوا عن السرد
كانوا على موعد بلقاء في شقة أيمن وقد عرفوا أنهم قد وجدوا أخيرا ما كانوا يبحثون عنه، ولكن ثمة من قرر مباغتتهم، فما إن دار المفتاح بالباب حتى أجفلتهم رؤيته أمامهم
هل كان هنا يسترق السمع؟
أم أن الحظ حالفه؟!
لا يهم السبب، فهم بكل الأحوال أمام فاروق الدويري وجها لوجه خطا بثقة بعدما وارب الباب خلفه، ثم اتجه ليقف قبالتهم وابتسم وهو يطالعهم، ثم دار حولهم ثم جلس أمامهم وقد وضع قدم فوق قدم، رأى القلق بعيونهم فزادت ابتسامته ثم أخرج سيجاره الفاخر ودخن منه واحدة وسأل: وصلتوا لحد فين

ساد الصمت هو يطالعهم بنظرة متحدية مفادها أنه دوما المنتصر وهم رغم المخاوف تلقفهم الأمل
(خيالكم الواسع وصل بيكم لفين، لحد فاروق وهو في السجن ولا وهو ندمان وبيترجى منصور ونوال يسامحوا عشان ضميره وجعه)
زفر دخانه في الهواء وأكمل: على كل حال، أنا دايما بيعجبني حماس الشباب
ضحك ثم صفق ثم نظر إليهم وتابع: شابوه يا بنت منصور، ملعوبة يا بنت فايز، دمااااغ يا ابن نوال
ثم وقف وخطى نحو أيمن وهتف: واطي يا ابن فاروق
قالها بحدة وهوى على وجهه بصفعة ثم جذبه من ملابسه وعقب بغضب: طول السنين اللي عدت ربيتك عشان تكون دراعي اليمين وكاتم أسراري، علمتك كل اللي اتعلمته وكتبت الثروة اللي جمعتها باسمك، والآخر تنصف بنت نوال عليا، تتحداني وتقلب عليا أنا الترابيزة، وأنت اللي تكمل اللي مختار بدأه
زادت حدة نظرته ثم قرر التشفي فيه وهو يتابع: بس اللي أنت متعرفوش بقى إن جوازك من الهانم شرعا باطل، لأنه كان بدون ولي
جملة فرضت عليه وإكرام أن يتبادلا النظر ليؤكد فاروق عندها: خالها مينفعش، عشان كده كان واجب عليك تقول لعمها
والنظرة التى أطلت منه ملأها التشفي، ثم الالتفات لسعد الذي منح عينيه حرية إطلاق نظرات الكراهية التى لطالما كانت حبيسة نفسه طيلة السنوات الماضية ليعقب فاروق عندها: كل ده جواك

- لا أنا جوايا كتير قوي، وخليك واثق إني لا فارق معايا قانون ولا عدل، عشان اتعلمت منك إن الاتنين في الزمان ده ملهومش لازمة
ضحك هازئا ورد: بتفكر تقتلني
- عدى آوان التفكير، ده وقت التنفيذ وبس
- ده يبقى يوم المنى والله، يوم ما ابن نوال يقابلها بلبس الإعدام، لما تحس إن دعواتها اللي هددت بيها مختار اتقلبت عليها، وابنها بقى زي اللي بتدعي عليهم
- أنت معمول من إيه
قالتها غادة ببالغ دهشتها فالتفت لها ونظر مبتسم وقال: طيب سيبي حد منهم يسأل السؤال ده، ده أنا بجلالة قدري مشكتش للحظة أول مرة اتقابلنا فيها في المستشفى أنك ممكن تكوني بنت منصور
وقبل ردها قاطعت إكرام الجميع ووقفت أمامه، رسمت على محياها ابتسامته الباردة وسألت بهدوء: فاروق باشا ما تيجي نجيب من الآخر، ونسأل الأسئلة المهمة
- كرملة، يا سلام عليكِ لما تجيبي من الآخر
- تربيتك
- أنا عايز الورق بس كده
- ببلاش كده، طب دي حتى تبقى عيبة في حقنا، لما نضيع ورق سرقه مختار من خزنة مكتبك من غير تمن
طالع الأربعة بضيق ثم طالعها هي عاقدا ذراعيه أمام صدره ثم سأل: طلباتكم
- حقنا يرجع، ميراث أبونا وبراءة منصور

قالت جملتها بجدية فرضت على ابتسامته الباردة التلاشي ثم رد: أنا عايزك تعرفي بس إني أقدر أفعصكم برجلي، أنا لو صابر عليكم فده لإني عايز الورق بالحسنى، لكن لو هتتذاكوا فأنتم مش قدي
وجملته استفزت أيمن فرد: يبقى تنسى الورق، إحنا هنكمل اللي بدأناه لآخره واللي عندك اعمله
أدرك من رد أيمن أن وقت التدليل انتهى فقرر المباغتة، ولا مساومة تضاهي قتل الأمل، وبثقة جمة لا يشوبها خلل كانت ضربته القاضية
- طيب اسمعوا بقى وده آخر ما عندي، بكرة الصبح الأوراق تكون على مكتبي، وإلا انسوا أنكم تشوفوا نوال أو منصور مرة تانية، أنا غلطت زمان لما سيبتهم عايشين، بس مش هكرر الغلطة دي دلوقتي
وتركهم ورحل صافعا الباب خلفه غير عابئ بتخبطهم

تحرك بسيارته عائدا إلى منزله وطوال طريقه كان شاردا، تنهد بضيق لم يتوقع أن يذوق مرارته بحلقه لأنه يعلم أن مواجهته الحتمية ستكون مع أبنائه
رياض لن يغفر ما مضى وأيمن تأثر بمختار حد النفور من استكمال طريق منى نفسه أنه وريثه الشرعي
لكن لا أيمن ولا رياض اختار أن يكمل بناءه
ليدرك أن أعظم بلاء قد يلحق بظالم أن يرى أبناءه كم كان باغيا، ثم يقرروا بأيديهم مقاومته
لطالما منى نفسه وهو يكثر ثروته أن تصفق له زوجته وتمدحه، أن يعترف رياض بأنه المحامي الأوحد صامتا عن السؤال عن مصدر أمواله، لكنهما لم يفعلا

فكريمة لم ترضَ ورياض يكرهه، حتى من صنعه على عينه رفض بالنهاية أن يكون مثله
أيعني هذا أن الثروة بنهاية المطاف ستؤول مرة أخرى لأبناء فايز، وأمام احتمال كهذا كاد يصطدم بسيارة أمامه بشدة شروده وهو يؤكد لنفسه أنه بحق ماضي كبُر فيه وهو يكره فايز، لو فشلت كل الطرق للحفاظ على ما يملك، فأنه قد يحرق المال ولا يرده
وصل لفيلته ليجد السكون يصدع جدرانها، فالجميع رحل، ظل يطالع الردهة وهو ينظر حوله وكأنه يؤكد الصمت على مسامعه
سار باتجاه الدرج المؤدي للأعلى وما إن صعد درجة حتى صدح صوت عبد الراضي مجاورا لصوت نشوى، أهذا هو الفيديو الذي هدد به عبد الراضي سابقا؟؟!!
لم يكتمل ليظهر صوت مختار مع نشوى بعدها، ليدرك بل ويتأكد أن الأوراق باتت في جعبتهم بالإضافة لكارت الذاكرة الذي جمع عليه كل الفيديوهات التى كانت ورقة ضغط ضد خصومه
والآن؛ هل ستقف يا فاروق ليحين أوان المواجهة؟
لا مباليا صعد درجة ثم الثانية وعند الثالثة صدح صوت سعد عاليا
(لبنى أنا مهتم، لبنى أنا بحبك)
جاهد فاروق نفسه التنفس بهدوء مقررا أنه لن يقف، لن يصرخ ولن يتصرف كصبي
فاروق لا يحتاج للغضب، لأنه رجل يدرك قوته، لذا سيصعد ما بقى من درجات السلم غير مبالي بما يجري هنا حتى لو كان صوت صفعة مجاورا لزعيق محتد مفاده
(لو ده التمن يا سعد يبقى اخرج من حياتي)

وعند الدرجة الأخيرة وقف، لأن رياض قطع طريقه واقفا أمامه يرمقه بنظرة اختصرت الماضي بأنينه وقسوته، قالت دون كلام ما يحمله القلب من كره، وأجفلت قلب رياض خشية أن يراها بعين أبناءه مستقبلا

(ليه عملت كده)

سؤال ظن أنه سيستوقفه لكن فاروق استجمع بقايا كبرياء ظنوا باتحادهم تفتته وابتسم مصرا على إظهار أن ما يحدث الآن لا يعنيه، متجها لغرفته ليبدل ملابسه

- امتى هيجي اليوم اللي نفرق فيه معاك وتقف تسمعنا وإحنا بنكلمك وقف, استدار ثم زعق: نكلمك مش نحاسبك والفرق كبير يا ولاد فاروق

وعند استدراته أدرك، رياض قرر أن يجمعهم هنا، أهي الخطة المتفق عليها بينهم؟

والبداية عندما هاتف رياض إكرام وقرر أن يعرف منها ما لديها، ثم مواجهة لكريمة ثم إخبار لبنى بكل ما عرفه

ومع صباح اليوم التالى اتجهت لبنى برفقة رياض لفتح الخزنة والحصول على الأوراق، ولأن إكرام كانت على يقين بمراقبة فاروق لها ولأيمن وربما غادة وسعد كان المتفق عليه مع رياض ولبنى ألا يتقابلا أبدا

هو من أرسل لهم صور لكل الأوراق التى حصل عليها مختار من خزنة فاروق ليدركوا عندها قيمتها لديه، بجوار كارت ذاكرة كان يجمع عليه فاروق عدد من الفضائح دون التفريق بين رفقائه وأعدائه

ولأنهم يريدون المباغتة استدرجوا فاروق حتى يأتي لشقة أيمن لتكون مواجهته بهم هناك وحتى يتمكن البقية من التواجد بفيلا الدويري للمواجهة التالية

وجاءت اللحظة المتفق عليها بينهم، فيلا فاروق الدويري في تمام الساعة السابعة

نظر لهم فاروق من أعلى، وأول من تقابلت عيناه به كانت كريمة التي وقفت عند نهاية الدرج بينما لبنى جلست على الأريكة المقابلة، بجوارها ليلى ولمياء وقد تطلعن لوجهه بكل ما في قلوبهم من كراهية، ثم أتت تيسير دون معرفة مسبقة بسبب استدعائها لكن رياض من طلب منها المجيء

(ده الحبايب كلهم هنا)

قالها فاروق هازئا حين رأى تيسير والتى استغربت حين رأت بناتها هنا

منذ الأمس هاتفتها ليلى وقالت أن لمياء ستمكث عندها ولم تفهم لذلك سبب لكنها لم تعترض واليوم هاتفها رياض مطالبا إياها المجيء للضرورة وما تمنته وفرض عليها أن تأتي ظنها أن براءة لبنى ستظهر

(هو فيه إيه بالظبط)

سألت لمياء وقد شعرت بالقلق ثم احتال الشعور لخوف حين رأت سعد يدخل للفيلا بجوار إكرام وأيمن بل ورافقتهم غادة

وعندها التفت سعد لأيمن يطالعه بشك ومن ثم إكرام، هل كانا على علم بوجود الجميع هنا؟

نظرت له ليلى بغضب وقد همت من مكانها لتتجه ناحيته إلا أن صوت رياض استوقفها وهو يقول: استني يا ليلى، حق لميا عندي، ومش بس حق لميا ده حق كل بنات مختار وأولهم لبنى
تبادلا هو وسعد عندها النظرات ليدرك عندها رياض كم كان أحمقا عندما وثق بثعلب طلب منه أن يرعى رعيته فكان أول من نهشها
(في إيه يا رياض؟)
سألت تيسير وقد أجفلها الجمع، وعندها نزل فاروق الدرج مسرعا ليكون قبالتهم ونظر باتجاه إكرام ولبنى وزعق: عملتوا بيهم رباطية، الأول أيمن وبعدين رياض ودلوقتي جمعتوهم كلهم
وقبل أن ترد أي منهما نزل رياض الدرج ورد هو: خلي كلامك معايا أنا، سيبك من إكرام ولبنى، لأنهم مكنوش طرف، أنت اللي دخلتهم، ودلوقتي هو سؤال ولازم تجاوبني عليه، ليه بعتلي الفيديو
بكبرياء وثقة أجاب: ده بدل ما تشكرني إني بفتح عينك
- تفتح عيني ولا كنت عايز تخلص من سعد من غير ما حد يشك فيك
شعر بنظرات الجميع تنهشه وعلى رأس القائمة سعد وقد أدرك، فاروق كان يعيد صياغة الماضي ولكن بعد تعديل الخطة لتتناسب هذه المرة وفق مصالحه
نظرت تيسير لفاروق وسألت: معناه إيه الكلام ده يا فاروق
- معناه عندي أنا
قالها رياض ثم نظر له بأسى وأردف: بعد ما اتاخد من خزنتك الأوراق اللي تثبت ملكية إكرام وسعد لثروتك فكرت إن الخلاص منهم هيبقى الحل المثالي، بس أي حادثة مدبرة هتثير الشكوك، إلا سيناريو واحد، نجح زمان مع فايز ونوال ونتايجه دايما مضمونة

دار حوله ثم اتجه ليكون قبالة سعد: والحقيقة سعد نفسه ساعد فاروق من غير ما يحس لما قرر ينتقم من بنات مختار عشان يردلهم اللي أبوهم عمله زمان في والدته، ومن قبل سعد أنا يوم ما سيبت مراتي وولادي ونسيت إن مينفعش حد غيري يكون مسؤول عنهم

وعندها نظرت له لبنى، لترى بعينيه كم بدا نادما

ساد الصمت بينهم حتى قررت تيسير قطعه وعقبت: أظن من حقنا نفهم تقصد إيه

- أقصد إن زي ما الكل ظلم لبنى آن الأوان إن الظلم ده يترفع عنها، لبنى كانت ضحية للعبة قذرة أطرافها كانوا سعد وفاروق بس لكل واحد منهم خطته، سعد كان كل همه استدراجها لحد ما تقع في نفس تهمة والدته وفاروق بعتلي الفيديو عشان أتاكد من خيانتهم وأقتل سعد وتبقى جريمة شرف يقدر بعد كده يطلع ابنه منها من غير ما يبقى فيه اللي يدينه لأنه كان يثأر لشرفه، والاتنين عملوا كده من غير ما يفكروا إن في سمعة إنسانة اتحطمت وحياتها اتخربت، من غير ما حد منهم يفكر في رياض اللي تم استغلال غيابه بقذارة أو مع الأسف هو اللي اداهم الفرصة يوم ما ساب بيته من غير ما يحميه ويحافظ عليه

ثم نظر لهم جميعا ثم اتجه ناحية لبنى، وقف أمامها ثم قال: وأنا انهاردة قررت أجمعهم كلهم عشان لازم حقك يرجع قدام الكل، وده أبسط رد اعتبار لها ورد لحقها، لبنى بريئة وشريفة وكانت نعم الزوجة لراجل معرفش قيمتها غير لما ضيعها من بين إيده

ظلت بمكانها وقد ملأتها الدهشة، الآن أدركت لماذا أصر على جمعهم هنا وكشف الحقيقة أمامهم، ولم تملك استطاعة لوصف ما شعرت به

بل وتجمدت لأنه قرر أمامهم أن يوقفها لتكون قبالته ليرجوها أمامهم: سامحيني يا لبنى، عارف أنه صعب بس أتمنى تحاولي رمقه سعد عندها بغضب، وكادت الغيرة تحطم قلبه وهو يراها إلى جوار رياض وقد قبل جبينها، وأمام نظرته النارية نظرت له ليلى وسألت غاضبة: أعتقد من حقنا نفهم بقى ليه سعد عمل كل ده والإجابة كانت من سعد حين زعق يسرد تفاصيل ما فعله والدهم بوالدته، بدا عصبيا يمنى نفسه لو تمكن من تصديع علاقة رياض ولبنى الآن لذا سينهى كلامه بجمل رتبها لتفيد معنى واحد، مختار أراد أن يتوب فوضع فاروق بطريقه نشوى، مختار أراد أن يرد المظالم لأهلها ففاروق منعه، ثم خطط لقتله، تماما كما فعل مع والده بالماضي، فاروق هو من سعى لإظهار أن مختار قد رحل على سوء خاتمة

(فاروق اللي أكل الجبنة)

عقب بها فاروق هازئا على كلام سعد الذي تعمد النظر لعين لبنى علها تدرك أنه رغم ما يُقال لم يقصد إيذاءها، فتعمدت هي رد النظرة بنظرة احتقار وقد أشاحت بوجهها عنه فنظر لفاروق الذي نظر لهم بضيق ثم عقب: جرا إيه يا ولاد الدويري، شايفيني ساكت من ساعة ما بدأتم لعبتكم الخايبة دي فقولتوا تستقوا عليا

جذب رياض من ذراعه وعقب: من امتى يا سي رياض الشجاعة دي، الله يرحم أيام علق زمان وحزامي اللي رباك وعلمك الأدب و...

كان يدرك أنه يعيده لدائرة انكساره التى بالكاد كسرها لتوه، تنهد رغم الأسى وتطلع لوالده ثم حدد: بعد كل اللي عملته معايا، مستني مني إيه، طوال السنين اللي عدت دمرت فيا كل حاجة ومكفكش

الماضي كمان الحاضر والمستقبل، تفتكر بعد كل ده هيفيدني بإيه خوفي منك، خلاص يا فاروق باشا، أنا من اللحظة مبقاش فارق معايا عمايلك ومن هنا ورايح مش هسكت
صفق فاروق وقد تطلع للبنى ثم عقب: يااه، ده بنت مختار فعلا مكنش تأثيرها شوية
"فاروق"
قالتها كريمة وقد قررت التدخل فوقفت قبالته وعقبت: أظن كفاية بقى لحد كده، كفاية كل اللي عملته في أولادك وولاد فايز، رجعلهم حقهم وكفاية لحد كده
- وحق منصور
سألت غادة فأجاب أيمن: كل حق هيرجع لأصحابه، وكفاية الطريق ده وكل اللي وصلتله حياتنا منه
أوقف فاروق استرسالهم وقد زعق: دلوقتي كلكم بقتوا ملايكة، ومختار مات تايب والحقوق هترجع لأصحابها، طيب كفاية بقى لأن الدمعة هتفر من عيني وأنا قلبي رهيف
طالعهم بضيق ثم نظر لرياض وعقب: جيت ترد كرامة مراتك يا سيد الرجالة، وقلت اللي عندك، يبقى اسمعني بقى يا ابن كريمة وسيبني أقول اللي عندي
ولأنه المحامي الأقدر قرر قلب الطاولة عليهم، تطلع في وجوههم ثم نظر لكريمة وسأل: أنت كنتِ عارفة من سنين إن الفلوس حرام وقبلتيها، إيه اللي فوق ضميرك دلوقتي؟
ثم دار حول تيسير وتابع: أنا عمري ما كنت هقدر على مختار إلا لما الخيانة لتوبته كانت من أقرب الناس له، ولا أنا غلطان يا تيسير

تطلعت لوجهه بخوف ثم نظرت لبناتها وعندها هتفت لبنى: قصدك إيه

- اسألي أمك اللي كانت مستعدة تعمل أي حاجة وكان كل اللي فارق معها أن مختار ما يردش فلوسه لأصحابها، لدرجة أنها بدلت الدوا بتاعه بنوع تاني كان هو السبب في موته

وما كانت هي لتقبل منه الإساءة في حقها فزعقت: أنا كنت بشفي غليلي منه بعد ما راح اتجوز واحدة قد عياله وكمان هيخلف منها

- لا يا تيسير، أنتِ كل اللي فرق معاكِ فلوس مختار، كل اللي كنتِ خايفة منه أنه يتوب فعلا

- كدب، أنت بتكدب عشان تخسرني بناتي، وعشان يفتكروا إن كنت ورا موت أبوهم، وأنت اللي خطط مش عشان موت مختار لا عشان كنت عايز تخلص من نشوى، كنت خايف اللي في بطنها يتولد وحد يعرف أنه منك

"كفاية"

صرخت بها لمياء ليصمتوا بينما امتلك الجميع الذهول، كل معصية كانت بحاجة لمعصية أشد منها للتتوارى، وبالنهاية آن لكل الحقائق أن تنكشف رغم أنوفهم

"منك أنت"

تمتمت بها كريمة في ذهول ثم قالت أمامهم: طلقني يا فاروق، طلقني وكمل في القرف ده لوحدك

- فات الآوان يا كريمة

وتركهم واتجه لغرفة مكتبه غاب دقيقة ثم عاد وبيده مسدسه جذب إكرام لتكون في قبضته ثم عقب ببالغ عصبيته: الورق يكون معايا دلوقتي، وإلا التمن هيكون غالي قوي

هتفت غادة بغضب: كل اللي عملته ده ولسة مصر تكمل، عايز توصل لفين يا فاروق يا دويري

- مش عايز أسمع مواعظ وخطب، عايز الورق وبس، واوعوا تفتكروا إن ممكن يصعب عليا أدوس على الزناد، إكرام مش هتكون أغلى من فايز، مين اللي معاه الورق

زعق فهتف رياض: أنا، سيبها وأنا هديهولك

- اسمع يا ابن فاروق، أي حركة غدر هتدفع تمنها غالي

- سيبها وأنا هسلمهولك

التفتت له غادة وعقبت: الورق ده أنا هنا عشانه يا قاتل يا مقتول ومفيش ورقة هتطلع منه

- يبقى مقتول يا بنت منصور

- استني

هتف بها أيمن ثم تابع: اسمعنا ولو لمرة واحدة، كفاية مكابرة، خلينا نرجع لهم حقوقهم

الشمال يعظه، تعالت ضحكاته لتكون ملئ سماعهم، أبناء الشيطان بدوا عاطفيين حد ترجي الشيطان للتوبة

- هات الورق يا رياض

قالها وثبت المسدس برأس إكرام، فقرر إخراج المظروف من حقيبة لبنى فهتفت إكرام عندها: اوعى تديله الورق يا رياض، أرجوك، أوعى تديهوله

- اخرسي يا إكرام
- مش هخرس، أرجوك يا رياض، اوعى تعمل كده، أنا راضية إن تمن الورق ده يكون حياتي، بس فاروق وكل اللي معاه يتفضحوا
- هات الورق يا رياض
صرخت كريمة من فرط خوفها: كفاية يا فاروق حرام عليك سيب إكرام وسيبهم وكفاية اللي عملته في الأربعة، عايز منهم إيه تاني بعد ما دمرتهم
كانت تبكي وتترجى منه أن يترك إكرام لكنه لن يفعل، شعر سعد عندها أنها ربما اللحظة الحاسمة للتخلص من فاروق، فنظر حوله ليجد أحد التماثيل النحاسية الموضوعة على منضدة صغيرة وعندها ضربه فوق رأسه، ترنح لكنه أحكم قبضته على مسدسه فلم يملك أيمن إلا سحب إكرام ليبعدها عنه فقال فاروق قبل أن يسقط أرضا حتى لو التمن هيكون حياتي يا ولاد فايز، مش هسيبكم تتهنوا بالفلوس أبدا
بدت الرؤية مشوشة أمام عينيه وقد سعى سعد ليكرر ما فعله فالتفت فاروق ودفعه ثم استدار لإكرام وثبت مسدسه ناحيتها فأوقفها أيمن خلفه وهتف: كان لازم مواجهتنا ليك انهاردة تبدأ من عند رياض وتخلص عند أيمن، بس عارف أنا بتمنى أنك تدوس على الزناد، وبردو مش هتاخد مننا الورق
- ابعد عنهم، لو لسه عندك ذرة عقل ابعد عنهم
- لا، شجرتك الملعونة اللي كبرتها بإيدك عشان تكمل طريقك أنت اللي لازم تشيلها من جدورها
- ابعد

- اضرب
- أيمن
وحين هتف كريمة باسمه لم يصدق لكنه لم يلتفت لها وأكمل: مش خايف منك
- ابني
قالتها كريمة وهي تطالعه فنظر لرياض ثم نظر لأيمن ثم ارتعشت يده، فقال بصوت غلبه بعض الوهن: لآخر مرة بقولها هاتوا الورق
- لا
خرجت حاسمة من فم أيمن وبقدر حسمها حسمت يده الأمر برمته، ضغطة زناد، طلقة رصاص، صرخات ودماء لم يفهم منها إلا أنه قتل، يده التي لطالما غدرت بالجميع وظلت يده غدرت اليوم به، فذاق من نفس الكأس الذي سقاه لأخوه يوم قتله، وقد قتل أقرب الناس لديه
تحركت إكرام لتبتعد عن أيمن لتهز جسده بعدما سقط فوقها وعندها فتح عيناه استبشر رياض لظنه أنه بخير لكن عندها كلاهما أدرك أن الرصاصة كانت من نصيب كريمة بمقتل، لقد دفعت أيمن واحتضنته لتضمن نجاته، ولم يستطع أحد التفريق لأن ملابس كليهما كانت مخضبة بالدماء، وعندها هو من هز جسدها وظل يصرخ: ماما، ماما ردي عليا
وبدوره رياض ظل يفعل يهز ذات الجسد على أمل أن ينجو
- ماما ردي عليا
- حد يتصل بالإسعاف

لكن الوقت قد ولى، عاد أيمن لهز جسدها وهو يصرخ: ليه عملتِ كده، ليه، طيب ردي عليا، ردي وقوليلي إن فعلا كنت فارق معاكِ لدرجة أنك خفتِ عليا، ردي قولي ولو كلمة واحدة، ردي

- خلاص يا أيمن

قالها رياض باكيا وقد أغمض عينيها بيده ثم بدأ فاروق في نوبة ضحك هيستيرية، صرخ عندها أيمن فيه وقال: دلوقتي هتعمل مجنون على الكل مش كده

لكنه لم يبالِ وظل يضحك، يضحك موت كريمة على يده، يضحك لأن أولاده قد واجهوه وخسر ويضحك لأن الشرطة قد أتت، وقد قامت غادة بتبليغها دون علمهم، كانت تظن أن أقصى ما سيكون بانتظارها هنا اعتراف لفاروق بجرائمه لكن ما بدا واضحا، أننا هنا ندور في فلك الشيطان والخطايا كُثر

(الختام)
لكل بداية نهاية، تُرسم دوما وفق كل خطوة نمشيها كي نصل للنتيجة التى نريدها، أو هذا ما نظنه
بَيد أن الحياة يملؤها دوما التعقيد حد نهايات حين نراها نتساءل كيف هي؟
والإجابة قد تكون بسيطة؛ ربما فقط نحن من نستغرب بينما هناك من يراها عادلة
لكن لنحكم علينا أن نملك الحقائق، ولن يتواجد ذلك الملم بالحقيقة المطلقة من بني البشر
كلنا بين طيات بصيرتنا وضمائرنا، تتمثل الحقائق لدينا فقط فيما نعرفه، وهنا قمة تشويشنا
فما في الصدور لا يعلمه إلا الحكم العدل، من علمنا
(ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى)
لندرك عندها أن قمة العدالة هي رؤية واضحة

<u>بعد مرور شهر</u>
كانت تجلس بالشرفة حين تطلعت للمانشيت الرئيسي بالصفحة الأولى للجريدة
(هل حقا رحل المحامي الذي لو قرر الدفاع عن إبليس سيربح قضيته، انتحر أم أن هناك من قرر التخلص منه، ولايزال التحقيق مستمر)

وضع يده على كتفها فانتفضت لتؤكد عندها كم كانت شاردة وعندها أكد: انسي بقى يا إكرام

قالها سعد ثم وقف مستندا على سور الشرفة، وقفت إلى جواره وسألت: تفتكر هنقدر ننسى

- لازم ننسى، كل دي صفحات في حياتنا لازم نقفلها

ثم اقترب منها وعقب: أنا عارف أن طلاقك من أيمن تعبك، بس ده مسار كان لازم يتصحح، أنتِ وأيمن محتاجين تعدوا اللي حصل قبل أي قرار للي جاي

زفرت بشدة وأمأت رأسها بتفهم، تدرك مدى صعوبة علاقتها بأيمن لكنها قلقة كونه انزوى منذ وفاة كريمة ولم يعد يتحدث إلى أحد، حتى الطلاق حدد إجراءاته وأنهاها دون الرجوع لها وقد اكتفى برسالة أرسها لسعد قال فيها أنه قد وفى بوعده

قطعها من شرودها صوت خالها وقد ناداهما، فدخلا وعندها وقفا وقد تطلعا ناحية من عادت اليوم من السفر دون إخبارهما مسبقا لتكون المفاجأة

"سعد"

"إكرام"

"ماما"

قالاها مرتعشة وقد ركضا نحوها وارتميا في حضنها والثلاثة بكوا، وكان نحيبها هي ملئ السمع منذ أن غادرت المصحة وما كان لديها أمل في شفائها، حتى سافرت لأحد أخواتها ومكثت بالسعودية، وقدرا قابلت مختار بالحرم، وما تلا ذلك كانت تدابير لقدر، أن تجتمع نوال بأبنائها بعدما كل ما مر من الزمن رغم أنف من ظلم.

كانت بانتظارها عند باب المدرسة وما إن خرجت حتى أشارت لها فتوجهت لمياء لتجاور ليلى وعندها سألتها عما فعلت باختبارها فكانت الإجابة تنهيدة طويلة ثم قالت بعدها: ادعيلي

- قولتلك نأجل السنة دي صممتي تدخلي الامتحان، السنة دي يا لمياء كانت صعبة

- كده أحسن، بدل ما أركز في المشاكل وكل اللي حصل، ألتفت للي جاي

ربتت ليلى على كتفها وعندها اتصلت تيسير بهاتف لمياء لكنها أغلقت هاتفها وبدورها فعلت ليلى، وعندها ألقت تيسير هاتفها بجوارها وبكت، بناتها الثلاثة قرروا الرحيل عنها للأبد، حتى لمياء اختارت أن تعيش مع لبنى بمنزلهم القديم، بينما بحثت ليلى بدورها عن شقة تكون على مقربة منهما بعدما قد صرح بعض جيرانها أنه من الأفضل بعد فضيحة فارس وورده أن يتركوا المكان، وكانت لمحيي الرغبة نفسها

جميعهم بحاجة لبداية جديدة وربما وجودهم بشقة جديدة قد يشعرهم أن ثمة تغيير منتظر، فهذه المرة تجهيزات شقتهم تحمل طابع مميز يحمل بين طياته اهتمامهم،إلا أن غصة لم يستطع محيي الإغفال عنها، كان يمنى نفسه أن يقول فتحي صراحة أنه سيسامحه لكنه ظل على رأيه، سافر بأسرته لقريته ليتمم زواج وردة بأسرع وقت ولم يعبأ بسفر محيي له ولا رجائه لتظل من بعدها الغصة تفرض عليه أن يراعي الله فيما لديه وقد بدأ مع أنور أولى خطوات علاج فارس

وفق نصيحة أنور تركه بعض الوقت، وبعدها سمح لليلى وفريدة بالتعامل معه، لكنه إلى الآن لم يحاول الغفران، تلاقت أعينهم وعندها أشاح محيي بوجهه عنه
حتى قرر فارس التحدث لليلى وقد أفصح عما يشوشه، يريد المساعدة والعلاج ولكنه لا يعرف أي طريق يسلك، قد حاول بالسابق مرات ومرات ولكنه فشل، فهل من مساعدة
عندها جمعتهما عيادة الدكتور أنور وقد جلس فارس أمامه بينما هو طلب بدوره من محيي أن يتركهما بمفردهما، وما إن خرج محيي حتى سأله أنور بصراحة ودون مواربة
- اسمع يا فارس إحنا هنتكلم دلوقتي راجل لراجل، متفقين
أومأ رأسه بإيجاب فتابع: طيب عايزك تعرف حاجة مهمة جدا، أي إدمان في الدنيا لأي شيء مينفعش حد ينوب عنك في قرار أنك تبطله، لازم أنت اللي تكون عايز وعندك النية وإلا بسهولة جدا تقدر ترجع تعمل اللي كنت بتعمله بمجرد ما تتوفر فرصة ميكونش فيها حد رقيب عليك
نظر لعين فارس ثم أكمل: فلو أنت مش حاسس إن القرار نابع منك تقدر تروح
- أنا عايز أبطل
- فعلا
أومأ رأسه بيقين ثم قال: أنا نفسي أقدر، أنا كل مرة بعد ما الموضوع ده ينتهي بحس إني مخنوق وقرفان من نفسي ومش طايقني، وبابقى عصبي قوي ومش عارف أركز، أنا بجد تعبت

- كل دي أعراض طبيعية للعادة اللي أنت أدمنتها، قرار أنك تبطل مش هيكون سهل بس ما دمت قررت، فأنت أكيد قدها يا بطل
جلس أنور بالمقعد المقابل لفارس وبدأ كلامه شارحا: دلوقتي أن هسألك شوية أسئلة وعايزك تجاوب بردود محددة قد ما تقدر، مستعد
أومأ فارس رأسه فتابع أنور: بسؤال: فارس أنت شايف لو حد بيمارس العادة السرية المفروض يبطل ولا لا
- يبطل
- ليه
- عشان حرام
- ليه حرام
فكر كثيرا ثم احتار وبعدها أجاب: معرفش، هو أصلا ليه فيه حاجات بتبقى حرام
- حلو السؤال ده، أقولك ليه
- يا ريت
- بص يا فارس، لأن ربنا اللي خلقنا أعلم مننا باللي ينفعنا واللي يضرنا، أعلم باللي معاه نعيش وإحنا حاسين براحة واللي هنحس معاه بأسى وتعب، كل حاجة ربنا بيحرمها حكمتها أنه بيحمينا، نيجي هنا بقى للموضوع للي يهمنا ليه الفرجة على الأفلام دي واللي بيحصل بعدها حرام وأذى، حاول تجاوب باللي أنت شايفه، عايز وجهة نظرك.
فكر فارس ثم أجاب: يمكن عشان الحاجات دي بتغيرنا عن طبيعتنا، يعني الواحد بيبقى وحش من غير ما يحس، بيفسر كل حاجة غلط ومش بيقيم الأمور إلا من الزاوية دي

- كويس قوي وإيه كمان
تنهد بأسى ثم تابع: ينفع أحكي لحضرتك حاجة
حك رأسه وبدا أنه يريد أن يحكي شيء وبعد تردد شجعه أنور فسرد ما فعله مع (محمد حبيب)، شخص كان يضايق والدته شعر بالخوف من كونه يريد التودد لها بتوقيت كانت خلافات والداه على أشدها، فقام باختراق حسابه وجمع عدد من الصور الخاصة به قد تتسبب له بفضيحة لو قام بنشرها ثم هدده أن يبتعد عن طريق والدته
- ماما عمرها ما فتحت رسايله ولا ردت عليه لما حاول يكلمها فون، بس أنا مكنتش شايف تصرفات ماما، كنت طول الوقت بحكم عليها من الزواية اللي اتعودت أحكم على كل حاجة منها، الأفلام والعادة كانوا سبب إني أشوف أمي.........
ولم يكمل صمت وبكى وقد نكس رأسه، رفع أنور وجهه بيده ثم نظر له وعقب: كده إحنا وصلنا لمربط الفرس، طريقة تفكيرنا وحكمنا على الأمور، عاداتنا وأسلوب حياتنا اللي بيتغير، نظرتنا لنفسنا وكمان للي حوالينا
أومأ فارس رأسه بتفهم فتابع أنور: عشان كده أنا الأول هفهمك يعني إيه إدمان يا فارس، ورد فعل مخنا وجسمنا على إدماننا لأي حاجة غلط
بدأ شرحه حين تحدث عن طبيعتنا في حالة كوننا أصحاء دون علة ثم تابع: في مادة في جسمنا اسمها دوبامين، أخدتها في الscience
-آه

- دي المادة اللي ربنا خلقها فينا عشان تكون مسؤولة عن الحافز اللي بيخلينا نعمل أي حاجة، نأكل ندرس نخرج، لما بندمن أي حاجة غلط ومنهم الفرجة على الأفلام الإباحية والعادة السرية في الأول عقلنا بيفرز الدوبامين بمعدلات عالية جدا، بتخلينا نحس متعة كبيرة، ونفتكر إن الحاجات دي بتسعدنا، لكن اللي منعرفوش إن مخنا عشان يحمينا بيقفل مستقبيلات الدوبامين عشان يقلل من خطر افراز الكميات الكبيرة دي علينا، وهنا بنضطر نزود من الجرعات اللي اتعودنا ناخدها من الشيء اللي بندمنه، بدل مقطع صغير، فيلم وبعدين أكتر من مرة في الأسبوع، ونفضل ندور في الدايرة المفرغة كل ما نزود الجرعات على أمل شعور كبير بالسعادة والراحة كل ما المستقبيلات دي تتخرب، لحد ما جسمنا يفقد قدرته على إفراز الهرمون بصورة طبيعية وهنا تبدأ كارثتنا مفيش حافز لشيء، لا أكل، ولا نوم، ولا تركيز، حالة فقدان شهية عامة لكل حاجة ممكن جدا توصل لليأس أوالانتحار، لأن كيمياء جسمنا اتخربت

بدا الخوف على ملامح فارس فربت عندها على كتفه وأردف: أنا مش بخوفك يا فارس، بس أنت كبرت ولازم تفهم وتعرف، عشان حق جسمك ونفسك عليك أنك تحافظ عليهم، مش توهمهم بالسعادة وأنت بتعرضهم للأذى

وعلى وعد بلقاء آخر خرج ليرافق والده، وطوال الطريق كان يفكر تارة بكلمات أنور وأخرى بوالده، حتى أوقف محيي سيارته فالتفت فارس له وسأل: وقفنا ليه

ورغم شعور محيي بأن فارس لن يصدق تصرفاته إلا أنه طلب، أن يصليا المغرب سويا، ترجلا من السيارة بينما كلمات أنور كانت

تطرق بأذنه
(ابني مواقف جديدة وذكريات جديدة تجمعك بفارس، كل ده هيفرق معاه، وحتى لو صادفتك نظرات حسيت منها أنه مش مصدق، استمر وكمل، لأن استمرارك هيكون هو أساس مصداقيتك)
تجاورا عند الوضوء، ظل فارس ينظر من آن لآخر باتجاهه، حتى انتهيا وتجاورا خلف الإمام، وما إن سجد محيي حتى وجدها دعوة تنساب من بين شفاتيه
(اللهم أصلح لي زوجتي وذريتي)
وما إن انتهيا حتى وجد يد فارس وقد وضعها على ركبته وقد أمعن النظر لوجهه، هو لا يملك أي كلام يقوله يخفف فيه من وطأة ما فعل ولم يعرف محيي ما ينبغي عليه فعله، يريد احتضانه وضمه وإقرار المغفرة ويخشى أن يستهين فارس بما فعله، ورغم مخاوفه آثر الحل الوسط فربت على كتفه فشعر به منكسر، يريد أن تجمعهما ضمة واحدة، يريدها ويخشاها لكنه بالنهاية ضم فارس لصدره، وعندها كان له صوته باكيا
لم يتكلم وربما والده بدوره صمت، وسيكفيهما هذا العتاب الصامت وفحواه جملتين
- ابني لا تخذلني
- سأفعل يوم تبدأ

ظل يطرق باب شقته وإلى الآن لا إجابة، لكنه لن يتحرك حتى يفتح، لفرط قلقه بدأ يضرب الباب بقبضة يده حتى فتحه أيمن، وهيئته كانت

كافية ليدرك رياض حاله، عيناه حمراوتان على إثر بكاء وذقنه نامية وكأنه كبر فوق عمره مئة عام

تركه رياض واتجه للمطبخ، أعد صينية بها فطور ثم اتجه بها إليه، كان أيمن ممدا على الأريكة يطالع الفراغ حتى وجد يد رياض تربت على كتفه وهو يسأله: وأخرتها

- أنا اللي المفروض أسألك، هترمي طوبتي إمتى

- عايزني أسيبك، وأنا مبقاش ليا غيرك

اعتدل ليجلس إلى جواره وبعد ثواني عاد لبكائه، حوط رياض كتفه وعندها عقب: كان نفسي تقولي أي حاجة، تسامحني، كل يوم باحلم بيها، باحلم بمختار، أنا كنت عارف نيتهم بس معملتش حاجة، أنا كنت سلبي قوي يا رياض، أنت قلت لا، لكن أنا رضيت أبقى معاهم

- أيمن عشان خاطري كفاية كده، أنت عملت اللي قدرت عليه، ومحدش فينا كان ملاك

صمت ولم يرد فأردف رياض: دلوقتي بقى مينفعش تحطم اللي جاي من عمرك عشان ماضي عدى، بص للي جاي

- أنا مبقاش عندي حاجة أعيش عشانها، يا ريت الرصاصة كانت جت فيا

- لا عندك، دافع مهم وقوي لازم ترجع تقف على رجلك عشانه

- إكرام؟

قالها بتمنى لكنه عقب: لا، ابنك

"مالك أيمن الدويري"

وكلامه فرض على أيمن الذهول وقد وقف ليسأله: أنا عندي ابن

- أنت كنت مصمم متخلفش، وده خلا مريم طليقتك الأولى تخبي عليك حملها لأنها خافت من رد فعلك، مالك عنده أربع سنين دلوقتي، تحب تشوفه

خفق قلبه بشدة وارتجف، أهي هدية القدر، ابتسم له رياض ثم طلب منه الاغتسال وتناول الفطور وبعدها سيتوجها إليه، وطوال الطريق كان يشعر ببالغ الخوف والقلق رغم الفرح، حتى وصل لبيت طليقته وعندها عقب رياض: مريم متجوزة ومخلفة، عشان بس متتصرفش أي تصرف غلط

أومأ رأسه بتفهم وعندها حانت اللحظة، طرق باب منزلها ودخل وهي من حيتهما وما إن رأته حتى أدركت، هذا الرجل شخص آخر غير ذلك الذي تزوجته وكان تعاملاته معها سيئة

- اتفضلوا

توجها لغرفة الصالون وظل بمكانه حتى أتى طفل صغير ووقف على بابها، فوقف أيمن بدوره وهمس بين شفتيه: مالك

شعر حياله بالخوف فلم يقترب فاقترب هو لكن طفله ركض عائدا لغرفته وعندها عقبت مريم: معلش هو عارف أنك باباه، بس رهبة أول مرة، ممكن تدخل له أوضته

شجعه رياض كي يفعل فتوجه لغرفة صغيره وطالعها، ليبدو له كم هو عاشق لكرة القدم تماما مثله، فديكورات غرفة الصغير تؤكد ذلك، جلس بجواره على سريره ثم ربت على كتفه وسأل بعد تردد: أنت بتحب الكورة

أومأ رأسه بإيجاب فاقترب منه أكثر وعندها أردف: أنا كمان بحب الكورة جدا

- عارف، ماما قالتلي

- بجد

ظل ينظر له بخوف وذكرى فاروق تربكه حتى سأله الصغير: أنت بابا

أومأ أيمن رأسه بتردد، وقد خفق قلبه، هل حقا سيستطيع أن يكون أب؟ طلت ابتسامة على وجه الصغير فجذبه ليحتضه إلى صدره ثم همس: ايوة أنا .... بابا

لمحه رياض من وراء الباب وقد تنفس الصعداء، أيمن أخيرا عاد، أو على الاقل وجد دافع يعينه على العودة

ما أشبه الليلة بالبارحة، كانت الليلة الأخيرة ببيته، حين قامت من مكانها وقررت تبديل دواءه بدواء آخر غير الخاص بمرض السكري كان يعلم ما يحاك له، لكنه ما عاد يريد المقاومة، لا أمل في النجاة، لا أمل في التوبة، ولا يأس يضاهي شعورك بأن الطعنات تتوالى ممن خسرت آخرتك كي يكسبون هم دنياهم

وعند الصباح استيقظ مختار وقام من مكانه، واتجه للمطبخ وتناول فطوره ثم دواءه، وبعد تناوله لمح الأقراص فوجد بها فرق عن أقراصه ليدرك عندها الخيانة

تيسير تخون، نشوى تخون، وفاروق من البداية خائن، والتوبة أحقا بطريق كهذا من الممكن أن تعني شيء

ولأنه تشوش ما عاد يملك القوة للاستمرار، سيرافق نشوى حتى النهاية، سينطلق بالسيارة وهو يعلم وجهتها

"مختار أخيرا اختار بعد ما كان طول عمره مجبر ومرغم"

تذكرها وهو يقود ومعها دمعت عيناه ، هتف في بناته بالكذب لأنه ما كان ليقدر على الحقيقة، أو ربما من كثرة ما كذب ما كانت بحياته حقيقة واحدة، حتى حقيقة توبته، كانت ولا تزال مشوشة

وهي كلما تذكرت ضحكت وزعقت وقالت محتدة: بس يا بت، روحي اعملي الواجب

ومن بين زعيقها وضحكاتها، أغلقت ليلى باب غرفتها، انهارت تيسير نفسيا وما عادت تتذكر من حياتها سوى زعيقها، ويالا عدالة القدر هي بذات المصحة النفسية التى دخلتها نوال عند انهيارها، هي على حافة جنون أو ربما هذا هو مصيرها العادل ورغم ذلك خرج بناتها الثلاثة من عندها تبكين حالها، وداخلهن شيء واحد نوين فعله، حتى لو أساءت هي لهن ستظل بالنهاية والدتهن، ولن يفعلن معها مثلما فعلت معهن، بل سيكن معها حتى تجتاز أزمتها

وقفت تطهو الطعام بيدها لوالدها، وعلى الرغم من التظاهر بالسعادة إلا أن ثمة ذكريات حين تتلقفها تفرض عليها دمعة تسعى لمحوها لأنها هكذا تعلمت دوما، وهذه المرة كانت الذكرى لوالدتها التى لم تتحمل ما ألم بوالدها ومرضت وتوفت، فانتقلت تعيش مع جدها المسن الذي توفى بعد عام، ليؤول بها المطاف إلى أحد دور الأيتام وقد تبنها المهندس رفعت الصاوي ورباها ببيته ومنحها اسمها لكنها أبدا ما كانت لتنسى أنها "سمية"

ناداها والدها فانتبهت لتكمل إعداد الغداء وما إن انتهت حتى أعدت الصينية ثم نزلت بها الدرج للمحل المجاور لمنزلهما،

ابتسم عند رؤيتها وقد دخلت لتضع ما بيدها ليتناولا غدائهما معا، منذ أن خروجه بعدما تم إثبات براءته وهي تجاهد نفسها تعويضه عما مضى

أول خطوة كانت مكتبة صغيرة فتحها بجوار شقة صغيرة امتلكها بعدما باع منزله القديم، ولأجلها وحسب سيتناسى ويتظاهر بأن الماضي انتهى

بدأ تناول الطعام وهي تشاركه وتتحدث دون انقطاع لكلامها وكأنها تعوضه ونفسها عن كل لحظة كانا سيحياها سويا، وأهم ما عوضها حقا اسم لطالما اشتاقت لسماعه طوال حياتها وأخيرا صدح صوته باسمها

"سمية منصور وقد توارت غادة رفعت"

ولو سألته وهو بمنتصف الطريق عن النهاية، لقال حالة تتويج خاصة لملك لطالما استحال على كُثر الوقوف أمامه، وهكذا هي رؤيتنا لأنفسنا، فلا يوجد من يرى حقيقته

وقديما قيل أن أصل الخطايا ثلاث؛ الكبر، الحرص، الحسد، ولأنه رجل استثنائي امتلكهم كلهم

وعند النهاية جلس يطالع الفراغ، في غرفة بمصحة نفسية وقد تظاهر بالجنون، وهل كان يوما من العقلاء؟

زنى،قتل، ودافع عن الأبالسة ثم انتظر أن يجد من يدافع عنه، لكنه كما طالع الفراغ حصده

ورقة وحُرقت، أتراها تعنيهم اليوم بل على العكس، بخطة محكمة ثم تشويشه، فشك بكل شيء حوله، وارتاب من أي ممرضة تدخل

لتعطيه دواءه، لم يثق بالطبيب وكيف يثق وهو من أعتاد شراء كل الذمم، وحين زاره فوزي أدرك، عقل فاروق عطب
يصرخ،يهذي، ويخشى تناول الدواء والطعام وبعد عدة أيام وجدوا جثته، وعلى فمه آثار لدواء وبقايا قيء وقد وُجد بجوار المرحاض، فهل قُتل أم انتحر؟
لا أحد يعرف لكنه اختار طريقا مشوشا فاستحق خاتمة تشبهه.

منزل مختار المسيري القديم
يقولون بأحد الأمثال المصرية
(من فات قديمه تاه)
وهو فعل يوم ترك ذلك المنزل، يوم ترك بيت عائلته لأن زوجته لا تريد الدوران معه في فلك فقره، كانت علاقته بتيسير على المحك لولا معرفته بفاروق، فلولا مال فايز ما كانت لترضى عن زوجها، ولولا مال فايز ما كانت لتحرص على إنجاب طفل ثالث عله يكون الولد فتضمن أن إرثه لن يشاركها فيه أخوته، ولأن المولود كان لمياء، أكملت الطريق بزرع الضغائن بينه وبينهم كي تستطيع إقناعه بكتابة كل ما يملك لبناته، لكن تلك الأخيرة لم يفعلها لأنه عند النهاية قرر رد ما يملك لأصحابه، تلاشى المال، والأحلام وبقى الأثر وتجلى حين توفيت والدة مختار وقلبها عليه غاضب
كانت ليلى هي من تحكي عن ذلك البيت، للبنى ولمياء وقد أخبرتهم عن ذكريات شتى، عن فطير كانت تصنعه جدتهن لهن، وعن أعمام وعمات كانوا يجتمعوا معهم في مساء كل جمعة، ذكريات فرضت عليهن التمنى لو أن مختار لم يختر

عادت من سفرها لتجد شقة أخوهاالقديمة يوجد بها أحد، وعلى إثر الصوت اتجهت ودقت جرس الباب، فتحت عندها لمياء فوجدت الضيفة تسألها: أنت مين

- أعتقد حضرتك اللي عندنا

"مين يا لميا"

صاحت لبنى من المطبخ وعندها قرر عفاف أن تدخل بينما لمياء اندهشت، أتت لبنى من المطبخ فهتفت باستغراب امتزجت بابتسامة: عمتو عفاف

- لبنى

ولم تكن لتصدق أن بنات مختار قد عدن لشقته، لقد حرمتهن تيسير لسنوات من صلة رحمهن، وبعد كل ما مر ها هم هنا وبنفس المكان أيعقل؟

فتحت ذراعيها تحتضن شيء من رائحة أخيها الذي لطالما تمنت لو عاد بينهم مرة أخرى وبدورها احتضنت لمياء

- يااااه بعد كل السنين دي

- اللقا نصيب يا عمتي

وكان جمع شتاتهم أبلغ نصيب، لأنهم لن يكونوا وحدهم، وعفاف على رأس القائمة لأنها تسكن بالشقة المقابلة

- ده أنتم ربنا بعتكم ليا يا ولاد عشان مكنش لوحدي، ومن هنا ورايح أنتم ولادي اللي مخلفتهوش، فاهمين

وبمساء ذلك اليوم قررت لبنى أن تعد وجبة عشاء عائلية وقد دعت لها ليلى ومحيي وأولادهما ولمياء وعمتها و....

وقفت لثانية مترددة، منذ اعتراف رياض ببراءتها وهي تتهرب من الرد على طلبه في العودة كزوجين، ولأنه لا يريد إجبارها صابر، ولأنها خائفة من القادم مترددة

لكن في لحظة كهذه قررت أن يطلب منه إياد المجيء، وأتى ولم يتحدث إليها وكأنه يحترم تهربها ويفهمه

يتحدث لمحيي تارة ويشارك الجميع حواراتهم تارة أخرى حتى انتهت جلستهم العائلية وبات هناك أمل أنها قد تتكرر، انزوى رياض بالشرفة وقد رافقه إياد والشطرنج

بدا واضحا أن مزاجه لا يسمح له باللعب ولكن إياد حثه وقد قرر التحدث فسأل: بابا أنت زعلان مني في حاجة

استغرب فتوقف عن اللعب وسأل: ليه بتسألني السؤال ده يا إياد

- لأنك مسألتنيش عن أروى

أدرك عندها أن ابنه يريد التحدث وربما أيضا التأكد من أن الحساب الشخصي الذي كان يتحدث منه معهم كان حقا يخصه، وعندها رد: لأني كنت مستنيك تبدأ، عشان نكمل بقية كلمنا اللي بدأناه سوا على الاكونت اللي كنت عمله

- هو الأكونت فعلا بتاع حضرتك

نظر رياض له نظرة محذرة فهم منها ما أراد قوله وعندها عقب رياض: تعرف يا إياد، أنا عايز أقولك حاجة مهمة، محدش فينا مشاعره بإيده، وأنك تحب حد دي نعمة كبيرة قوي، وإن ربنا يديلك قدرة إنك تحب من قلبك وتعبر عن مشاعرك والله كل دي نعم، مش هتحسها إلا لما تكون صعبة عليك

- بس ماما قالتلي ومن قبلها أونكل سعد.....

ولم يكمل صمت فرد: مينفعش تقولها وأنت مقتنعتش مش كده
أومأ رأسه وعندها أردف رياض: أنا موافق أنك تقولها بس بشرط "موافق"
استغرب ولكنه صمت ليكمل والده: متخذلهاش، الحب مسؤولية يا إياد، مش هدايا ولا فسح ولا فلوس ولا خروج ولا ماسكة إيد وتسبيل عنين، الحب مسؤولية لما تحسها هتحس إن أهم ما فيها أنك متخذلش اللي بتحبه، وأنت مشاعرك في الفترة دي غصب عنك مش ثابتة، انهاردة معجب بأروى وبكرة غيرها لحد ما تصادف حبك الحقيقي في لحظته المناسبة وساعتها لو خذلت كتير في طريقك لحد ما توصله، مش بعيد حبك الحقيقي يخذلك ساعتها، وتحس أنك لو قدرت قيمة كلمة بحبك مكنتش هتقولها قبل أوانها
وبقدر تأثر رياض بما يقول كانت قناعة ابنه فقط لأنه صدق ما يقوله من قلبه، والده مهتم إذا عكس ما كان يظنه، والده يملك مشاعر لم يفصح عنها
- بابا؛ ممكن أقولك حاجة طيب، أي تعبير عن مشاعرنا قبل أوانه غلط، بس لو اتأخرنا هتبقى الغلطة أكبر
قالها وابتسم ثم ترك الشرفة ودخل لتزيد ابتسامة رياض عنها، جينات فاروق الدويري وخبثه ميراث لا ريب فيه حد أن ابنه استدرجه في حواره عن أروى حتى يحثه على الكلام مع والدته
وبالغرفة مع أخوته سألتهريناد: عملت إيه
- مش عارف، ادعوا أنه يكلمها
فرك زياد يديه بقلق ثم رفعهما بالدعاء هاتفا: يا رب بقى يرجعوا ويتصالحوا

فتح باب غرفتهم وراقبوا من خلفه، خرجت لبنى من المطبخ بعدما أنهت تنظيف الأواني بينما لمياء قررت الاتجاه لشقة عمتها للمبيت معها، اتجهت للشرفة لتجده فيها فسألت: أعملك شاي

- يااه، أنتِ لسة فاكرة إن أنا هنا

جاورته ووقفت مستندة على السور تتطلع السماء قبل أن تجيب: جيت من شوية أسألك لقيتك بتتكلم مع إياد محبتش أقاطعكم

ساد الصمت وعندها عقبت: عجبني ردك على إياد، وكلامك مع ريناد على موضوع المسؤولية، حلوة الفكرة، إن كل واحد منهم يكون رقيب على قراراته واختياراته، مكنش سهل عليا أقنع ريناد إن مش كل الروايات ينفع تتقري

كان يتابع كلامها بابتسامة تملأ ثغره حد أنها ارتبكت فتنحنحت وعندها اقترب ليكون قبالتها دون أن يترك بينهما مسافة إلا سنتيمترات قليلة ففرض القرب عليها بالغ الخجل، وقد نظر لعينيها وعقب: أنا مبسوط إن كلامي عجبك

- اهو كلام

- قصدك إيه بقى

- ولا حاجة

قالتها وكادت تدخل لكنه أعادها إليه حين أمسك بيدها وسأل: هنفضل نهرب من بعض كتير

ترقرقت من عينيها دمعة وقالت معها: لو ردي لا، مش هقدر أرجع يا رياض هتفهمني

تلقفه الضيق ولم يرد فتابعت: إحنا هنرجع عشان الولاد، عشان أنا أم أولادك زي ما دايما بتقول، وده ميرضنيش يا رياض، أنا مش

هقدر أرجع أعيش كل مشاعر السنين اللي فاتت وألمها من جديد، وأنت ربنا يوفقك في حياتك، كل اللي أنا عايزاه بس نكون أم وأب ناجحين، طالما مقدرناش نكون زوج وزوجة

تركته ودخلت وعندها زفر، زاد ضيقه حد الأسى وهو يسأل نفسه هل ضاعت الفرص؟

(بس على الأقل تعرف إني مهتم)

وعندما تذكر كلمة إياد دخل خلفها، كانت بالمطبخ فسألها: هتعملي شاى

لاحظ دموعها فاقترب وأكمل: ولا أعمله أنا

استغربت أنه لم يرحل بينما بدا واضحا أن الفضول سيقتل ريناد لا القطة ففكرت أن تخرج من الغرفة، أمسكها إياد وعقب: اصبري بقى - هنفتح الباب بس

وما إن انفتح حتى اقترب الثلاثة من ناحية المطبخ، وما بدا لهم أنهما صامتان

"لبنى"

قالها وقد أدار جسدها لتكون قبالته ثم قال: بغض النظر عن قرارك، لازم تعرفي حاجة مهمة

ساد الصمت بينهما، وقد نظرت لعينه: طول السنين اللي عدت كان جوايا ليكِ مشاعر كتير، مكنتش شايفها رغم إني حاسسها، مشاعر حلوة عرفتها لما عرفتك، ومفهمتهاش غير لما خسرتك، صدقيني أنا .....

تنهد بضيق ثم نظر لوجهها بابتسامة ذابلة وأردف: أنا ندمان قوي على كل السنين اللي ضيعتها وأنا محروم من قربكم مني، محروم من

حبكم، وأنتم كمان اتحرمتوا من الحب ده،أنا .... كنت أقدر أصلح حاجات كتير، بس أنا اتأخرت قوي، آسف قوي، بحبك قوي
صمت وهو يدري أنها لن تصدقه بسهولة، تبادلا النظرات وقد أشعرته ابتسامتها ببعض راحة، لكنها بعد لحظات ضحكت رغما عنها بشدة فأجفلته، استغرب لكنها أشارت له لينظر خلفه، وعندها رأى ظل أطفاله الثلاثة وهم يسعون لكي يسمعوا،فضحك بدوره
"اظهر وبان عليك الأمان"
قالتها لبنى فظهروا الثلاثة متجاورين وعندها هم من عقبوا وكانت ريناد البادية: والله يا ماما بابا بيحبك قوي
- وهو قالنا حتى لو سافر هنكون سوا
ومن إياد تابع زياد: والله يا ماما الراجل ده طلع حلو "بجد"
قالها رياض وقد جثى على ركبتيه ليكون قبالته وعندها عقب: اه والله
نظر رياض عندها باتجاهها وسأل: طيب شهادة زياد دي متفيدنيش في القضية يا فندم
تنهدت فأشار رياض لهم كي يتركوهم وفعلوا ثم جذبها ناحيته وقال: أنا عمري ما هستعجلك أو أفرض عليك وضع مش هيريحك، أنا هتمنى أنك تديني فرصة لو .... قدرتي
قبل جبهتها والتفت ليرحل لكنها استوقفته وعقبت: أنا عايزة الفرصة بس غصب عني خايفة
- أنا كمان خايف، بس اللي متأكد منه أننا نستاهل الفرصة دي عشانا إحنا الاتنين قبل ولادنا

مد يده ناظرا لعينيها على أمل أن تقبل، فمدت يدها لتمسك بيده على أمل أن يفعل
"هييييييييييييييه"
هتف بها صغارهم وقد احتضنوهم بفرحة لتسجل عقولهم جميعا تلك اللحظة لأهم صورة لأب وأم وأعظم نظرة من أطفالهم

تلك اللحظة التى فتح فيها زياد ذراعيه ليحتضنه بقوة، تلك القبلة التى وضعتها ريناد على خده، وتلك النظرة المملوءة بالثقة التي أطلت من عين إياد تجاهه، كل هذا تبلور بنفس الكلمة التى قالها لهم؛ مسؤولية
ناموا وما إن دثروهم بأسرتهم، حتى جلسا على أحد الأرائك، وكليهما يطالع الفراغ، فمشاعرهم اتجاه الفرصة الآن اختلفت برؤية مشاعر أطفالهم
ومع الصباح جمعهما الفطور وبعده توجها سويا إلى أول جلسة طلب منهما أنور أن تكون لكليهما معا، وما إن جلسا أمامه حتى بدا واضحا من ملامح وجههما أن هناك ما يودا إخباره به
قطع رياض الصمت وأعلن بحسم أنهما اتفقا على العودة ومنح كل منهما للآخر فرصة
وكما العادة طالع عيونهما، رغم القلق والخوف، ثمة لمعة سعادة وفرحة وحماس لطالما أربكته كونه يعلم نهايتها
فنظر لهما وسأل: القرار ده نابع من رغبتكم ولا عشان الولاد أجابه رياض بحسم مؤكدا على رغبته، لكن نبرة صوت لبنى أكدت ظنونه، حين تنفست بعمق وأجابت: أنا جزء جوايا عايز الخطوة دي بس

الجزء الأكبر رافض، الجزء ده بيقابله رغبة ولادي، ورغبتي أنا كمان في بيت سوي لولادي من غير ما أحس إني فشلت في حياتي
- طيب أنتِ شايفة الطلاق فشل ولا ممكن يبقى تصحيح فشل؟
ساد الصمت وقد نظرت لرياض الذي بدا عليه التوتر رغم تفهمه لأهمية تلك الأسئلة، وعندها أجابت: محدش بيشوف الطلاق نجاح
- لما تستحيل العشرة بين اتنين ويقرروا ينفصلوا، من غير ما يسيئوا لبعض، ده أكيد قرار ناجح وشجاع
وكلامه اجفلهما وعندها ترقرقت دمعة بعيني لبنى فسأل رياض بضيق: هو إحنا مينفعش نرجع لبعض؟
- السؤال ده، أنت ومدام لبنى بس اللي تقدروا تجاوبوه
زاد توترهم وعندها أوضح: طيب، بمنتهى الهدوء ممكن أقولكم حاجة
"إحنا لما بتحصلنا مشاكل كبيرة بنميل أننا نحلها بشكل ظاهري، زي اتنين اطلقوا، يرجعوا لبعض، ست سابت البيت لجوزها يروح يصالحها وترجع، لكن بين السطور، مش مهم، التفاصيل الصغيرة اللي كانت السبب، دايما أبعد ما يكون عن رؤيتنا، طيب ارجعوا، وبعد سنة، هتتغيروا فعلا، ولا أولادكم هيلاقوا نفسهم قدام نفس بابا وماما اللي متعلموش من تجربتهم؟"
ساد الصمت ولم يرد أي منهما، وعندها أردف: أولادنا بيفهموا كويس جدا، لأنهم عايشين معانا في بيت واحد، بيحسوا وبيسمعوا، وبيقيموا علاقتنا، أكبر خذلان ممكن يحسوه مش إن باباهم ومامتهم يطلقوا، الخذلان الحقيقي هو إحساسهمإن الاتنين دول مفيش فيهم فايدة، ومهما مر عليهم من مشاكل مش بيتعلموا منها، وصلت

كليهما زفر ثم عقبت لبنى بعدها: اللي جاي محتاج ممنا نكون قد مسؤوليته، عشان مندورش في دايرة غلطاتنا من جديد بالظبط، وعشان ده يحصل لازم نفهم أننا مش هنبقى اتنين مختلفين بين يوم وليلة، إحنا هنحتاج لشهور وسنين بنتصرف فيها بطريقة مختلفة، اختلاف للأفعال وردود الأفعال، وده بيتم، نتفهم إن وارد نغلط نفس غلطاتنا القديمة ووراد تحصل مواقف تقلب علينا مشاعرنا القديمة، هنا لازم يكون حاضر عقلنا الواعي، إذا ده حصل ندي لبعض فرصة ومساحة ووقت نصلح عشان بوجه عام يحصل التغيير لحياتنا بسلاسة

فرك رياض يديه وابتسم، أتراه شعر بالخوف؟

- التمهيد ده عشان بداية حياتكم الجديدة سوا، تكون متوازنة، لا هي وردية ولا هي محبطة

قالها ثم طلب من مساعدته القدوم وما إن دخلت حتى طلب: دينا، من فضلك أوراق جلسة "رؤية خاصة"

خرجت وعادت ومعها عدة أوراق منحتها للبنى ورياض ثم ابتسمت لهما، وما إن خرجت حتى قام هو من مكانه ووقف قبالتهما وقال: الأوراق دي كل واحد فيكم هيملاها لوحده وبعد ما تكتبوها كل واحد فيكم هيقرى نسخة التاني

ثم بدأ يشرح التمرين

"فكل منهما سيكتب رؤيته عن شكل الحياة التى يتمناها وتمثل برأيه السعادة، ثم سيكتب عن رؤيته الإيجابية لشريك حياته والمميزات التي يراها فيه، ثم ما يتمنى لو كان وجده، وأخيرا، كليهما سيكتب ما يراه يميز زواجهما، بعدها سيمنح كل شريك ورقته للأخر ليقرأها،

وما نبههم عليه هو كتابة الامتيازات في زمن المضارع مثل؛ أننا نلتمس لبعضنا الاعذار، نحب الضحك، ثم يجمعوا النقاط المشتركة بين رؤيتهما، ومنها يضعا رؤية للقادم من حياتهما وفق خطوات كلما نجحوا في خطوة منها انتقلوا لأخرى، وأمام النقاط الخلافية ابحثوا عن الحلول الوسط، وأمام كل خطوة امنحوا أنفسكم وقت كافي للتقييم"

- التمسوا لبعض الاعذار، ساعدوا بعض قد ما تقدروا، دي حياتكم اللي تستاهل منكم تعيشوها صح

خرجا ممسكين بيد بعضهما البعض فدخلت مساعدة دكتور أنور له وعندها وجدته واقفا بالنافذة ينتظر نزولهما، وما إن ظهرا حتى قال بتمني: يا رب تنجحوا في اللي داخلين عليه

جاورته وقد بدا واضحا ابتسامتها الواسعة وهي تتابع رحيلهما ثم عقبت: الحب بيصنع المعجزات

اعترض بحسم: مش الحب يا دينا

- امال إيه يا دكتور

- الإحسان، الإحسان هو اللحظة اللي بنتجاوز فيها عن مشاعرنا بغض النظر بنحب ولا بنكره، عشان نعامل اللي حوالينا صح، اللحظة دي هي اللي بتمنى إن أي اتنين جم عندي العيادة يوصلولها، سواء كملوا أو انفصلوا، المهم يوصلوا للمعنى ده في حياتهم

قالها وتنهد ثم استعد لمن سيدخل، بينما توجهت لبنى برفقة رياض لجلسة علاجها الطبيعي وما إن عادا حتى وجدت أن لمياء وعمتها قد أعدا الغداء فتناولوه برفقتهم، وبالمساء اتصلت بليلى واتفقا على

زيارة تيسير بالغد، بعدها جاورت ليلى محيي وأولادها ليتناولوا عشاءهم، وأخيرا اخترن بنات مختار ومن معهن

ولكن

هذه المرة اختلفت إذا أنهم أدركوا الفارق بين بصرهم وبصيرتهم؟

تمت بحمد الله

31\ 12\ 2017

شكر خاص لكم من ساهم من أجل إتمام ذلك العمل، وشكر من القلب إلى

دعاء نعيمة

منى سلامة

هاجر حمدي

هبة أمين

منى غيضان

سارة سيف الدين

إيناس سمير

آية شمس

جروب كلام روايات وكل من فيه

بالغ تحياتي

رانيا الطنوبي

المراجع

كيف تحصل على الحب الذي تريده (هارفيل هندريكس)
قواعد التربية (ريتشارد تمبلر)
مراهقة بلا أزمة (أكرم رضا)
التربية بذكاء (كريم الشاذلي)
الآن أنت أب (كريم الشاذلي)
موقع علاج إدمان الإباحية

أعمالي

روايات الكترونية
قبل فوات الأوان
بيدي لا بيد عمرو
استجماتيزم
مجموعات قصصية
نقطة بيضا
ثم أما بعد
بتوقيت جرينتش (رواية ورقية)